الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 66 – SIXTH YEAR – OCTOBER 1982.

العدد (٦٦) ـ ذو الحجة ١٤٠٢هـ ـ السنة السادسة ـ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٢م



المستقبل

في صناعة الزيت والغاز

توفره أرامكو لخريجي الجامعات السّعوديين

التخصصات الجامعية المطلوبة:

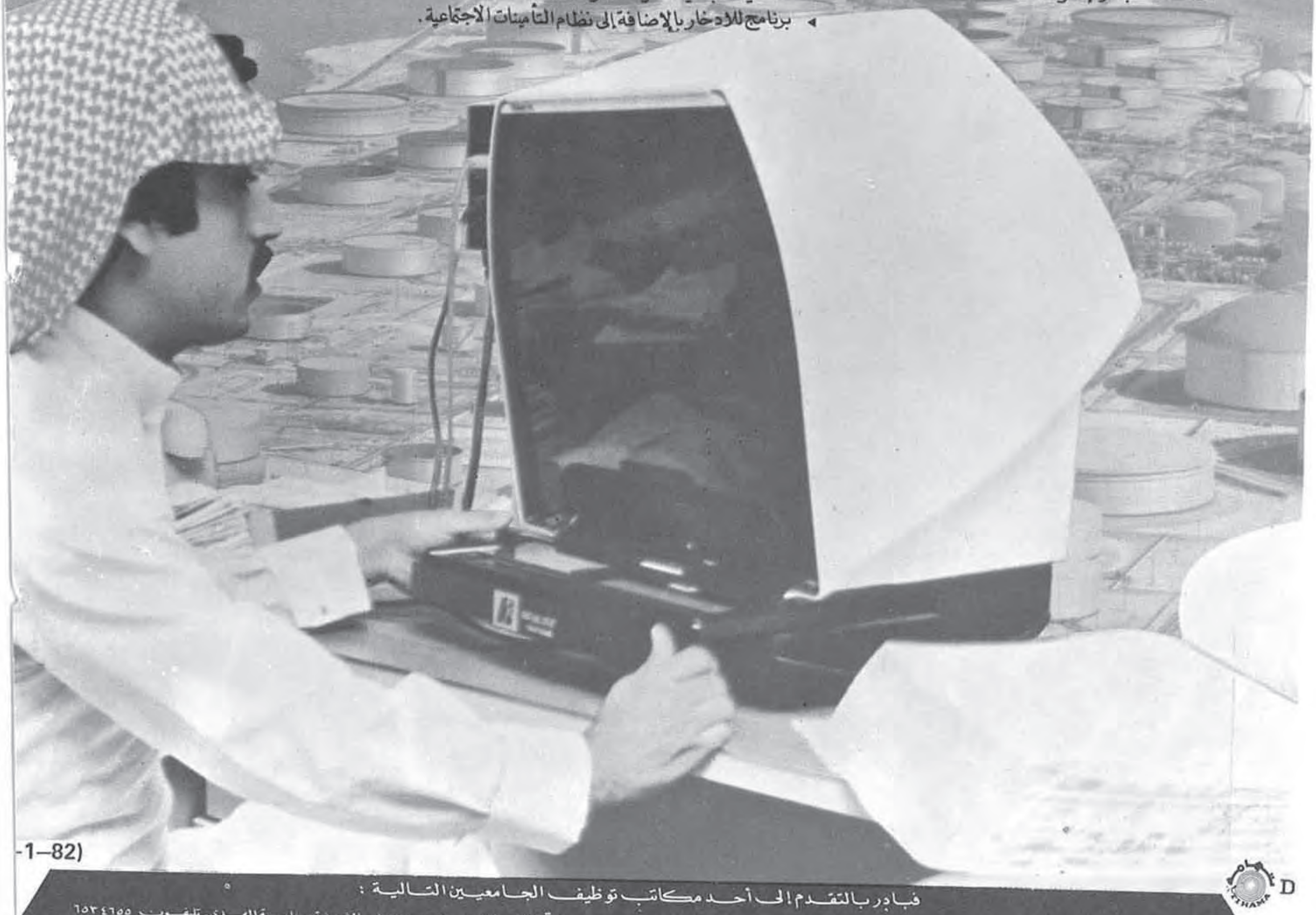
- هندسة بترول.
- الجيولوجيا / الجيوفيزياء.
- هندسة كيميائية.
- هندسة ميكانيكية.
- هندسة كهربائية.
- هندسة أساليب ونظم / علوم الكمبيوتر.
- هندسة صناعية.
- تخصصات هندسية أخرى وعلوم.
- إدارة صناعية / محاسبة وإدارة أعمال.

يحصل الجامعيون على الميزات التالية:

- ابتعاث لدراسة اللغة الإنجليزية في أمريكا عند الحاجة.
- برنامج لتطوير الكفاءات.
- راتب مغري حسب التخصص.
- إضافات في الراتب للشهادات العليا والتفوق والخبرات.
- سكن للأعزب والمتزوج بإيجار رمزي أو راتب شهرين بدل سكن للمستحقين حسب النظام.
- برنامج تملك البيوت.
- راتب إضافي كل سنة.
- أجازة سنوية مع ٥٪ من الراتب السنوي.
- عناية طبية للموظف وعائلته.
- برنامج للادخار بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.

مجالات العمل المتاحة:

- التنقيب عن الزيت وهندسة البترول.
- تطوير حقول الزيت.
- إنتاج الزيت والغاز وأعمال التكرير.
- إدارة المشاريع والإنشاء والخدمات الهندسية.
- تشغيل الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر).
- أعمال صيانة معامل الزيت والغاز ومرافق أخرى.
- مجالات فنية وإدارية أخرى.



-1–82)

فبادر بالتقدم إلى أحد مكاتب توظيف الجامعيين التالية:

الظهران: مكتب علاقات الجامعيين السعوديين - مقابل معرض الزيت - تليفون ٨٧٦٢٠٧٥، ٨٧٦٢٠٧٣، ٨٧٦٢٠٧١

الرياض: مكتب أرامكو - الناصرية مقابل مستشفى الملك فيصل التخصصي - تليفون ٤٦٤٠١٥٥ / ٤٦٤٠٢٥٥

جدة: شارع محمد حسن عواد - الشرفية - بناية الهدى - تلفون ٦٥٣٤٦٥٥

هيوستن: تكساس (أمريكا)

ARAMCO SERVICES COMPANY, SAUDI COLLEGE RELATIONS, P.O BOX 53620, HOUSTON, TEXAS 71052-1620, USA. TELEPHONE (713) 750 5855, (713) 750 6664, (713) 750 5900 OR TOLL FREE 1-800-231-7577 EXT. 5855/6664/5900

تهامة TIHAMA D

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY
AL-FAISAL
CULTURAL HOUSE

تصدر عن
دار الفيصل
الثقافية

ISSUE 66 - SIXTH YEAR - OCTOBER 1982.

العدد (٦٦) ـ ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ـ السنة السادسة ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢ م

رئيس التحرير

علـــوي طه الصـــافي

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Chief

All Correspondence To:

Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P.O.Box 3
Tel. 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

المراسلات :

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٧٨٦٨٩٦ ، العزيزية ٤٦٥٨٩٩٠

في هذا العدد

من كتاب العدد



د. عبد الغفار حامد هلال

★ من مواليد مصر عام ١٩٣٦م.

★ دكتوراه في أصول الفقه.

★ يجيد التركية والإنجليزية والعبرية.

★ عمل أستاذاً ورئيساً لقسم فقه اللغة ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر.

★ يعمل حالياً أستاذاً لفقه اللغة والدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية اللغة العربية ـ الرياض.

★ له مجموعة من المؤلفات اللغوية، إلى جانب بحوث نشرها في مجلات عديدة.

**

أحمد العناني

★ من مواليد حلحول ـ فلسطين عام ١٩٢١م.

★ الكلية العربية بالقدس ـ ثم دراسة التاريخ ـ جامعة لندن.

★ عمل مدرّساً وموجهاً للدراسات اللغوية في ثانويات الخليل والكلية العلمية الإسلامية، وكلية الشريعة في عمّان ـ الأردن.

★ ترجم العديد من الأعمال التاريخية والأدبية منها «موسوعة دليل الخليج» في ١٤ مجلداً، ورواية «عمدة كاستربردج» لهاردي، وكتابين هما «تجارة السلاح»، و«كهان زيوريخ».. كما نشرت له في قطر ثلاثة كتب في تاريخ الخليج.

★ نشرت له مجموعة قصصية بعنوان «حبة البرتقال».

★ له مسلسلات إذاعية، وبحوث ودراسات ومقالات باللغتين العربية والإنجليزية، إلى جانب المحاضرات التي ألقاها في بلدان مختلفة.

**

د. الصفصافي أحمد المرسي



★ من مواليد الدقهلية ـ مصر عام ١٩٤٠م.

★ دكتوراه في الآداب

●● تمتلئ الغابات الإفريقية بكثير من الخرافات، والأساطير، والعادات الغريبة.. يساعد على استمرارها، الجهل المتفشي بين الناس، بصورة يغلب عليها صورة الإنسان البدائي. طالع ص (٤٥).





●● «النجف».. إحدى كبريات المدن العراقية، ومن أكثرها شهرة وأعظمها مكانة ونفوذاً. وإذا ما ذكر اسمها، ذكرت أسماء فطاحل العلماء والشعراء والفقهاء والأدباء الذين تخرجوا من جامعاتها. طالع ص (٣٥).

●● الملح ضروري لاستمرار الحياة، كما أن انعدام الملح في الطعام يؤدي إلى الصداع، وقلة الشهية للطعام، وضعف العضلات وتشنجها، وإذا نقصت كمياته عن حد معين.. فقد يؤدي إلى الوفاة! طالع ص (١٠٢).



●● كما يتعقب رجال الشرطة سفاحاً خطيراً.. فإن علماء الأحوال الجوية يتعقبون ظاهرة الأعاصير البحرية العمودية التي يشبهونها «بسفاح خبيث غادر».. يتعقبونها لاستكناه سرها، ولمنع أخطارها المدمرة! طالع ص (١٠٧).



●● إن الفوائد الباهظة والربا الفاحش الذي يقدم تحت دعوى «المساعدة الاقتصادية»، أو «التعاون الاقتصادي» هما اللذان تعاونا على خلق الإنسان الأناني، وعن تراكم المساوئ الاجتماعية والاقتصادية، في أي مجتمع من المجتمعات. طالع ص (٨٣).

(اللغات الشرقية وآدابها) جامعة اسطنبول في تركيا.

★ يجيد اللغات التركية والعثمانية، والإنجليزية، والفارسية.

★ عمل معيداً ومدرّساً مساعداً، كما عمل مدرّساً، ثم أستاذاً مساعداً بآداب عين شمس.

★ له مجموعة من الدراسات والأبحاث، وله (معجم صفصافي — تركي / عربي).

★ عضو مركز أبحاث الثقافة المصري، وعضو الجمعية التاريخية المصرية.

★ يعمل حالياً خبيراً ومترجماً للوثائق العثمانية بدارة الملك عبد العزيز بالرياض.

عبد الحكيم الكوراني

★ من مواليد معرّة النعمان — سورية ١٩١٩م.



★ شهادة الثانوية ١٩٣٨م.

★ عمل مدرّساً، ثم مديراً لمدرسة تل أبيض — دير الزور، ثم مديراً لمدرسة أعزاز — حلب، وأخيراً تفرغ في تقاعده للأدب، والشعر، واللغة.

★ له مجموعة من الأعمال المخطوطة دواوين شعرية، وقصص، ودراسات لغوية وأدبية.

عصام الغزالي



★ من مواليد المنصورة عام ١٩٤٥م — مصر.

★ بكالوريوس الهندسة الميكانيكية — كلية الهندسة — جامعة القاهرة.

★ ليسانس أصول الدين — كلية أصول الدين — جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — الرياض.

★ عمل مهندساً بشركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية، ويعمل حالياً مهندساً بشركة كهرباء الرياض وضواحيها بالرياض.

★ له ديوانان مطبوعان، وآخران تحت الطبع، إلى جانب كتابين آخرين تحت الطبع أحدهما مجموعة قصص قصيرة، والآخر أحاديث إذاعية.

عناقيد

مسلسل
«مذبحة بيروت الغربية»

هل يجدي الكلام في زمن القتل .. والدمار .. والإبادة الجماعية في لبنان العربي ؟

هل تستطيع الكلمة أن تخرس أصوات المدافع ، وتطفئ الحرائق ؟

هل يقوى الحرف على مواجهة الصاروخ ، والقنابل العنقودية والفراغية ليزل المطر ، وتزرع أرض لبنان برتقالها وتفاحها وعنبها ؟

ما جدوى الكلام في عالم أخرس لا يفرق بين نور الفرح ، ونار الموت ؟

ماذا تصنع قصيدة الفرح في مناخ تفوح منه رائحة جثث الأطفال .. والنساء .. والشيوخ .. والعجزة .. والشباب في بلد الشعر والأرز والحرية ؟

ما قيمة الفكر الداعي إلى السلام ، والإخاء ، والأمن .. في الوقت الذي تدنس أقدام التتار والصليبيين الجدد الأرض ، والزرع .. وتغتال العصافير البريئة من أطفال لبنان العربي ؟

من يسكن لبنان العربي اليوم في ظل الإحتلال ، والقهر ، والقتل ؟

أين العربي الذي كان يعلن الحرب الضروس من أجل لطمة يد .. أو ذبح ناقة انتصاراً للكرامة ؟

أين أحفاد رجالات حطين .. والقادسية .. واليرموك ؟

تموت الكلمة .. وينتحر السؤال على صخرة واقع عرب اليوم الذين تفرقوا أيدي سبأ ؟

ماذا يبقى لنا – غداً – من ذلك التاريخ الماجد الذي سطره أجدادنا بدمائهم ، لا بألسنتهم ، وتصريحاتهم ، وخطاباتهم ؟

ماذا سيقول عنا أحفادنا حين يقرأون في مدارسهم ما عاناه لبنان ، وشعب لبنان وفلسطين في بيروت الغربية في الوقت الذي كنا فيه نحن العرب نتفرج ونشرب قهوة الصباح كالعادة .. ونقرض شعر الغزل في قمر الضياع كالعادة .. أو نشاهد برامج التليفزيون البليدة كالعادة .. هذه البرامج التي لا جديد فيها غير مسلسل «كاوبوي» اسمه «مذبحة بيروت الغربية» تمثيل وإخراج وإعداد أميريكا وإسرائيل ؟

تموت الكلمة .. وينتحر السؤال على صخرة واقع عرب اليوم الذين تفرقوا أيدي سبأ؟

ذهب عصر المعتصم .. وبذهابه أصبحت النجدة مجرد ذكرى في ذمة التاريخ .. والنخوة فقدت بكارتها في زمن تعمل فيه إسرائيل ما تشاء أمام الجميع الذين يسكن الصقيع دماءهم الباردة !!

أيها الأخوة : .. (تصفيق حاد يجرح الكرامة) .

أيها الأخوة المواطنون : (زعزودة طويلة كالرمح تذبح النخوة كالخروف) .

أعترف أنني أخطب .. وأقول كلاماً فيه كثير من جنوح الشعر وجموحه !!

أعترف أن الكلام لا يجدي في غياب روح المقاتل .. وأعترف أن الخطابة لا تنتصر لضحايا لبنان وفلسطين !!

أعترف أن خير ما تعلمته هو الخطابة .. لم أجد من يعلمني كيف أستعمل البندقية ، وأوجه الصاروخ !!

وأعترف أنني أستطيع أن أقرض الشعر ، وأصطاد الطيور ، لكنني لم أتعلم كيف أصطاد طائرات العدو التي تقتل أهلي وأطفالي وإخواني في بيروت الغربية ، وتدمر وطني العربي لبنان !!

ولكن .. خير ما أعترف به أن الفلسطينيين واللبنانيين في بيروت الغربية أثبتوا أنه ما زال لأبطال حطين ، والقادسية ، واليرموك أحفاد يرسمون على خارطة التاريخ الشجاع ملاحم خالدة للبطولة ، والفداء ، والصمود .. والله المستعان .

رئيس التحرير

الحركة الثقافية

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- موسوعتان للعملة الإسلامية بمصر وعلمية للأطفال بالكويت .
- صدور مجلة جديدة باسم «التوثيق الإعلامي» في العراق .
- إقامة عدة مسابقات للمفكرين والناشئة في عدد من بلدان الوطن العربي .
- دورة عالمية لِلّسانيات في المغرب .
- سلسلة مبسطة لكتب التراث .
- وفاة الشاعر الفلسطيني علي فودة .

في العالم

- كتاب عن قادة المسلمين سيصدر في إسلام أباد .
- لغة القرآن الكريم لغة إجبارية في بنغلاديش .
- مرصد للوسائل التكنولوجية يقام في باريس .
- إقامة معرض للطوابع السعودية في لندن ، وآخر لكتب الأطفال .
- وفاة حامد الآمدي ، و الشيخ محمد زكريا ، و ستانفورد مور ، و رومان جاكوبون .

الحركة الثقافية في الوطن العربي

السعودية :

مسابقة رعاية الشباب بمكة المكرمة

أعلن مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بمكة المكرمة عن **مسابقة أدبية للشباب من الجنسين** وهي خاصة بشباب المملكة العربية السعودية ممن لا تزيد أعمارهم عن (٢٥) عاماً وذلك في مجال : **(الشعر الموزون المقفى)** ، **(المقال الأدبي)** ، **(القصة القصيرة)** .

آخر موعد لاستقبال الأعمال المشتركة في المسابقة يوم الأربعاء **٢٤/١/١٤٠٣ هـ** ، مع العلم بأن المكتب قد وضع جوائز للفائزين بالمسابقة .

مسابقة ثقافية

أعلن نادي الطائف الأدبي عن **مسابقته الثقافية** السادسة لعام ١٤٠٢ هـ ، وذلك في مجال : **(القصة القصيرة)** ، **(الشعر)** ، **(البحث)** .

المعروف أن النادي قد وضع جوائز مادية ومعنوية **على أن آخر موعد لقبول الأعمال هو ٣٠/١٢/١٤٠٢ هـ .**

إصدارات دار العمير

أصدرت «**دار العمير للثقافة والنشر**» بجدة لصاحبها الأستاذ الأديب السعودي المعروف **علي محمد العمير** مجموعة من الكتب .

وهذه الكتب تعد باكورة نشاط هذه الدار الناشئة ، وقد تمثلت هذه الباكورة في سلسلة «**المكتبة الثقافية**» حيث صدرت عنها ستة كتب من تأليف **الأستاذ علي العمير**



★ علي العمير ★

١ ــ مناوشات أدبية .

٢ ــ أدب وأدباء .

٣ ــ سنابل الشعر .

٤ ــ رسالة الجامعة .

٥ ــ حصاد الكتب .

٦ ــ على الماشي .

وهذا يعني أن الدار سوف تصدر كتبها من خلال سلسلات متنوعة .. وقد اتخذت الدار في إصدار كتبها نمطاً خاصاً يميزها من حيث اللون ، والحجم على عادة دور النشر العالمية ، وبعض دور النشر العربية العريقة .

ويأتي نشاط دار العمير في وقت بدأت تشهد فيه الساحة الثقافية في المملكة العربية السعودية حركة ونشاطاً كبيرين يمزج بين التنافس ، والرغبة في دفع الحركة الثقافية في المملكة خطوات إلى الأمام بعد رحلة جمود طويلة .

الآثار والمخطوطات القديمة في متحف

قام النادي الأدبي (بأبها) بجمع الأثريات بالمنطقة ووضعها في متحف صغير ملحق بمكتبة النادي ، وستكون هذه المجموعات نواة لما سيحويه متحف كبير يقام في المستقبل ، من بين ما حصل عليه النادي ووضعه في متحفه الصغير قصائد شعرية مضى عليها حوالي (٢٠٠) عام لبعض الشعراء في المنطقة ، كما أن النادي ما زال يعلن لكل من لديه مخطوطة أو قطعة أثرية أن يتفضل بعرضها على النادي وتقديمها سواء بالتبرع أو القيمة المجزية .

* كتب جديدة *

● «**العقل لا يكفي**» ، **مجموعة قصصية للقاص محمد علي الشيخ** ، صدرت عن **تهامة ــ جدة** .

● «**العلمانية ــ** نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة» ، تأليف **سفر بن عبد الرحمن الحوالي** ، صدر عن **مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة ــ جامعة أم القرى** .

● «**أيام مبعثرة**» ، **مجموعة قصصية للقاص فؤاد عنقاوي** ، صدرت عن تهامة ــ جدة .

● «**الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي**» ، **للدكتور عاطف فخري** ، صدر عن **تهامة للتوزيع** .



★ د. عبد الله عسيلان ★

● «**زيد الخير**» ، تأليف **الأستاذ عبد العزيز الرفاعي** ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» .

● «**بحوث ودراسات في النقد**» ، **للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان** ، صدر عن **دار العلوم بالرياض** .

● «**نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي**» ، تأليف **بدر أحمد كريم** ، صدر ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» التي تصدرها تهامة .

● «**جسور إلى القمة**» ، تأليف **عزيز ضياء** ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» .

★ عزيز ضياء ★



● «أصداء قلم» ، تأليف الأستاذ **محمود عارف** ، صدر ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» التي تصدرها **تهامة** .



★ محمود عارف ★

● «**وصف الحيوان في الشعر الهزلي**» ، كتيب كتبه **الدكتور إسماعيل داود محمد النتشه** ، صدر ضمن سلسلة «**ألوان ثقافية**» عن **نادي أبها الأدبي** .

تونس

التأليف المسرحي في مسابقة

أعلنت **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** عن تنظيم **مسابقة في «التأليف المسرحي»** لأفضل نص مسرحي عربي وذلك بين كتّاب العرب الراسخين في التأليف المسرحي وذلك بشروط معينة أهمها :

★ أن يكون النص باللغة العربية الفصحى .

★ أن يؤدى على المسرح في وقت لا يقل عن (٩٠) دقيقة .

★ ألا يكون قد عرض من قبل أو أذيع أو نشر بأية وسيلة أخرى .

★ أن يتناول قضايا تتعلق بالمصير العربي وخصوصاً القضية الفلسطينية .

★ أن يكون نص المسرحية مكوناً من ٦ نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة .

وقد حدد **آخر موعد** لتقديم المسرحية إلى مقر المنظمة **بشهر نيسان (أبريل) ١٩٨٣ م** ، وقد رصدت للمسرحية الفائزة جائزة قدرها (٥٠٠٠) دولار أمريكي .

كلمة

لبنان الجريح !!!!

لم أكن أتوقع أساساً أن أكتب تحت هذه الزاوية حرفاً واحداً ، إذ إن المجلة دائماً تفتح ذراعيها للقراء الآخرين ، وقربي منها يحرمني لذة الكتابة فيها ، وتلك هي سياستها أن تفتح ذراعيها للآخرين وتترك القريبين ، ولكنني أرغمت نفسي وصممت أن أطلب من الأستاذ **رئيس التحرير** أن يفتح المجال لي بكتابة ما أود كتابته تحت هذا العنوان .

أعود فأقول لعلّ القارئ من خلال متابعته لأعداد المجلة منذ سنوات وخاصة من خلال صفحات الملزمة الثقافية يرى بأن بلدنا الغالي (**لبنان**) يحتل المكانة الكبرى في الملزمة في إصدارات الكتب إلى جانب أخبار ثقافية متنوعة ، المعين الأساسي لها بفعل توجه المفكرين والأدباء العرب وغير العرب إليه وإلى مطابعه ودور النشر فيه ، أما بعد أن غزاه الصهاينة وجعلوا منه ومن أهله أشلاء لا حول لهم ولا قوة يرى أن تلك الأخبار الدسمة تغيب فلم يذكر في هذا العدد إلا من خلال كتابين فقط ، إذ توقفت المطابع وشردت الوحشية اليهودية المفكرين والناس عن بلد الفكر والنور ، ومع أن القارئ الكريم يعرف ماذا حدث للبنان من حروب داخلية بين أهله خلال سنوات إلا أن المطابع ودور النشر لم تتوقف عن الحركة والعطاء ، أما بعد دخول اليهود إليه فكان ما كان ، كل ما أقوله أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن تعود لذلك البلد الغالي مكانته المرموقة وريادته الفكرية . . والله المستعان .

عبد الله ثقفان

رسائل جامعية

●● «**استخدام التلفزيون لتلبية الاحتياجات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ــ دراسة تحليلية تاريخية**» ، **موضوع رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة جنوب كاليفورنيا** ، تقدم بها **السيد محمد أحمد صبيحي** .

●● «**الأموال المباحة وأحكامها في الفقه الإسلامي**» ، **موضوع رسالة دكتوراه** نوقشت **بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر** ، تقدم بها **السيد عبد الله الرشيد** .

●● «**دور إدارة التعليم الصناعي في المملكة في إعداد الطلبة وتهيئتهم للعمل**» ، **موضوع رسالة ماجستير** نوقشت **بقسم التربية التابع لكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض** ، تقدم بها السيد **صالح سعد الشبيب** .

●● «**التكوين السياسي للمملكة**» ، **موضوع رسالة دكتوراه** نوقشت **في جامعة لندن** ، تقدم بها **صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن محمد بن سعود الكبير** .

●● «**الشهادات وأحكامها في الفقه الإسلامي**» ، **موضوع رسالة دكتوراه** نوقشت **في جامعة الأزهر** ، تقدم بها الشيخ **عبد الله بن محمد الزين** .

●● «**التليفزيون والشباب السعودي** ــ دراسة ميدانية في تأثير التليفزيون النفسي والاجتماعي في أوساط الشباب العربي السعودي» ، **موضوع رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة وسكانسون ــ ماديسون ــ بالولايات المتحدة** ، تقدم بها السيد **علي محمد النجعي** .

❊ كتب جديدة ❊

● «**صدرت مجموعة من قصص الأطفال** عن **الشركة التونسية للتوزيع والنشر** وهي :

★ «**الفيل الصغير والعشبة**» ، إعداد **عبد الجبار الشريف** .

★ «**ذر الكندي والنساج**» ، إعداد **حسن حمادة** .

★ «**حيلة شيطانية**» ، إعداد **عبد الجبار الشريف** .

● «غريب الحديث» ، **لابن قتيبة** ، **تحقيق رضا السويسي** ، صدر عن **الشركة**

في الوطن العربي

التونسية للتوزيع والنشر، ج١.

● «التذكرة السعدية في الأشعار العربية»، تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس.

● «التفكير البلاغي ـ أسسه وتطوره إلى القرن السادس عشر: مشروع قراءة»، تأليف حمادي صمود، صدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة التونسية.

● «إشارات أدبية»، تأليف رشيد الذوادي، مقدمة الأستاذ محمد العروسي المطوي ـ طبع بمطابع الشركة التونسية لفنون الرسم.

مصر

التراث العربي بأسلوب مبسط

اهتماماً بالناشئين وعقولهم، ورغبة في توسيع مداركهم فقد قررت الهيئة المصرية العامة للكتاب تبسيط عيون الأدب العربي وتقديمها في أسلوب سهل للأطفال والناشئين العرب، وتتمثل التجربة الأولى في تبسيط كتاب (الأذكياء) لابن الجوزي وقام بتبسيطه الكاتب جمال أبو زيّة، وقد صدر فعلاً في (١٦٠) صفحة مزينة باللوحات والرسوم الملونة خالياً من العبارات الصعبة المعقدة حاوياً أنسب الحكايات للأطفال مصاغة بأسلوب سهل ميسر.

موسوعة للعملة الإسلامية

●● تم في مصر طبع أحدث وأول عمل علمي من نوعه في مجال فن النقود الإسلامية على مستوى العالم وهو «موسوعة العملة الإسلامية» منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الوقت الحاضر، تشمل الموسوعة دراسة أكثر من خمسة آلاف قطعة من العملة الذهبية والفضية والنحاسية بخلاف النياشين والأنواط والأختام التي تبلغ ما يقرب من ألفي قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية، أشرف على هذا العمل العلمي جهات علمية وجامعية مصرية.

* كتب جديدة *

● «رسالة في الحوار الفكري بين الإسلام والحضارة»، تأليف الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، صدر في القاهرة.

● «التفسير الفريد للقرآن المجيد»، للدكتور محمد عبد المنعم الجمل،



الزاوية الطبية

المرض الوراثي وإبداء المشورة فيه

المشورة الوراثية هي عرض مبسط للمعلومات الطبية المتوفرة عن مرض وراثي ما، مع بيان احتمالات تكرر حدوث هذا المرض في الحمول التالية أو لدى أقرباء المريض.

وفي هذه المقالة سوف أعرض حالة مرضية وراثية شهدتها في دمشق توضح ذلك. فقد استدعيت إلى مستشفى للتوليد لفحص وليد ولد لزوجين هما أبناء عم وأبناء خالة.

وكانت الولادة طبيعية. غير أن محصول الحمل السابق كان طفلة ولدت مصابة **بمرض جلدي نادر يسمى انقلاع البشرة الفقاعي**. وقد توفيت تلك الطفلة بعيد الولادة.

وقد كان فحص الطفل ضمن الحدود الطبيعية، خلا نزف بسيط في اللثة ووجود فقاعات صغيرة قرب السرة. وهي موجودات ما كانت لتثير اهتماماً كبيراً لولا وجود القصة المرضية السابقة. وقد صارحت الأهل رغم ضآلة هذه الموجودات بأن هنالك احتمالا كبيراً في أن يكون هذا الطفل مصاباً بنفس مرض أخته. ومع تطور حالة الطفل أخذ هذا المرض يتجلى لديه بوضوح. وقد عالجت الطفل بالمشاركة مع أخصائيين في الأمراض الجلدية. وتوفي الطفل في نهاية الشهر الأول.

إن الخطوة الأولى في دراسة هذا المرض من الناحية الوراثية هي الحصول على تشخيص صحيح. غير أن الأعراض وحدها في هذه الحالة لم تساعدنا في تحديد نمط المرض ووراثته. وإن كانت قد حددت ذلك ضمن ما يسمى بالوراثة وحيدة المورث.

صدر عن **مطبعة الأزهر** (ترجمة معاني القرآن الكريم للغة الإنجليزية ويقع في ثلاثين جزءً).

● «**الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**»، تأليف **علي باشا مبارك**، صدر **الجزء الرابع منه** عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**.

● «**قضايا الفكر في الأدب المعاصر**»، تأليف **وديع فلسطين**، مقدمة **محمد عبد الله عنان** صدر في **القاهرة**.

قطر

* كتب جديدة *

● «**غياث الأمم في التياث الظلم**»، تأليف **إمام الحرمين الجويني**، تحقيق وتقديم **الدكتور عبد العظيم الديب**، صدر عن **جامعة قطر** وبتعضيد من **الشؤون الدينية بقطر**.

● «**وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦ هـ**»، تأليف **الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم**، صدر **المجلد الأول** عن **دار المتنبي للنشر والتوزيع بالدوحة**.

فلسطين

وفاة الشاعر علي فودة

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر الفلسطيني «**علي فودة**» حيث استشهد أخيراً في موقعه القتالي «بعين المريسة»، كان رحمه الله قد أصدر في الفترة الأخيرة نشرة «مجلة رصيف ٨١» ورأس تحريرها حتى الاجتياح الصهيوني على لبنان فانخرط في صفوف المقاتلين دفاعاً عن الوطن ولقي ربه، للشهيد إصدارات روائية وشعرية منذ أواخر الستينات من بينها: «**فلسطين كحد السيف**» وهي **مجموعة شعرية** رحم الله الفقيد وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

★ علي فودة ★



الإمارات العربية

* كتب جديدة *

● «**أغاني الأفراح في دولة الإمارات**»، تأليف **رفعت محمد خليفة دويب**، صدر عن **الدائرة الثقافية بوزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات**.

العراق

مجلة «التوثيق الإعلامي»

صدرت عن **مركز التوثيق الإعلامي** الذي يتخذ من بغداد مقراً له **مجلة فصلية تحت اسم «التوثيق الإعلامي»** وهي مجلة فصلية تعنى بالدراسات والبحوث والتقارير والترجمات وما يتعلق بدول الخليج والتعريف بها، مع أخبار الكتب التي صدرت عنها، **يرأس**

ونأتي إلى القصة العائلية فوجود قرابة بين الأبوين ترجح احتمال حدوث أمراض وراثية ذات نمط مقهور، وولادة طفلين مصابين (وكون الوالدين سليمين والوراثة وحيدة المورث) تبين بصورة شبه مؤكدة أن هذا المرض هو ذو نمط وراثي مقهور. وكون الطفلين المصابين ذكراً وأنثى يشير إلى أن الوراثة غير متعلقة بالجنس.

كل ذلك يشير إلى أن احتمال تكرر حدوث هذا المرض في الحمول التالية هو ٢٥ ٪ من الأولاد بغض النظر عن جنسهم. وهذه النسبة تمثل احتمال تكرر المرض في كل حمل فلا تعني ولادة طفل مريض أن الأطفال الثلاثة التالين سوف يكونون طبيعيين.

إن المنطلق الذي نبدأ منه دائماً في إبداء المشورة الوراثية هو الأسرة القائمة. فلا ننصح مثلاً الزوجين بالطلاق وأن يتزوج كل منهما شخصاً آخر، وإن كان ذلك في الحقيقة يجعل احتمال تكرر المرض شبه معدوم.

وبما أن هذا المرض لا يمكن كشفه أو تشخيصه أثناء الحمل في الوقت الحاضر فليس ثمة ما نساعد الأهل به في مجال التشخيص المبكر.

وتلاحظون أنني قد صارحت الأهل منذ البداية باحتمال وجود هذا المرض الخطير. وهي الخطوة الأولى التي تساعد على تكيف الأهل مع الواقع المر. وكنت خلال متابعتي للطفل حريصاً على أن ينال كل علاج طبي متوفر وعناية والدية. وكنت أقدم للأهل الدعم والاهتمام الشديد بأبسط الأمور التي قد تثير قلقهم، وغاية ذلك أن أشعر الأهل أنهم قد بذلوا قصارى جهدهم مما يخفف عنهم الشعور بالذنب.

ولقد شرحت للأهل أن احتمال تكرر هذا المرض في الحمول القادمة هو ٢٥ ٪. وذلك يعني أنه إما أن يولد الطفل القادم طبيعياً أو أن يولد مصاباً وهو في هذه الحالة لن يعمر طويلاً. وبالتالي لن تكون المعاناة كبيرة جداً باستثناء مشاكل الحمل والولادة والقلق النفسي خلالهما وبعدهما، لكن هذه الأمور على شدتها وقسوتها تبقى أخف وطأة من بقاء الطفل أمام ناظري أهله يقاسي ويعاني هول مرضه. ولا ينبئك مثل خبير.

وقد أعطيت الأهل تقريرين أحدهما كي يرسلوه إلى أطباء في الخارج، وآخر كي يرجعوا إليه عند كل خاطر أو سؤال يعتلج في أذهانهم.

وقد سافر الوالدان في الحمل التالي إلى **الولايات المتحدة** حيث تمت الولادة هناك بطفل مصاب توفي بعيد الولادة. وقد أعطي الأهل هناك نفس المشورة التي عرضتها لهم غير أنهم نصحوا بتبني طفل غريب، وقد رفضا ذلك وقررا المحاولة من جديد. وتمت الولادة الرابعة في دمشق وكان الطفل طبيعياً.

مما سبق نرى أن المشورة الوراثية قدمت للأهل دعماً مستمراً خلال المحنة التي كانوا يمرون فيها، وتفهما لأوضاعهم النفسية والاجتماعية. وقد ترك اتخاذ القرار المناسب بصورة كلية لهم. فهم الذين قرروا أن تكون الولادة الثالثة في الولايات المتحدة، وهم الذين رفضوا تبني طفل غريب، وهم الذين استمروا في الإنجاب حتى أنعم الله عليهم بطفل سليم.. وكل ما أعتقده هو أن المشورة الوراثية قد حققت غايتها، في هذه الحالة.. ولمثل هذا كانت المشورة الوراثية.

د. غسان حتاحت
دمشق

الثقافة في الوطن العربي

تحريرها الأستاذ **عامر إبراهيم قنديلجي** ، وقد صدر عددها الأول محتوياً على موضوعات شتى وفي مختلف المجالات التي صدرت المجلة من أجلها .

* كتب جديدة *

● « **موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف** » ، تأليف **الدكتورة خديجة الحديثي** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **أعلام العرب في الكيمياء** » ، تأليف **الدكتور فاضل أحمد الطائي** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **فتحة أخرى للشمس** » ، رواية تأليف **عبد المجيد لطفي** ، صدرت عن **وزارة الثقافة والإعلام** ضمن سلسلة « **القصة والمسرحية** » .



★ عبد المجيد لطفي ★

● « **الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة العربية** » ، تأليف **محمود ياسين أحمد التكريتي** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **الجزء الرابع من كتاب العين** » ، **للخليل بن أحمد الفراهيدي** ، بتحقيق **الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام** ضمن سلسلة « **كتب التراث** » .

● « **دير الملاك** » ، للدكتور

نافذة

قيمة الحياة

إذا لم تعلمنا الحياة بأحداثها والقدر بصروفه ، والعمل بإبداعه أي مفهوم فلسفي لمعنى الوجود وقيمة الإنسان ، فأحسب أنه لا حاجة للفلسفة . إن الوجود الفردي هو النواة التي تكوّن الوجود الجماعي ، والفرد هو الخلية الحية في البناء الاجتماعي ، ومن ثم فإن تكوين الفلسفة الذاتية بالنسبة للفرد حد لازمه لبناء المجتمع الأفضل ، وكلما تكاملت هذه الفلسفة عند كل فرد من المجتمع تكونت في هذا المجتمع الكبير عدة مجتمعات صغيرة متداخلة تدعم طاقاتها وترسم مخططها العملي الذي يرتكز على الإرادة الفردية والجماعية وينطلق بروح الفلسفة الذاتية إلى آفاق العمل الخلّاق المبدع الذي يرفع من شأن هذا المجتمع الكبير ، وينبغي لنا أن نبرز قيمة الفلسفة العملية أو الذرائعية عند كل مجتمع أو أمة نامية أو في سبيلها إلى مدارج الحضارة ، حيث إن الحضارة تبدأ **بمفهوم استاتيكي** يتمثل في سمو الذوق ، وظهور الآداب

أخبار الغد

سجل وثائق تاريخي

●● ستقوم إحدى المؤسسات الوطنية ، **بإصدار سجل وثائق تاريخي باسم « خالد العرب »** محتوياً على سجل التشريفات لتقديم واجب العزاء والمبايعة في صورة حديثة لم يسبق لها مثيل . هذا وقد قام العديد من المؤسسات والمصالح الحكومية بالتعبير عن مشاعر العاملين فيها تجاه فقيد الأمة جلالة المغفور له خالد بن عبد العزيز في هذا السجل ، المعروف أن الجزء الأول من السجل قد تقرر أن يكون في حوالي (٦٠٠) صفحة مقاس ١٨ / ٢٤١ سم ويضم صفحات تاريخية بالصورة والكلمة وتاريخ حياة وكفاح المغفور له جلالة الملك خالد ، كما يتضمن كافة نواحي النشاطات والإنجازات التي تمت في عهده رحمه الله .

دراسات فنية عن رسامين عراقيين

●● ستصدر عن **دائرة الفنون التشكيلية العراقية سلسلة دراسات** فنية عن أربعة رسامين عراقيين من الرواد وهم : الفنان أكرم شكري ، الفنان عطا صبري ، الفنان إسماعيل الشيخلي ، والفنان فرج عبو .

وستعالج هذه السلسلة جوانب مختلفة من حياة الفنان وشخصيته الإبداعية والعوامل المؤثرة في إبداعه وعطائه التشكيلي إضافة إلى استعراض أبرز الجوانب الحياتية التي كان لها الدور الأساسي في بلورة أسلوب وأفكار المبدع ، أما عن الكتب فستمتاز بالسرد التاريخي والمتابعة الدقيقة لإعطاء تصور واضح عن حياة وفن الشخصية المدروسة ، مما يذكر أنه قد سبق أن **أصدرت الدائرة كتابين** عن « **فائق حسن** والثاني عن **حافظ الدروبي** » .

كتاب عن المساجد والجوامع الأثرية

●● قررت **وزارة الحج والأوقاف** بالتعاون مع **الإدارة العامة للآثار** إصدار **كتاب عن المساجد والجوامع القديمة والأثرية والحديثة** بالمملكة العربية السعودية ، ومما يذكر أن إدارة الآثار هي الجهة التي ستقوم بجمع المادة العلمية بالتعاون مع مجموعة من رجالات الفكر والبحث ، وتأتي هذه الخطوة في إطار اهتمام وزارة الحج والأوقاف بإحياء التراث الإسلامي والمحافظة عليه .

ندوة عن تطوير المحاسبة

ستعقد **بجامعة الملك سعود بالرياض** ندوة حول « **سبل تطوير المحاسبة في المملكة** » وذلك تحت إشراف وتنظيم **كلية العلوم الإدارية بالجامعة** ، ستتطرق الندوة إلى عدة مواضيع منها :

★ المراجعة الإدارية والمالية والخدمات الاستشارية .

★ المراجعة في الحكومة والوحدات الاقتصادية التي لا تهدف إلى الربح .

والفنون والاهتمام بالثقافة على مختلف سماتها ، ثم يأتي **المفهوم الديناميكي** الذي يزيد من الإنتاج العمودي في سائر الصناعات والعلوم ، ونحن عندما نركز على الفلسفة الذاتية لسنا بذلك ندعو إلى أن يكون كل شخص فيلسوفاً يتأمل ويفكر ثم يقرأ ويكتب ، ويغرق في عالم الكتب والنظريات ، لا ، لسنا نريد ذلك إطلاقاً ونحسبه لن يتحقق لجميع الأشخاص في سائر المجتمعات الحضارية منذ القدم حتى وقتنا الحاضر ، إنما نرمي بذلك إلى أن يحاول كل منا في هذا المجتمع أو ذاك أن يطور نظرته إلى الحياة ويكون فلسفة ذاتية يفسر بها ظواهر الحياة وقيمة وجوده فيها . ويحق لنا أن نتساءل عن قيمة وجودنا وجوهر الحياة الذي يسمو بالنظرة الإنسانية ، والذي يرفع من قيمة الإنسان في هذا العالم الذي تضطرب أجزاءه بالمتناقضات .

إن جوهر الحياة في اعتقادي هو « **العمل** » وذلك لإيجاد الحضارة الراقية والمجتمع السامي ، والفرد الواعي المدرك لحقائق الوجود ، العمل بشتى أنواعه ما هو إلا مظاهر متباينة لأصل هذا الجوهر ، جوهر الحياة . وليس العمل هو ما نعنيه من الأشياء التي تدفع إلى التدمير أو هلاك البشرية ، وإن كان هذا عمل في حد ذاته يدل على مظهر الجوهر ولا يدل على أصالته ، إنما الذي نعنيه بجوهر الحياة هو العمل المثمر البناء الذي يستمد من الخير ومن الإنسانية زاده الروحي ، ويستمد من قوة الإرادة والتصميم سموقه المادي ، ومهما تضاربت الأقوال في البحث عن جوهر الحياة ، سواء عند الفلاسفة أو الأدباء أو العلماء ، فلا مراء في أن هذا الجوهر يكمن في **العمل الهادف** وإن تباينت الأقوال والنظريات . وقيمة النجاح الشخصي هو تعميق هذا الجوهر الأصيل ، فلا حياة بلا عمل ، ولا حياة بلا يأس لأنه لا حياة بلا أمل ومن أين لنا أن نعرف معنى الأمل إن لم نعرف معنى اليأس ، ولن نعرف كلاهما إن لم نعرف العمل وقيمته ، وصدق علي رضي الله عنه عندما قال : « **قيمة كل امرئ ما يحسنه** » .

د . أحمد عبد القادر المهندس

محسن أطيمش ، صدر في **بغداد** .

● « **قصص لسير المعارك** » ، **مجموعة قصصية للقاص عبد الستار ناصر** ، صدرت عن **دار الرشيد ببغداد** ، ومما يذكر أن هذه المجموعة قد ورد لها عنوان آخر في بعض الصحف وهو « قصص بثياب المعركة » .

● « **الصحفي والسياسي والمؤرخ سليمان صالح الدخيل** » ، **دراسة** أعدها **الدكتور محسن فياض عجيل** ، صدرت في كتاب عن **مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة** .

● « **القلاع الملكية في بابل** » ، تأليف **روبرت كولباي وبيت ستيل** ، ترجمة **الدكتور**

إلى غير ذلك من المواضيع المتعلقة بالندوة وعنوانها . هذا وسيدعى إليها عدد من المسؤولين في قطاعات وزارتي المالية والتجارة وديوان المراقبة العامة ومصلحة الزكاة والدخل إلى جانب عدد من المحاسبين القانونيين بالمملكة وبعض أساتذة الجامعات السعودية .

الغريب أنه لم يحدد بعد موعد هذه الندوة !!

العربية مادة إجبارية

●● **أعلن وزير التعليم البنغالي أنه تقرر اعتباراً من يونيو من العام القادم ١٩٨٣م ، تدريس اللغة العربية في المدارس الإبتدائية ببنغلاديش كمادة إجبارية** وذلك بعد أن كانت مادة اختيارية ، المعروف أنه تقرر أيضاً تدريس اللغة الإنجليزية إجبارياً ولكن بعد سنتين من تعليم التلميذ اللغة العربية .

كتاب عن قادة المسلمين

●● اعترافاً بأهمية القادة المسلمين الراحلين في التاريخ العسكري الإسلامي ، وحباً في جعل الشباب في العصر الحاضر يقف على ما كان عليه الأوائل . . فإن « **معهد الدراسات الإسلامية** » التابع (**للجامعة الإسلامية**) **بإسلام أباد** يعتزم جمع المعلومات المتعلقة بمشاهير القادة العسكريين المسلمين وذلك بهدف إصدار دراسة شاملة يحويها كتاب عن هؤلاء القادة من وجهتي النظر التاريخية والعسكرية ، ويتضمن المشروع بصفة خاصة الكتابة عن مشاهير القادة مثل : **محمد بن القاسم ، موسى بن نصير ، أبو عبيدة بن الجراح ، سعد بن أبي وقاص** . . وغيرهم .

كما يتضمن تسجيل التاريخ العسكري لإثنين من القادة الوطنيين هما الجنرال ظهير بن دابور ويخان خان .

أعمال المفكرين في طبعات جديدة

●● يدرس **المجلس المصري للثقافة** مشروعاً كبيراً يهدف إلى إصدار **الأعمال الكاملة لمعظم المفكرين وكبار الكتاب العرب** وذلك في طبعات جديدة وزهيدة في الثمن لكي يتمكن كل قارئ من الحصول عليها ، من بين الأسماء التي سيتضمنها المشروع : **عباس محمود العقاد ، طه حسين ، جبران خليل جبران ، إيليا أبو ماضي ، عمر أبو ريشة ، أبو القاسم الشابي ، أحمد لطفي السيد ، توفيق الحكيم ، محمد حسين هيكل ، أحمد أمين ، محمد مهدي الجواهري** .

ومن المعروف أن المجلس سبق أن قرر إصدار الأعمال الكاملة للإمام **الشيخ محمد عبده** في عشرة مجلدات وذلك خلال السنوات الثلاث القادمة ، تضم المجلدات الكتابات الدينية والسياسية والاجتماعية للإمام ، وتفسيره للقرآن الكريم ، كذلك المقالات التي كتبها في مجلة « العروة الوثق » والتي أصدرها في (باريس) بالاشتراك مع **الشيخ جمال الدين الأفغاني** ، ويشرف على تحقيق أعمال الإمام محمد عبده لجنة من علماء الأزهر وأساتذة الجامعات .

* *

يحيى منصور، صدر عن المؤسسة العامة للآثار والتراث.

الكويت

موسوعة كويتية للأطفال

تبنت **مؤسسة الكويت للتقدم العلمي** فكرة إصدار «**موسوعة كويتية علمية للأطفال**» وذلك مساهمة منها في النهضة العلمية العربية، ولمواكبة أحدث المنجزات في العلوم، وتتكون الموسوعة من ستة مجلدات، كل مجلد في خمسة أجزاء، مرتبة موضوعياً، وتعالج بنودها فروع العلوم المختلفة، من كيمياء، وفيزياء، ورياضيات، وأحياء بصورة شاملة غير متخصصة، في لغة ونقاط ميسرة ومبسطة، ومما يذكر أن الموسوعة لا تغني في حد ذاتها عن الكتاب المدرسي، إلا أنها تساعد الأطفال على تنمية الأسلوب العلمي في التفكير، وتثير اهتمامهم ببيئتهم، وتدعم وعيهم الإيجابي الذاتي، وتؤكد الترابط بين أرجاء الوطن العربي عبر وحدة الثقافة على جسور الوحدة الفكرية.

* كتب جديدة *

● «**الإدمان ـ مظاهره ـ وعلاجه**»، تأليف **الدكتور عادل الدمرداش**، صدر ضمن سلسلة «**عالم المعرفة الكويتية**».

جوائز للمفكرين والأدباء العرب

●● **أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي** عن مسابقتها السنوية لعام ١٩٨٢م، للمفكرين والأدباء والعلماء العرب وذلك للفوز بجائزة الكويت المقدمة من المؤسسة على مستوى الكويت والوطن العربي وذلك في الحقول الآتية:

★ العلوم الأساسية في الرياضيات.

★ العلوم التطبيقية في مجال العلوم البيئية والتطبيقية.

★ الآداب والفنون.

المعروف أن الجائزة عبارة عن (١٠,٠٠٠) دينار كويتي وميدالية ذهبية بالإضافة إلى شهادة تقديرية، ومما يذكر أن باب الترشيحات سيكون مفتوحاً إلى يوم ١١ من شهر **أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٨٢م**، والذي سيكون آخر موعد لتقديم ما يمكن تقديمه في إحدى المجالات المذكورة للمؤسسة للفوز بجائزتها.

● «**رسائل من الأعماق**»، تأليف **خضير عبد الله**، صدر في **الكويت**.

● «**أساتذة في ميدان آخر**»، تأليف **المرحوم عبد الفتاح المليجي**، صدر في **الكويت**.

● «**صفحات من جغرافية مصر**»، دراسة وتحقيق **للدكتور عبد العال عبد المنعم الشامي**، صدر عن **قسم التراث العربي بالكويت**.

● «**شعر عروة بن أذينة**»، صنفه **الدكتور يحيى وهيب الجبوري**، صدر في طبعته الثانية عن **دار القلم للطباعة والنشر بالكويت**.

● «**البدائية**»، تأليف **أشلي مونتاغيو**، **ترجمة محمد عصفور**، صدر ضمن سلسلة «**عالم المعرفة**».

الأردن

الجراجرة .. والماجستير

★ عيسى الجراجرة ★



حصل الكاتب الأردني المعروف **عيسى حسن الجراجرة على درجة الماجستير** في مجال التربية وعلم النفس، المعروف أنه أحد كتَّاب مجلة «**الفيصل**» وعدد من المجلات العربية الأخرى، نتمنى له مستقبلاً موفقاً للحصول على الدكتوراه.

* كتب جديدة *

● «**بيت الأسرار**»، رواية تأليف **هاشم غرايبة**، صدرت عن **دار الأفق الجديد بعمان**.

المغرب

الدورة العالمية للسانيات

●● **أقيمت في (الرباط) أعمال الدورة العالمية السابعة للسانيات** وذلك بالتنسيق بين **جامعة محمد الخامس والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وجمعية الجامعات الناطقة كلياً أو جزئياً بالفرنسية**، ساهمت في هذه الدورة جمعيات ثقافية فرنسية وإنجليزية وأميركية **ومعهد جوته الألماني**، نوقشت في هذه الدورة عدة قضايا تتعلق بالصوتيات والتركيب اللغوي والدلالة وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وطرق تدريس اللغات، كما اشتملت على محاضرات علمية وثقافية وفكرية قدمها العديد من الأساتذة والمفكرين العرب والأجانب، المعروف أن الدورة استمرت أكثر من عشرين يوماً حيث عقدت خلال الفترة من ٣٠ يوليو (تموز) حتى العشرين من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٨٢م.

لبنان

* كتب جديدة *

● «**تدوين القرآن الكريم الوثيقة الأولى في الإسلام**»، **للدكتور محمد القبيسي**، صدر عن **دار الآفاق ببيروت**.

● «**معجزة القرآن العددية**»، تأليف **صدقي البيك**، صدر عن **مؤسسة علوم القرآن**.

الكتب في العالم

الجزائر

كتب جديدة

● «النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي: دراسة فلسفية واجتماعية»، من إعداد عبد المجيد مزيان، صدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر.

سورية

كتب جديدة

● «فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه»، لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، صدر في دمشق.

● «أشجان المساء»، ديوان شعر للشاعر فياض شحادة، صدر في دمشق.

● «التعبير الفني»، كتاب تعليمي تأليف محمد غازي التدمري، صدر في دمشق.

كما صدرت الكتب التالية عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق:

★ «الوباء»، رواية تأليف هاني الراهب.

★ «اللغة والدلالة»، تأليف عدنان بن ذريل.

★ «المتسكع»، مجموعة قصص قصيرة تأليف عبد الرزاق جعفر.

★ «الوقت»، مجموعة قصص قصيرة تأليف زهير جبور.

فرنسا

مرصد للوسائل التكنولوجية

أقيم في العاصمة الفرنسية أول مرصد للوسائل التكنولوجية المتقدمة، أطلق عليه اسم (أوفتا) والهدف من إقامة هذا المرصد هو التعريف بأحدث الوسائل التكنولوجية المستخدمة في مجال الصناعة والتعليم في مختلف أنحاء العالم، إذ إنه من خلال المعلومات التي يحصل عليها المرصد سوف تقوم الأبحاث العالمية باكتشاف ما هو جديد في العلم والتكنولوجيا.

أشعار نيتشه إلى الفرنسية



★ نيتشه ★

صدرت الترجمة الفرنسية للأشعار الكاملة للفيلسوف الألماني ـ فردريك نيتشه ـ وقد كتب مقدمة الترجمة الفرنسية جورج ريبمومونت، هذه القصائد المترجمة كان الشاعر أو الفيلسوف الألماني قد كتبها في الفترة من عام ١٨٧١م إلى ١٨٨٨م، وهي تكشف عن لحظات معينة في حياته.

أحدث الكتب

● «الشعر العربي الحديث بين الإسلام والغرب»، تأليف سليمان زجيدو، صدر في باريس.

بريطانيا

معرض دولي لكتب الأطفال

أقيم في قاعة «بوك هاوس» بلندن المعرض الدولي الثاني عشر لكتب الأطفال، ضم أفضل الكتب حيث عرض فيه (٣٠٠) كتاب من حوالي (٣٠٠٠) كتاب للأطفال صدرت في لندن عام ١٩٨١م، استمر المعرض أكثر من عشرة أيام وذلك خلال شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٨٢م.

أحدث الكتب

● «ليلة صيف باردة في لندن»، تأليف أنطوني غولد، صدر في لندن.

● «حزب العمال إلى أين؟»، تأليف آن غودمان، صدر في لندن.

● «أوروبا على مفترق الطرق»، تأليف الصحافي البريطاني كريستوفر هيوز، صدر في لندن.

● «إسرائيل إلى أين؟»، تأليف توني جيلبرت، صدر في لندن عن «ليبرايشن».

● «حرب الكلمة»، للصحافي البريطاني ريتشارد سميث، صدر في لندن.

● «روي جينكينز ـ مسألة مبدأ»، تأليف وغلاس بينس، صدر في لندن.

● «قهوة وشاي»، تأليف كينيث أندرسون، صدر في لندن.

معرض للطوابع السعودية

●● أقيم في لندن معرض للطوابع السعودية تمثل تاريخ البريد في المملكة العربية السعودية من عام ١٨٣٤ إلى عام ١٩٣٤م، كما ضم المعرض خطاباً يحمل أقدم ختم وهو ختم «الأسطول الهندي ـ جدة»، إضافة إلى ما يزيد على عشرين مظروفاً وخطاباً تحمل طوابع مصرية قديمة مختومة، كما ضم أيضاً مظروفات تحمل أختاماً عديدة تمثل مكاتب البريد العثمانية في المملكة من عام ١٨٧٢ إلى عام ١٩١٩م، إضافة إلى مغلفات وتجارب طباعة تمثل الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٤م، ومما يذكر أن المعرض قد أقامه «البارون جاكوب فون فيكسكال»، وهو من السويد ويعيش حالياً في بريطانيا ويهتم بجمع الطوابع السعودية منذ عام ١٩٧٥م، وقد عرضت مجموعته لأول مرة في (فيينا) في العام الماضي وفازت بميدالية ذهبية.

في العالم

أمريكا

وفاة ستانفورد مور

توفي عالم الكيمياء الجوية الأمريكي «ستانفورد مور» عن (٦٨) عاماً، حصل في حياته على **جائزة نوبل في عام ١٩٧٢م**، بالاشتراك مع اثنين آخرين من الباحثين وذلك **لأبحاثه عن التركيبة الكيميائية للبروتينات والأنزيمات**، المعروف أن (مور) كان يعمل **بجامعة روكفلر** وكان يعاني من تصلب جانبي ناتج عن ضمور عضلي **(مرض شاركوت)** وهي إصابة نادرة للنخاع الشوكي، ومما يذكر أن وفاته قد حدثت بسبب الانتحار، على حد قول الصحف.

* أحدث الكتب *

● **«الحياة كما وجدتها»**، تأليف الكاتبة الأمريكية **فرانسيز كينيدي**، صدر في **نيويورك**.

الهند

وفاة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

انتقل إلى رحمة الله تعالى العلامة الشيخ «محمد زكريا الكاندهلوي» عن عمر يزيد على الثمانين عاماً، نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح وتقوى فكان والده عالماً جليلاً وتلقى تعليمه على يد والده وعمه الشيخ محمد إلياس إمام الدعوة والتبليغ، وحفظ القرآن الكريم، بعدها التحق **«بجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور ـ الهند»**، وقرأ بقية العلوم والفنون على مشائخها، وكتب السنة على والده وعلى المحدث الكبير الشيخ **خليل أحمد الأيوبي الأنصاري** صاحب كتاب **«بذل المجهود في شرح سنن أبي داود»**، وقد عيّن رحمه الله مدرّساً في **جامعة مظاهر العلوم** وتدرج فيها حتى انتهت إليه «رئاسة تدريس الحديث» ولذا فقد اشتهر باسم «شيخ الحديث»، وقد انهمك في خدمة الحديث الشريف دراسة وتدريساً وتصنيفاً، تخرج على يديه الكثير من طلاب العلم والمشايخ في الهند وخارجها، **له من المؤلفات ما يزيد على (١٤٠) مؤلفاً منها المطبوع والمخطوط**، فمن مؤلفاته المطبوعة:

★ **«أوجز المسالك في شرح الموطأ للإمام مالك»**، ويقع في خمسة عشرة مجلداً.

★ **«تعليقات على كتاب «بذل المجهود»**، ويقع في عشرين مجلداً.

★ **«لامع الدراري في شرح البخاري»**، في عشرة مجلدات.

★ **«الكوكب الدري في شرح جامع الترمذي»**، في أربعة مجلدات.

إلى غير ذلك من المؤلفات الكثيرة، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

تركيا

وفاة أشهر خطاط للقرآن

انتقل إلى رحمة الله تعالى أشهر خطاط للقرآن الكريم في هذا القرن ذلك هو **«الشيخ حامد الآمدي»** عن (٩١) عاماً، إذ ولد رحمه الله سنة ١٨٩١م، بديار بكر بتركيا ودرس فن الخط في استانبول، واتسعت شهرته في العشرينات حيث احترف فن الخط وأصبح يدرسه الأمر الذي أكسبه احترام الكثير من الطلبة والأتباع في كل أنحاء العالم، وكان في حياته قد نسخ مئات من مصاحف القرآن الكريم كان آخرها ثلاثة مصاحف.



روسيا

وفاة رومان جاكوبون

عن (٨٦) عاماً **توفي العالم اللغوي الروسي «رومان جاكوبون»**، والذي **يعد من أشهر علماء اللغة في القرن العشرين وأحد البارزين في هذا المجال**، اشتهر (رومان) في الأوساط الأدبية والفنية العالمية وربطته عدة صداقات مع عدد من الأدباء والكتّاب المعاصرين، له العديد من المؤلفات والمقالات، ومن أشهر أعماله **مؤلفه (الأعمال)** الذي صدر بأربع لغات حيث تناول فيه دراسة أصول اللغة وقواعدها، وله العديد من المقالات في دراسة علم اللغة والأصوات.

أسبانيا

لقب جديد لسلفادور دالي



★ سلفادور دالي ★

حصل الرسام الإسباني المعروف **«سلفادور دالي» ـ (٧٩) عاماً ـ على لقب (ماركيز دي دالي بوبول)** وذلك اعترافاً بمساهمته الكبيرة في إثراء الثقافة الإسبانية في القرن العشرين، و **(بوبول)** هو اسم **قصر يقع في شمال شرق إسبانيا** يمتلكه الفنان الكبير.

اليوم و الغد

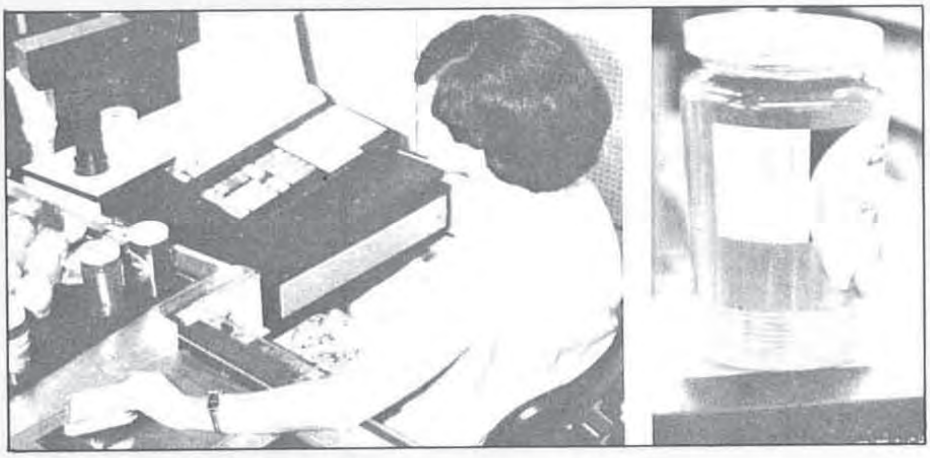
هل يرسل السوفيات إنساناً إلى المريخ؟

اكتسب رواد الفضاء السوفيات خبرة جيدة ومقدرة كبيرة على البقاء في الفضاء الخارجي مدة طويلة . في عام ١٩٧٩ م ، سجل رائد الفضاء **فاليري ريومين** رقماً قياسياً ، إذ أمضى ١٧٥ يوماً متواصلاً في الفضاء على متن السفينة الفضائية (ساليوت ٦) ، وقد حطم هذا الرقم في عام ١٩٨٠ م . ويتكهن بعض الخبراء الغربيون بأن ذلك قد يكون ضمن التحضيرات لإرسال إنسان إلى المريخ .

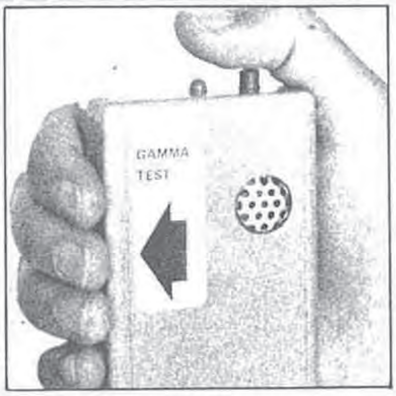
الحاسب الإلكتروني في خدمة عمليات البيع

معظم البضائع في الأسواق الأمريكية عليها **خطوط متوازية متباينة السماكة والفواصل فيما بينها** . ورغم أن هذه الخطوط لا تعني الكثير بالنسبة للإنسان العادي ، إلا أن بعض المحلات التجارية الكبيرة تستخدم هذه الرموز بدلاً من **اللصاقة** التي تبين السعر . وبعد نجاحها في **الولايات المتحدة الأمريكية** بدئ بتطبيقها في **ألمانيا الاتحادية** اعتباراً من عام ١٩٨٠ م . عند مرور السلعة أمام « **عين** » الحاسب **فإنه يقرؤها ويطبعها على قسيمة الاستلام** ، ثم يجمع أسعار السلع ويسجل القيمة الإجمالية التي يجب على الزبون أن يدفعها على شاشته . وهذا يسهل عملية الدفع ويقلل من انتظار الزبائن على الصندوق ويحد من أخطاء السهو والإهمال .

❋❋



عداد غايغر المنزلي



قدمت **التكنولوجيا الحديثة** للإنسان المعاصر كثيراً من التسهيلات والرفاهية . فهل بقي ذلك بدون ثمن ؟ إن إحدى « **ضرائب** » **التقدم** هو انتشار **النشاط الإشعاعي** الذي يسبب التعرض إلى كميات كبيرة منه ــ كما حدث في هيروشيما وناغازاكي ــ إلى عدد كبير من أنواع **السرطان والتشوهات الوراثية** . لكن **النشاط الإشعاعي** موجود في كل مكان ، فهو لا ينتج عن مفاعلات الطاقة النووية فقط ، بل ينتج كذلك عن استخدام **النظائر المشعة في** الكيمياء والطب وحتى مواد البناء . من يرغب في معرفة كمية الإشعاعات الموجودة في منزله ، بمقدوره الاستعانة **بعداد (غايغر)** يدوي لا يزيد سعره عن ٧٥ دولاراً .

❋❋

الحياة على المريخ

منذ بداية عصر الفضاء والأقمار الصناعية يثور الجدل حول وجود **الحياة على سطح المريخ** . وعلى الرغم من إرسال عدة مركبات فضائية إلى الكوكب الأحمر هبط بعضها على سطحه ، إلا أن الجدل لا يزال مستمراً . وقد لفتت مركبة فايكنغ الأمريكية الأنظار إلى تغيرات في لون صخور المريخ مما دفع بعض العلماء إلى التكهن بأن هذه التغيرات ما هي إلا نتيجة فعالية بيولوجية (حيوية) . وفي الأشهر القليلة الماضية أضاف العلماء حيرة أخرى إلى هذا اللغز .

جمع بعض العلماء المعلومات التي تبثها كل من المركبتين السوفياتية والأمريكية الموجودتين الآن على سطح المريخ ، واستناداً إليها قام علماء الأحياء الفضائية بتشكيل البيئة السائدة على المريخ في المختبر ، وعلى الأرض . فقد غطوا أرضية حجرة محكمة الإغلاق بالرمل الناعم واللافا ، وفرغوا معظم الهواء الموجود فيها ، وجعلوا الهواء المتبقي يتحرك بشكل عواصف وأعاصير . كما غيروا درجة الحرارة بين + ٢٠°م و - ٦٠° مئوية مع تسليط إشعاعات سينية وفوق بنفسجية على الغرفة .

وقد أدخل إلى هذا « المريخ الصنعي » أنواع مختلفة من الأحياء الأرضية : **الطيور والثدييات** لم تتمكن من العيش أكثر من ثوان معدودة . **الزواحف** عاشت ٦ ساعات ، **الضفادع والبرمائيات** استمرت حتى ٢٥ ساعة . بعض **الحشرات** عاشت عدة أسابيع ، وبعض **النباتات** مثل الفاصولياء نمت وترعرعت لكنها عجزت عن التكاثر . إلا أن بعض الكائنات الحية الدقيقة تمكنت من التأقلم مع الظروف الصعبة : الفطور والأشنيات والخمائر تكاثرت بصورة اعتيادية تماماً وبالسرعة المألوفة . . وهذا لا يثبت بالطبع وجود الحياة على سطح المريخ ، لكنه يبرز للعيان أن الحياة الأرضية « ممكنة » .

❋❋

افكار

منشورة



●● انشغال المسلمين بالاقتصاد ضرورة عملية لإحكام الرقابة على المال وتداوله، والمسلمون فرطوا كثيراً في هذا المضمار. الإسلام عندما حرّم الخنزير أباح الطيبات لتسد مكان المحرّم، ولما حرّم الربا لا يكفي أن نقول «حرام» ونسكت بل لا بد من وضع البديل، ويجب أن تقوم فعلاً مؤسسات اقتصادية على نظام المضاربة والإقراض كما يصوره الفقه الإسلامي القديم بما لا يخالف قواعد الإسلام. المهم أن يمنع الربا.. وإن الفرح ليغمرني عندما أرى البنوك الإسلامية قد قامت الآن رغم أنها لا تساوي واحداً من ألف من بنوك العالم، مع أن المسلمين يملكون نصف مال العالم.. المهم إنشاء مؤسسات اقتصادية ناجحة وجادة بعيدة عن السذاجة والتبلد الفقهي ●●

محمد الغزالي

مجلة «المجتمع» الكويتية



●● إن أكثر ما يفسد حياة الشباب ويسيء إلى مستقبلهم عدم تعاون الآباء والأمهات على تربيتهم.. وعدم اشتراك المدرّس أيضاً في العملية التربوية.. فكثيراً ما يعد المدرّس نفسه مسؤولا فقط عن تلقين المعلومات، وليس مسؤولا عن تقويم الاعوجاج.. بينما هذا واجب إسلامي، ووطني، وقومي، لا ينبغي أن يتجرد منه المدرّس ●●

عبد العزيز الرفاعي

جريدة (الجزيرة) السعودية



●● إن وجه الإنسان غير قلبه، وقلبه لم يعد القادر ليتفوق على كدر المعاناة.. ولكن الإنسان اليوم يحاول أن ينزع قلبه من صدره ويضعه مرة على وجهه، ويضعه مرة أخرى على لسانه، ويضعه مرة ثالثة خلف ظهره.. يشده ويحمله كأم لم تجد لطفلها مأوى ●●

عبد الله جفري

جريدة «الشرق الأوسط»

●● وجدت في الإسلام طمأنينة القلب، ووجدت أن الناس أكثر إخلاصاً تجاه بعضهم البعض، كما أن هناك ثقة متبادلة بين البشر على اختلاف هوياتهم ومشاربهم، ورغم أن هناك تفاوتاً في درجات الغنى والفقر، إلا أنني لمست إحساساً بعدم وجود أي تفاوت طبقي بمعنى الكلمة، خاصة فيما يتعلق بالمسائل والعلاقات الإنسانية.. ولم أر في حياتي أي مسلم غني يشعر بالحرج أو الخجل من زيارة العائلات المسلمة الفقيرة، وإقامة علاقات إنسانية وطيدة معها.. أما في الغرب فإن الأمور تبدو مختلفة تماماً ●●

سعدية حسن شاه

إنجليزية اعتنقت الإسلام

مجلة «المسلمون»

بين السطور ..

عواصم ثلاث

من بين هذه السطور يشع نورٌ حين نتحدث عن نعمة الله ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .. إن نعم الله لا تحصى ، ولكن شهر الحج الكريم يملي علينا أن نتحدث عن الحج النعمة ، عن القبلة النعمة .

إن الحج الركن الخامس من أركان هذا الإسلام الدين القويم الوسط بين الأديان .. دين « الأمة الوسط» بين الأمم . صنعت بالنور الذي نزل قرآناً يتلى ، وسنَّة معلمة الحضارة الوسيط.

لو جئنا نبحث عن القيمة والتقييم والقوام الذي أنعم الله علينا به حين جعل الحج مثابة للناس وأمناً . فالدين العبادة على صورة الحج عطاء نشكر الله عليه .. أما البيت الحرام فقد أعطى للحرم وسياجه الدنيا السيادة ، كأنما الله سبحانه وتعالى ، وبحسن ظن المؤمن قد أراد سبحانه أن يمكن لهذا البلد مكانة عظيمة زيادة على القلوب ، وإن بخلت عليه بعض الجيوب ، وإن اعتدى عليه من شذ عن الإيمان بقيمة هذا البلد الحرام ، فهو يحفظ الله المثابة للناس والأمن .

إن البيت الحرام القبلة ، وإن انحصر جغرافياً بين الأعلام كحرم فإنه اتسع ، واتسع في كل أرجاء الدنيا . فأي مكان سجد على أرضه مؤمن هو الكعبة بها صح مكان سجود ليصبح الإنسان وهو يعبد الله كأنه يشاهد القبلة .

فالصلاة والقبلة بهما عماد القلب المسلم . ففي كل المشارق والمغارب مكان سجدة ، منبر يعلو عليه صوت القرآن ، محراب يتجه إلى القبلة يضيء القرآن قلب المؤمن ، كأنما الكعبة ، كأنما القبلة ، كأنما الحج عواصم ثلاث تحمي المؤمن من كل ما يسيء ، تحمل المؤمن على أن يكون إحسان إنسان .

إن المسجد الحرام قد نجد أنفسنا الفاخرين به ، الذاكرين الله بين أرجائه ، ولكنا وبكل صدق نرى المسلم في المشرق والمغرب فخره حنين إليه ، ذكره شوق إلى الحج ، فما أكثر النعمة على هذا البلد أن جعل المسجد الحرام فيه جامع الناس بكلمة التوحيد ، بوحدة الاتجاه إلى الكعبة وإن اختلفت وجهة المتجه . فالاتجاه إليه واحد .

ولكن .. هذا البيت الجامع المسلمين تحت كلمة التوحيد يدعوهم إلى أن يحققوا توحيد الكلمة .

فالتوحيد يرتفع المسلم به إلى السماء ، لا يسوده إنسان على الأرض بكهنوت أو كهانة ، أو كرسي اعتراف . وقد حدد التوحيد بالتوبة الاتجاه إلى الله وحده .

أما توحيد الكلمة ففيها العزة ، فلئن كان المسجد الحرام مكان عبادة فإن ميدان الجهاد ومكان عبادة تعتز به العبادة .

إن الحج مؤتمر يجمع الناس ، ما أحسن أن جعلهم على زي واحد ، كأنما يأمرهم أن يكونوا سواسية ، وما أكبر النعمة وأجلها في قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

محمد حسين زيدان

أثر منهج

المحدثين في المنهج الأوروبي التاريخي الحديث

بعد تدوين السنّة النبوية وازدهارها بعشرة قرون ظهرت فكرة مستحدثة في أوروبا تهدف إلى تحديد منهج جديد للتاريخ ، وعندما برز المنهج إلى حيّز الوجود قوبل بالتقدير البالغ وتناقله الشرقيون على أنه جديد ، لكنه في الحقيقة مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين ، ومتأثر به .

ومع هذا فلم يصل المنهج التاريخي إلى ما وصل إليه منهج المحدثين الثقات الأخيار الذين جمعوا بين العلم والعمل ، ودفعهم إخلاصهم لعقيدتهم ، وحبهم لرسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، إلى أن ينقلوا سنّته الشريفة بحرص بالغ ، ودقة فائقة ، فأودعوها سويداء قلوبهم ، ونقشوها على صفحات صدورهم الأمينة ، متبعين في التحمل والأداء أقصى ما في الوسع الإنساني ، ومترسمين أدق الطرق وأسماها حتى تمّ تدوين السنّة نقية مشرقة .

وسأقدم هنا المنهج التاريخي الحديث حتى يتبيّن لنا بالمقارنة أثر مناهج المحدثين وأئمة السنّة ، فيمن جاء بعدهم ، وأثرها في هذا المنهج الحديث وحتى يتضح أن هذا المنهج ليس له من القداسة ما لمناهج أئمة السنّة النبوية الذين استجابوا لله وللرسول .

يقول **الدكتور محمود قاسم** : « لم يتتبع القدماء « الأوروبيون » منهجاً سليماً في دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص ، وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها في قالب أدبي جذاب ، لكن علماء المسلمين عُنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم في النقل ، ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد حدّد **ابن خلدون** قواعد البحث في التاريخ حتى ينهض به إلى مستوى العلوم الجديرة بهذا الاسم ، ثم اتجه الأوروبيون إلى العناية بالدراسات التاريخية ، وبيّنوا القواعد التي يجب على المبتدئ احترامها ، وانتهوا إلى تحديد مراحل البحث تحديداً دقيقاً » أ هـ .

مراحل البحث التاريخي

(أ) مرحلة التحليل التاريخي

(١) إذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ، ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحلّلها ويمحّصها ، والتحليل نوعان : خارجي وداخلي .

التحليل الخارجي : وتتكون هذه المرحلة من عمليتين رئيسيتين هما :

١ ـ نقد الوثائق : لما كانت مادة التاريخ لا تقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ، ولما كانت الوثائق السبيل الوحيدة إلى معرفتها فإنه يجب الحذر في استخدامها ، والعناية بالتفرقة بين الصحيح والمزيف منها ، وتتبيّن ضرورة هذا النقد إذا علمنا أن الإنسان يميل بطبعه إلى تصديق الأخبار دون تمحيص ، إذ التصديق أقل مجهوداً من المناقشة ، والتسليم أيسر من النقد ، وتكديس الوثائق ، كيفما اتفق أقل عناء من وزنها وتقديرها .

وقد بيّن **العلامة « سينيوبوس »** أنه يجب الحذر من بعض العادات العقلية كالميل إلى استخدام أول نسخة تقع في أيدينا ، ولو كانت غير دقيقة ، وكالميل إلى الاعتماد على أقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب منها عهداً ، وكالميل إلى اتخاذ الأغلبية حكماً إذا اختلفت النسخ فيما بينها ، مع أن هذا لا يدل على شيء البتة .

بقلم : د . أحمد عمر هاشم

٢ ـ التحقق من شخصية صاحب الوثيقة : لا تكفي المقارنة بين مختلف النسخ ، بل لا بد من الوقوف أيضاً على مصدر كل وثيقة أين ومتى كتبت ؟ ومَنْ كتبها ؟ وذلك لأنه لا فائدة من استخدام وثيقة تجهل صاحبها وهذه العملية هامة جداً ، ولا سيما إذا كان المؤرخ يدرس إحدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة . فإن كُتَّابها ما كانوا يُعْنَون عناية المعاصرين بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث إلى تصديق نسبة إحدى الوثائق إلى أحد الكتَّاب إذا رأى أنها تحمل توقيعه ، لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج إلى معرفة التصديق ، فإن الانتحال أمرٌ مألوف وأسبابه عديدة ، ونحن نعلم أن بعض فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقيهم ونسبة آثارهم إلى أنفسهم . حقاً **أن خير وسيلة إلى معرفة شخصية الكاتب هي التحليل الداخلي ، غير أنه يجب الاعتماد ، قبل ذلك ، على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة ، وكثيراً ما تكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق أو انتحالها** ، فإن كثيراً من المزيفين لا يتخذون جميع أسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملاً وألواناً من الأساليب التي لم تكن مألوفة في العصر الذي ينسبون الوثائق إليه ، كذلك تجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فإن ذلك يزيدنا علماً بالظروف التي دونت فيها الوثائق الصحيحة ، وبمواضع التزْييف أو التحريف في غيرها ، وتستخدم المقارنة أيضاً في التفرقة بين النص الذي اشترط في كتابته أفراد عديدون ، لأن اضطراب الأسلوب أو عدم تجانسه دليل على تعدد كاتبي الوثيقة ، أو على أن بعضهم ينقل عن بعض ، وتؤدي هذه العملية إلى بعض النتائج السلبية ، إذ تبيّن لنا أن بعض الوثائق مزوّر أو منقول ، وأنه لا فائدة من استخدامه لكن يجب الاعتدال في النقد فإن بعض دارسي الوثائق يغلون في النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم في كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التي يدرسونها .

ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم وإلا انتهى الأمر إلى الشك المطلق ، وهناك آخرون ينقدون لمجرد النقد ، وكلما انتهوا من وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين أن التاريخ نوع من الرياضة العقلية ، وأن أهمية الوثيقة لا تقاس بما تحتوي عليه من حقائق بل بما تثيره من صعوبات .

التحليل الداخلي : ويطلق على مجموعة العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات الوثائق ، وتقدير الظروف التي أحاطت بكتابتها ، **ويتكون التحليل الداخلي من نوعين :**

١ ـ تحليل داخلي إيجابي : ويستخدم للتفرقة بين العناصر الأولية التي يحتوي عليها النص التاريخي تمهيداً لفهم كل عنصر على حدة ، وللوقوف على المعنى الحقيقي الذي ترمي إليه الألفاظ والعبارات .

٢ ـ تحليل داخلي سلبي : ويتمثل في دراسة الظروف التي وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل في دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية ، التي ربما تدعو إلى الكذب أو تؤدي إلى الخطأ ، والقاعدة العامة تنص على وجود الشك في كل راو حتى تتوفر بعض الأسباب القوية التي تدعو إلى الثقة به ، وهذا يحتاج إلى جهد كبير .

وقد حدد « سينيوبوس » القواعد العامة التي يجب اتباعها في هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تمس إحداهما الدوافع التي تدعو إلى الكذب ، وتمس الأخرى البواعث التي ينشأ عنها الخطأ ، وتتكون المجموعة الأولى من الأسئلة الآتية باختصار :

(١) هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة ؟ وهل أراد أن يخدع القارئ ؟

(٢) هل كان الراوي ينتمي إلى جماعة خاصة يميل إلى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها في وضع مشرف ؟

(٣) هل وجد الراوي في مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا ما يحدث عندما لا يتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة .

(٤) هل جره الضرر بشخصه أو بجماعته إلى الاختلاق والتحريف ؟

(٥) هل أراد الراوي التقرب إلى الجمهور وتملقه وإثارة عواطفه ؟

(٦) هل حاول صاحب الوثيقة التأثير في الجمهور بأسلوبه الأدبي ؟ وهل شوّه الحقائق عندما ألبسها ثوباً أدبياً ؟

وأما عن البواعث التي ينشأ عنها الخطأ فتتلخص في مجموعة من الأسئلة الآتية :

(١) هل كان الكاتب في حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحادثة ؟ وهل سلم من بعض العوامل التي تدعو إلى الخطأ كالوهم ؟

(٢) هل تحققت الشروط العلمية في الملاحظة ؟ وهل كان خلواً من الهوى ؟ وهل فهم ما سمع أو رأى ؟

(٣) هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الإهمال عن ملاحظتها وهل ذكر

أموراً لم يرها ولم يسمع عنها شيئاً بل استنبطها بخياله .

(٤) هل كانت طبيعة الحادثة تسمح بملاحظتها ؟ لأن بعض الحوادث تُحاط بالكتمان ، وينتهي التحليل الداخلي بنوعيه : الإيجابي والسلبي إلى تقرير بعض النتائج الجزئية المبعثرة المنعزلة وإنما كانت كذلك لأنها تتصل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب .

(ب) مرحلة التركيب التاريخي

تقوم مهمة المؤرخ بعد هذا بالتركيب التاريخي ويتلخص في الآتي :

● **أولا** : جمع المعلومات وتنظيمها على أساس طبيعتها الداخلية فيقسمها إلى ظواهر لغوية وعلمية ودينية . . . إلخ . وعلى أساس طبيعة الشروط الخاصة المتصلة بمظاهر النشاط الإنساني كالعادات المادية : من مأكل وملبس ونظم اجتماعية .

● **ثانيا** : الاجتهاد ، وقد أباحوا في منهجهم الحديث أن يستخدم المؤرخ الخيال لسد الفجوات في التاريخ بشرط أن يكون مقيداً بنتائج التحليل .

● **ثالثا** : التعليل ، وذلك بربط النتائج جميعها عن طريق بيان العلاقات التي توجد بينها .

(ج) مرحلة العرض

ونظرة المحدثين إلى التاريخ على أنه وصف للحضارة أي لمختلف مظاهر النشاط الإنساني غيّر اتجاههم في طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الإنشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل في هذا الاتجاه الجديد إلى المؤرخين الذين بدأوا محاولتهم على استحياء في القرن التاسع عشر ، وبالجملة لم يعد العرض التاريخي يرمي إلى إمتاع القارئ أو إسداء النصح إليه أو إثارة عواطفه ، بل إلى مجرد المعرفة ، وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الإنسانية ، ويمكن القول إن المؤرخ لا يمكنه إلا إذا أجاد اللغة وإلا إذا ابتعد عن استخدام تلك الألفاظ التي تدل على معان مجردة أدعى إلى الغموض واللبس منها إلى الوضوح .

نقد .. ومقارنة

●● **من ناحية نقد الوثائق** : وأما بالنسبة لنقد الوثائق فإن أصحاب المنهج الحديث يرون وجوب الحذر في استخدامها ، كالحذر من استخدام أول نسخة تقع لديهم أو الاعتماد على أقدم النسخ ، أو الميل إلى اتخاذ حكم الأغلبية ، وبفحص هذه الطريقة لم نجد للوثيقة اتصالا إلى صاحبها الأول وكاتبها ، وكل ما يُعنون به إنما هو الحذر من استخدامهم لأول نسخة أو الاعتماد على أقدم النسخ أو اتخاذ حكم الأغلبية فكأنهم يدرسون ظاهرة الوثيقة كما هي أمامهم دون تتبع طرق وصولها إلى أيديهم فأين هذا من منهج المحدثين الذي تقوم الرواية فيه على نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال ولا شك أن الإسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الإسلامية .

وأما هذا الذي وجهوه إلى نقد الوثائق من حيث الحذر في استخدامها . . . إلخ ، فقد تأثروا فيه ببعض طرق المحدثين ، ولكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه المحدثون حيث وضعوا للحيطة والمحافظة على الحديث أدق ما وصل إليه النقد في القديم والحديث ، ووضعوا قرائن تدل على الوضع في المتن منها إقرار واضعه ، وركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ، ومناقضة الخبر للكتاب والسنّة ، ومخالفته للحقائق التاريخية ، ومخالفته للعقل وغير ذلك .

وبتلك الدراسات الحديثية تكونت الملكات العلمية عند المحدثين فكانوا يدركون الحديث الصحيح في ثوبه الإلهي ، وبضوئه المشرق ، ويعرفون المنكر فيقشعرّ منه جلدهم وتَنْفر قلوبهم منه .

كما قام رجال السنّة بحصر الأخبار الموضوعة ، وحكموا على بعض الأحاديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والوضع والاختلاق .

●● **من ناحية التحقق من شخصية صاحب الوثيقة** : ولما كانت طرقهم في ذلك لا توصلهم إلى بعض النتائج الإيجابية ، ولا توقفهم على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ، فإننا نرى « سينيوبوس » يعيب على من يشك عند وضوح النص ، ويحرم الإسراف في النقد للنص الواضح ، ثم يقرر كل من « **دونو** » و « **فريمان** » و « **سينيوبوس** » أن هناك من الكتب ما هي صحيحة معتمدة مسلّم بصحتها عندهم ولم يصل الشك إليها في رأيهم وهي كتب كبار كتّابهم وفلاسفتهم ، ثم يرون أنه من الضروري قراءتها ، فمن وسائل منهجهم الاستعانة بالعلوم المساعدة التي تعين الباحث على فهم الوثائق التاريخية وهي كتب كبار الكتّاب والفلاسفة ، فيا ليت المتابعين للفكر الغربي وللمستشرقين ينظرون إلى ما يقوله هؤلاء في منهجهم لوضوح النص فقط فكيف بالنص النبوي الشريف الذي توفرت فيه شروط الصحة ، وتوفر لصاحبه أسمى صفات الصدق والثقة ، حتى دوّنت السنّة النبوية على أدق المناهج والمقاييس العلمية ؟ .

أو ليس أولى بكتب السنّة إذن الاعتراف بها خاصة وأن رواتها قد جمعوا الشروط العالية الإسلام ، والعقل ، والصدق وعدم التدليس والضبط ، والعدالة (فيكون الراوي مسلماً بالغاً عاقلاً خالياً من أسباب الفسق وخوارم المروءة) وألا يكون سفيهاً به حيق وعدم اتزان وأن يكون عابداً يزن الأمور بدقة ، وألا يكون صاحب بدعة يدعو إليها .

قال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سواهم لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس ، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به .

●● **من ناحية التحليل الداخلي الإيجابي** : يرى أصحاب المنهج الحديث أنه لا ضرورة إلى تحليل الوثائق الخاصة بالعصور الحديثة ، تحليلاً تاماً لقرب لغتها من لغة المؤرخ ، ويكتفون بالتحليل بالنسبة لوثائق العصرين : القديم والوسيط.

فأين هذه من المناولة فضلاً عن السماع عند البخاري والمحدثين .

●● **من ناحية التحليل الداخلي السلبي** : ويتمثل في دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التي ربما دعت المؤرخ إلى الكذب أو الخطأ . . وفي الواقع أن أصول هذه المبادئ مأخوذة من المحدثين إلا أنها قاصرة ولم تبلغ شأو مبادئ المحدثين لطول الزمن عليها ، ولعدم قداسة المعلومات بالنسبة لما فيها ، أما المحدثون فقد بيّنوا أسباب الكذب والوضع ، منها الزندقة ، والخلافات السياسية ، والتعصب العنصري ، والخلافات الفقهية والكلامية .

●● **من ناحية التركيب الخارجي** : فنراهم يبيحون للمؤرخ استخدام الخيال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيداً بنتائج التحليل ، وهذا لا يقبله المحدثون ولا يرضي منهجهم أبداً بحال من الأحوال .

●● **من ناحية العرض** : فقد صاغه المحدثون في شروط دقيقة هي : الإسلام ، والثقة ، والعدالة ، والضبط ، وألا يكون متبعاً لبدعة يدعو إليها . . . إلخ .

كما تميّزت طرق التحمل والأداء عند المحدثين بالدقة الفائقة التي لا يمكن أن يصل إليها أصحاب المنهج التاريخي ولا غيرهم . ومثال هذه الطرق :

(١) **السماع** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق سمعت أو سمعنا .

(٢) **القراءة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق قرأت على فلان ، وقرئ على فلان وأنا أسمع .

(٣) **الإجازة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أجازني أو أجازنا فلان .

(٤) **المناولة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق ناولني أو ناولنا فلان مع الإجازة .

(٥) **المكاتبة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق كتب إليّ أو إلينا فلان .

(٦) **الإعلام** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أعلمني أو أعلمنا فلان .

(٧) **الوصية** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق أوصى إليّ أو إلينا فلان ، وحدثني فلان بالوصية .

(٨) **الوجادة** : ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق وجدت بخط فلان إذا عرف الخط ووثق به .

أما أصحاب المنهج التاريخي فيعتمدون في صحة وثائقهم على الحفريات والأوراق المتناثرة التي قد تكون منذ آلاف السنين ، ولا يعترف بها رجال الحديث ، وأين هذه الأمور مما اشترطه المحدثون من طرق التحمل والأداء ، ولو أن أصحاب هذا المنهج التاريخي اشترطوا شروطاً كشروط المحدثين ، أو صاغوا مناهج كمناهجهم ما كان ليصلهم شيء من تاريخهم القديم والأوسط ، وأكثر العصر الحديث بل ولا ثبت عندهم من كتبهم التي عدوها أصولا في نظرهم شيء ما .

وأنى لهم ذلك ؟ والمحدثون في دقتهم وتحرّيهم قد وصلوا إلى درجة عالية ، فها هو **الإمام البخاري** يقول : « كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر إسناده »(١) .

وقال أيضاً : « لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث إن كان الرجل فهماً فإن لم يكن سألته أن يخرج إليّ أصله ونسخته ، أما الآخرون فلا يُبالون بما يكتبون وكيف يكتبون ، ولم يكن من بين أهل الحديث من يحابي في الحديث أباه ولا أخاه ، ولا ولده ـ كشأن غيرهم ، وهذا **علي بن المديني شيخ البخاري** لا يُرْوَى عنه حرف واحد في تقوية أبيه بل يُروى عنه ضد ذلك »(٢) .

هذا بالإضافة إلى أن المحدثين يقدّمون الحديث متناً وسنداً بكامل رواته فيبحث عنه من شاء الاستيثاق به ، فيراه موصولا في موضع آخر وعند رواة آخرين ثقات وهكذا . أما أصحاب المنهج التاريخي الحديث فيطبقون منهجهم فيما بينهم ولا يوقفون القارئ على خطوات بحثهم .

وهكذا نخلص من مقارنة المنهج التاريخي بمنهج المحدثين بما لمنهج المحدثين من أثر عظيم فيه ، وبما له من جلالة قدر ، وسموّ في مجال النقد العلمي ، وهكذا كانت مكانة السنّة النبوية عند أئمة الحديث وأهميتها في نفوسهم وقداستها وحرمتها وقيامهم عليها بالحفظ والعناية ، والضبط والصيانة .

الهوامش

(١) تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(٢) شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ص ٨٠ ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

كلمة طيبة

وستعود قبة الصـ

الجمعة ٢٢ جمادى الآخرة/ ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٨٢ م .

ذلك دون شك كان يوماً من أسود أيام حياتي .

فإنني أفتح جريدة الصباح فأقرأ أن الضرر الذي أصاب قبة الصخرة من جراء عدوان رجل صهيوني من أصل أميريكي يعز على الإصلاح . مائة رصاصة استقرت في جدران قبة الصخرة . زجاج القبة كله قد تناثر . وطَبْلة القبة تخرَّبت وأكلتها النيران . هذه القبة الفريدة في بابها عمل فني وحيد من نوعه في التاريخ . إنها من خشب مبطن بالجص من باطن ومغطى من ظاهر . إنها متعة للعين والقلب . كنت إذا قاربت ميدان الصخرة عدوت نحوها حتى أقف أمام مبناها المثمن الجميل وأتأمل المشهد الرائع . دائماً كنت أخاف عليها من اليهود . لم أزرها من يوم احتلوا القدس العربية ولكنني عشت معها ساعات بعد ساعات من أيام عمري أتأمل هيأتها البديعة وأتملى في تفاصيل زينة الفسيفساء والزجاج الملون والكتابات العربية الجميلة . ما أجمل مربعات الكاشاني التي تلبس جدران هذه الجوهرة الغالية من جواهر الفن الإسلامي .

إن قبة الصخرة ليست مجرد أثر معماري حضاري بل هي كتاب فن مفتوح . هنا في موضع مسجد قبة الصخرة أقام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ظلة تقي الصخرة التي عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها إلى السماء ، ثم جاء عبد الملك بن مروان فأنشأ ذلك المبنى الجميل فيما بين سنتي ٦٨٥ ـ ٦٩١ ميلادية . رحم الله عبد الملك ، فقد كان بناءً عظيماً ، ملأ دولته بعظيم المنشآت ، ووضع بمنشآته أساس الفن الإسلامي الشامخ ، فإن الوليد هو الذي جدد كذلك المسجد الأقصى وأعطاه هيأته الرفيعة التي تناولها الخلفاء والسلاطين من بعده بالزيادة والإضافة والتجديد ، ولكن الهيكل الذي وضعه عبد الملك ، أو الذي وضع في عصره هو الباقي إلى اليوم ، وكذلك تجديد المسجد النبوي الشريف أيام عبد الملك أعطى ذلك المسجد صورته التي وصل بها إلى العصر المملوكي ، وفي العصر الأيوبي عندما كانت مصر والشام والحجاز دولة واحدة تسمى سلطنة مصر والشام أعيد تجديده ، وكانت تلك السلطنة في أول قيامها من عصر الظاهر بيبرس إلى عصر الناصر محمد بن قلاوون وابنه المنصور دولة غنية تفرغ جانباً عظيماً من غناها وأموالها على الإنشاء والتعمير ، وقد حظي المسجد الحرام بمكة ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، والمسجد الأقصى بالقدس ، وكذلك قبة الصخرة والمسجد الجامع بدمشق بأكبر جانب من عناية أولئك السلاطين ، وهؤلاء المماليك كانوا أساساً مماليك الأيوبيين يتابعون سياستهم ، وخاصة أعظم الأيوبيين وهو صلاح الدين الذي استعاد القدس من أيدي الصليبيين سنة ١١٨٧ م ، وجدد كل المنشآت القائمة على صخرة موريا وهي المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومنشآت أخرى كثيرة تزين تلك البقعة الطاهرة .

آخر مرة رأيت فيها قبة الصخرة كانت سنة ١٩٥٦ م . ذهبت إلى القدس في رفقة عظيمة من رجال العرب وشبابهم ، خلال الأيام القليلة التي قضيناها في القدس كان أصحابي يتفرقون يحضرون جلسات مؤتمر الخريجين ، أما أنا فقد كنت أرابط فيما بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة . كنت أجلس ساعة بعد ساعة أمام مدخل قبة الصخرة وأتأمل منظر

ـــخرة أزهى ماتكون!

مسجدها البديع بألوانه الزاهية وهندسته الدقيقة والكتابات العثمانية بخط الثلث التي تسير افريزاً بديعاً من الذهب على قاعدة من الأزرق البنفسجي وكلها آيات قرآنية يخشع لها القلب . شيء ما في نفسي كان يقول لي إنني لن أرى تلك القبة المذهبة إلا بعد عمر طويل ، ويجتمع الرفاق للرحيل ويلتمسني أصحابي فلا يجدونني ، ويقول لهم الشيخ الباقوري أطال الله في عمره : التمسوه هناك عند قبة الصخرة ، فهذا عاشق المساجد . وعندما عدت إليهم أنشدني بيت الشاعر :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

شيء ما في نفسي كان يقول لي : إن اليهود لن يبقوا على ذلك الأثر الجميل . الحقد المتلظي داخل قلوبهم لا بد أن يحرقه يوماً . لقد ظل الصليبيون هنا في القدس تسعاً وسبعين سنة من ١٠٩٩ إلى ١١٨٧ ميلادية فلم ينالوا من الأقصى وقبة الصخرة ما ناله اليهود منها في خمس عشرة سنة ، لأن اليهود دون شك أبعد البشر عن الإنسانية والإحساس الكريم . لقد أغار التتار على بلاد الشام فلم يبلغوا من منشآتها هذا المبلغ ، ولكن اليهود شر من التتار ومن كل البرابرة الذين عرفهم التاريخ ، ففي ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩م ، بعد سنتين وشهرين من حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧م ، واحتلال اليهود للقدس العربية حاول شاب يهودي قيل يومئذ إنه مجنون أن يحرق المسجد الأقصى ، وأتى الحريق على منبر صلاح الدين ، وهو منبر عظيم كان البطل العظيم قد صنعه خاصة لتخليد ذكرى تحرير القدس على يديه سنة ١١٨٧م . ونال الحريق كذلك الجزء الخلفي من المسجد وقبته . وقد قال اليهود يومها إنهم سيصنعون منبراً مطابقاً لمنبر صلاح الدين ويضعونه مكانه ، ولكن هيهات : صهيوني يصنع منبراً لمسجد ! .

وبدلا من ذلك نجدهم اليوم يحرقون قبة الصخرة ويزعمون أن الذي فعل ذلك شاب مخبول . ومهما كان خبال هذا الشاب فإنه لن يقاس بخبال الصهيونيين ، أولئك الحاقدين الذين أشقاهم الله بأنفسهم وأشقى الناس بهم . إنهم يعسفون إخواننا أهل فلسطين وينزلون بهم الويلات ، ويعلم الله أنهم معذبون داخل نفوسهم بأشد من عذاب الفلسطينيين . فإنهم متدابرون متقاطعون في أرض فلسطين تؤرقهم الوساوس والمخاوف ويخافون أن يتخطفهم العرب . وبإذن الله سيتخطفهم العرب ويستعيدون منهم أرضهم ويجعلونهم أثراً بعد عين ! هذا سيحدث إن شاء الله ، لأن الله سلطهم على أنفسهم وأشقاهم بأيديهم ، فاليهودي الغربي الذي ذهب إلى فلسطين يحلم بالدولة الصهيونية وجد نفسه في سجن وحرب ، واليهودي الشرقي الذي ظن أنه خرج من سلطان العرب في بلده الأصلي يجد نفسه الآن أذل من وتد بقاع ، وعلى أيدي من كان يظن أنهم إخوانه .

د. حسين مؤنس

الشعر العربي في الحروب الصليبية

بقلم: د. شكري فيصل

-١-

لعل واحدة من أفضل المميزات التي تميز بها الشعر العربي كما تميزت بها الحياة العربية ، أن هناك هذه الصلات المعقودة بين هذا الشعر وبين الحياة بأحداثها ورجالها وتاريخها .

كان ذلك واضحاً في قديم هذا الشعر العربي ، في **الشعر الجاهلي** ، وكان واضحاً كذلك في **الشعر الاسلامي** الذي قيل بعد الإسلام منذ عصر **النبي** ﷺ **والخلفاء** من بعده ، وخلال العهود الإسلامية الأخرى ، ثم هو واضح كذلك في محْدَث هذا الشعر منذ كان **عصر النهضة** حتى يوم الناس هذا .

ومن هنا كانت المقولة المشهورة التي نقلها **ابن سلام** في فقرة من فقرات مقدمة كتابه « **طبقات فحول الشعراء** » وتداولها كثيرون بعده : « **كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يرجعون** » .

وإذا صدقت هذه المقالة - وهي صادقة - على الشعر في العصر الجاهلي ، فهي تصدق كذلك على الشعر العربي في عصوره كلها .

وأياً كان الرأي في آماد التطور التي حققها شعرنا خلال رحلته الطويلة ، أكانت آماداً ضيقة أم كانت فسيحة ، أكان تاريخه واضح التطور أم كان بطيء التطور ، فإن هناك حقيقة أكيدة تخالط هذا الشعر دائماً هي ارتباطه بأحداث الحياة العربية وتفاعله معها وتعبيره عنها .. إن له في كل عصر من عصوره الأدبية هذه النزعة إلى « **التأريخ** » أو هذا الاتجاه إلى « **تسجيل** » الأحداث ، والوقفة عندها .

وتختلف هذه الوقفة بين أن تكون في **مجال التمجيد والمدح ، أو مجال الوصف والتصوير ، أو في مجال الاعتبار والتأمل** ، أو في هذه المجالات كلها مجتمعة .

إن قصيدة مثل قصيدة **بشار** في مدح **القيسية ومروان بن محمد** وأحداث الخلافات والانتفاضات **آخر العصر الأموي** ، ومثل قصيدة **أبي تمام** في فتح **عمورية** ، **وابن الرومي** في رثاء **البصرة** ، **والمتنبي** في **معركة الحدث** بين **سيف الدولة** وخصومه من **البيزنطيين** .. إن مثل هذه القصائد - دون أن نتحدث عن قيمتها الفنية - ذات قيمة تاريخية كبيرة .. إن فيها من التفاصيل ما تحمله كتب التاريخ بالذات ، وإنا لنقع في دراستها على أسماء وأشخاص وأماكن وعلى تفاصيل جزئية ودقائق صغيرة لا نجدها في غيرها .

-٢-

والحروب الصليبية التي امتدت نحواً من قرنين كانت من بعض الأحداث الكبرى التي واجهت المجتمع الإسلامي .. كانت أضخم الأحداث ، بما كان من وقائعها وحروبها وبما كان من آثارها ونتائجها .

ولقد خاض الشعر العربي هذه الحروب .. كان جزءاً منها ، بل إنه ليؤلف بضعة من تاريخها .. وكان الشعراء في هذه الحروب على نحو مما كان المقاتلة والجنود .. كان لهم في كل معركة صوت ، وعند كل شدة ابتهالة ، وعند كل كرب استغاثة واستنصار ، وفي كل نصر أغرودة .. وكانوا إذا وردت بشائر الغلبة في المعارك هرعوا إلى ذواتهم يخلون إليها ويعبرون عن هذه المشاعر التي تنتابهم ، وكانوا من خلال ذلك يسجلون بعض الأحداث ويتوقفون عند بعض التفاصيل ، لأن هذه التفاصيل كانت تؤلف مادة العمل الأدبي كما كانت تؤلف منطلقه وبواعثه على السواء .

والحق أن الشعر الذي قيل خلال الحروب الصليبية شعر غزير .. ولو أن مؤرخاً للأدب العربي ذهب إلى القول بأنه لم يكن هنالك شاعر من شعراء هذه المنطقة خلال القرنين اللذين استغرقتها هذه الحروب إلا شارك في ذلك وقال فيه ، لم يكن بعيداً عن الدقة . لكن هذا الشعر لم

يصلنا كله ، غاب كثير منه خلال الأحداث ، ثم غاب كثير منه فيما ضاع من شعر هؤلاء الشعراء ، ولا يزال قدر كبير من دواوين هذه الفترة مبعثراً هنا وهناك ، في خزائن المخطوطات أو على أرفف المكتبات المبثوثة في الشرق والغرب .

-٣-

ولعل صلتنا بالشعر العربي الذي قيل في الحروب الصليبية إنما كانت ، بادىء ذي بدء ، عن طريق كتاب ، هو في بابه أفضل الكتب التي وصلتنا من القرن السادس .. هذا الكتاب هو كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » لأبي شامة المقدسي الدمشقي (٥٩٦ - ٦٦٥) .

والكتاب في الأصل كتاب تاريخ ، ولكنه في الوقت نفسه مصدر من مصادر الشعر لهذه الفترة .. ذلك أنه لا يكاد يذكر الحادثة حتى يذكر الشعر الذي قيل فيها ، ولذلك ظل مصدراً أساسياً من مصادر الدراسات الأدبية والتاريخية على السواء .

غير أن كتاب أبي شامة لم يبق - إلى جانب الدواوين المطبوعة لشعراء هذه الفترة - المصدر الوحيد لمعرفة الشعر العربي في الحروب الصليبية ، فقد نشر في العقود الأخيرة كتاب رائع **للعماد الأصفهاني** اسمه **« خريدة القصر وجريدة العصر »** .

-٤-

والعماد الأصفهاني كان متلبساً بالخدمة النورية - على حد تعبيره هو - ثم كان كاتباً لصلاح الدين ، **وصلاح الدين** كان الرجل الثاني في الحروب الصليبية بعد عماد الدين وابنه **نور الدين** .. إنه اقتطف ثمار النصر الذي عمل له في دأب وصبر ومشقة نور الدين وأبوه عماد الدين قبله .. إنهما شقّا له الطريق فبلغ بهذا الطريق غايته .

وكان العماد الأصفهاني أديباً ، كان شاعراً وناثراً وناقداً ومؤرخاً .. ونشأته في **العراق** ورحلاته بين **مصر والشام** ، ومكانته من صلاح الدين وصلاته الثقافية المتشعبة هنا وهناك ، ذلك كله أتاح له أن يتعرف إلى العديد الذي لا يُحصى من الشعراء ، فاستقام له أمر هذه المجموعة الشعرية الكبيرة من شعراء القرن السادس في مناطق العالم الإسلامي كله آنذاك .

في هذا الكتاب نقع على مجموعة لم تكن معروفة من قبل من الشعر العربي في الحروب الصليبية ، ونظفر بمصدر غني من مصادر هذا الموضوع .

وفي مقال قصير هدفه التعريف الموجز لا سبيل بالطبع إلى عرض هذا الشعر .. وحسبي لذلك أن أقف عند شاعر واحد من هؤلاء الشعراء ، آثرت الحديث عنه لأن ديوانه لما يطبع ، ولأنه كان من رؤوس الشعراء آنذاك هو **الأديب القيسراني** .

فمن هو هذا الشاعر ، وماذا كان من عمله الشعري خلال هذه الحروب الصليبية ؟ كيف كان حديثه عنها وتسجيله لانتصاراتها وتمجيده لأصحابها ؟ .

الأديب القيسراني

القيسراني ، أبو عبد الله محمد بن نصر ، ولد **بعكا** سنة ٤٧٨ هـ ، ونشأ **بقيسارية** ، وإليها نسبته ، ثم انتقل عنها - على حد تعبير العماد في الخريدة - بعد استيلاء الفرنج على بلاد الساحل .

ومعنى هذا ، إذا استعملنا لغتنا المعاصرة أن **القيسراني إنسان عربي مسلم ، ولد في فلسطين ونشأ بها ، وشهد النكبة الأولى ، وكان من هؤلاء الذين غادروا مدنهم وقراهم ، وارتحلوا عن بلادهم وأوطانهم بعد أن غزاها الفرنجة واستولوا عليها .**

كان هذا الشاعر ، إذن ، جديراً أن يتابع حركة هذه الحروب ، وأن يتحدث عنها ، وأن يسخّر قدراته الغنية للاشادة بالأمراء المسلمين في انتصاراتهم ، وأن يبذل شعره في تمجيد فتوحاتهم .

وكذلك كان .. فقد سجل **أبو شامة** صاحب الروضتين بعض شعره الذي قاله في هذه الفتوحات من خلال مديحه لأصحابها ، كما سجل العماد الأصفهاني بعد ذلك في قسم شعراء الشام من الخريدة طائفة أخرى من هذا الشعر .

-٥-

ومن المعروف أن مدينة « **الرُّها** » كانت من كبريات المدن التي احتلها **الصليبيون** ، ولها في نفوسهم منزلة ، لأنها كما يقول أبو شامة : « إحدى الكراسي عندهم ، فأشرفها البيت المقدس ، ثم انطاكية ، ثم رومية ، ثم قسطنطينية ، ثم الرُّها » .

وقد استولى عليها النصارى ، ثم فتحها عماد الدين زنكي بعد تمهيد حربي ذكي في معركة استمرت ثمانية عشر يوماً من سنة **٥٣٩** هـ .. فإذا شعر كثير يقوله الشعراء آنذاك في هذا الفتح ، وإذا قدر من هذا الشعر يقوله القيسراني نفسه .

فمن ذلك هذه القصيدة التي قالها في مديح **جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني وزير زنكي** يهنئه فيها بفتوح مدينة الرُّها ومطلعها :

أما آن أن يَزْهَق الباطلُ ... وأن يُنْجز العِدَةَ الماطلُ

ومنها :

فتوح الفتوحات ، تنظم القنا
ة ، أعلى أنابيبها العامل
.. شققتم إليها بحار الحديـ
ـد ، ملتطماً موجه الهاطل
وخُضتمْ غمار الرّدى بالرّدى
وعن نفسه يدفع القاتل

ولكن الشعراء لم يكونوا يكتفون بمثل هذا الكلام في تمجيد

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

تصويب لغوي

لبعض الاستعمالات الشائعة

(مؤشرات التذكير والتأنيث)

والسماء ، والسحاب ، والريح) ونحوها علاقة بالتأنيث ، فالأرض اعتُبرت مؤنثة ـ وإن لم تشتمل على علامة تأنيث ـ لأنها موطن إخراج النبات كالمرأة ، فهي موطن التوالد والنتاج ، وكذلك السماء اعتُبرت مؤنثة ؛ إذ هي تجود بالرزق ، والمطر ، وهكذا الريح ، والسحاب ، ونحو ذلك .

وأما عدم اعتبارها مؤنثة في نظر العرب جميعاً ، واقترانها بعلامة تأنيث ، فيرجع إلى التصور المذكور الذي يرتكز على ملاحظة خاصة يلحظها القائل بالتأنيث ، وقد لا يوافق غيره عليها .

فالتأنيث ، والتذكير كلاهما مبني على الملاحظة القائمة في أذهان المتكلمين ـ على اختلاف لغاتهم ، ولهجاتهم ـ وترك التصريح بعلامة تأنيث في تلك الألفاظ ، وما شاكلها تعبير عن هذه الظاهرة .

وبهذا يتبين لنا أن أمر التأنيث والتذكير ـ غير الحقيقي ـ لا يخضع للمنطق العقلي ، لأن للُّغة منطقها الخاص ، فالاصطلاح والعرف اللغوي هو الذي ذكّر (الهواء) ، وأنّث (الأرض) و (السماء) .

في اللغات الأخرى

وهذا ليس خاصاً بالعرب وحدهم ، بل يمكن أن نلحظه في اللغات المختلفة ، ولذلك لا تكاد تتفق اللغات في هذا ، فبينما يَعتبر قوم شيئاً ما مؤنثاً ـ في لغتهم ـ يعتبره آخرون مذكراً تبعاً لاختلاف نظرة الشعوب ، والمجتمعات اللغوية .

فالشمس والقمر ـ مثلاً ـ تختلف اللغات في اعتبارهما مذكرين أو مؤنثين ؛ فالشمس مؤنثة في العربية مذكرة في **الإنجليزية** والقمر بالعكس[1] .

وحتى في اللغات المتفرعة من أصل واحد ، ـ كاللغات السامية مثلاً ـ نلحظ اختلاف النظرة بين المتكلمين بها ، فالشمس مؤنثة في العربية ـ كما عرفنا ـ لكنها في **العبرية والآرامية** جائزة التذكير والتأنيث ، وقد استقرت في **الآشورية** على التذكير ، وكلمة (كف) مؤنثة في العبرية ، **والسريانية** ، وجائزة التذكير والتأنيث في العربية ، ولكنها مذكرة في الآرامية .

ومن هنا نفهم : لماذا اعتبر العرب أشياء ـ من غير المؤنث الحقيقي ـ مؤنثة ، فذلك ـ على ما يبدو ـ تمّ تبعاً لملاحظاتهم فيها .

ويمكن أن نعتمد في معرفة تذكير هذه الأشياء ، وتأنيثها على النصوص الأصيلة التي استعملت فيها .

فمثلاً : كلمتا (الحرب) و (السِّلم) : مؤنثتان ، أو الراجح فيهما التأنيث ، ويدرك ذلك من النص القرآني الذي يعد الأنموذج الذي يجب أن يحتذى في قوله تعالى ﴿ **حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** ﴾[3] ، على حين نسمع الآن استعمال (السلم) مذكراً .

وقوله تعالى ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾[4] ، فاستعمل (السبيل) مؤنثاً على حين يكثر تذكيره في استعمالنا اليوم .

وتقول : (هذه ألف ريال) والواقع أن (الألف) مذكر ، أو الراجح فيه ذلك ، بدليل قوله تعالى ﴿ **يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة** ﴾[5] ، فأنث العدد (خمسة) والتأنيث في العدد من (ثلاثة إلى تسعة) يكون مع المعدود المذكر .

أعضاء الجسم

ونظر العرب إلى أسماء الأعضاء المزدوجة ـ في جسم الإنسان والحيوان بعامة ـ على أنها مؤنثة ـ غالباً ـ كالعين والأذن والكتف ، والذراع ، والكف ، والفخذ ، فتسمعهم ـ مثلاً ـ يقولون : (العرب يعرفون من أين تُؤكَلُ الكتف) فيؤنثون الفعل المسند إلى (الكتف) ، وهذا دليل تأنيثه .

ويستثنى من الأعضاء المزدوجة (الحاجبان ، والخدان ، والمنخران) ، فإنها مذكّرة في الاستعمال العربي .

ونلاحظ أن المتكلم العربي الآن يستخدم بعض هذه الأعضاء المزدوجة استخداماً صحيحاً فيؤنث مثل : (العين والأذن) ويُذكّر مثل : (الحواجب والخدود) ، ويستخدم بعضها الآخر ـ كالكتف والذراع والعضد ـ مذكراً ، وفقاً لما أُثر عن بعض العرب في ذلك ، وإلا فإنه قد سُمع عن العرب الفصحاء تأنيثها أيضاً ، وعلى نطاق واسع .

أما الأعضاء غير المزدوجة فهي مذكّرة ، كالرأس ، والقلب ، ومع ذلك فإن المثقفين والكتّاب اليوم ـ بصورة عامة ـ يؤنثون (الرأس) فيقال : (هذه الرأس) لا : (هذا الرأس) .

المساواة بين المذكر والمؤنث

(٢) وهذا مجال آخر تظهر فيه دقة اللغة العربية ـ في منطقها الخاص ـ وذلك في مواضع معينة ، يُسوى فيها بين المذكر والمؤنث ، في بعض صيغ المبالغة ، وهي :

١ ـ فَعُول ٢ ـ فَعيل ٣ ـ مِفْعال
٤ ـ مِفْعيل ٥ ـ مِفْعَل .

والواقع أن العربي نظر إلى هذه الصيغ نظرتين ـ من حيث إلحاق علامة التأنيث ، وعدم إلحاقها ـ حسب المعنى المراد من كل منها .

● فصيغة (فَعُول) تأتي ـ أحياناً ـ للدلالة على أن الموصوف هو الذي أحدث

الصفة ، فهي ـ حينئذ ـ بمعنى (فاعل) مثل : (صَبُور) فهي بمعنى (صابر) ؛ و (طموح) فهي بمعنى (طامح) ، وفي ذلك يستوي المذكر والمؤنث ـ بدون علامة ـ فتقول : (رجلٌ صَبور) و (امرأة صَبُور) و (طالبٌ طمُوح) و (طالبة طمُوح) .

وتأتي صيغة (فَعُول) ـ أحياناً ـ للدلالة على أن الصفة لم يُحدثْها الموصوف ، وإنما وقعت عليه ، ونزلت به من مُحْدث آخر ، فهي ـ حينئذ ـ بمعنى (مفعول) مثل : (ركوب) بمعنى (مركوب) ، و (ذلول) بمعنى (مذلّل) ، وفي ذلك يُفرّق العربي بين المذكر والمؤنث بعلامة التأنيث ، فيقول : (هذا جمل ركوب) و (هذه ناقة ركوبة) .

● **وكذلك صيغة (فعيل) يفرق فيها العربي بين استعمالين :**

(أ) فإذا كانت تدل على وقوع الصفة على الموصوف من غيره سوّى بين المذكر والمؤنث ، ـ بدون علامة ـ مثل : (رجل قتيل) و (امرأة قتيل) .

(ب) وإذا كانت تدل على إحداث الموصوف للصفة فرّق بينهما بعلامة التأنيث ـ التاء ـ مثل : (رحيم) ، فيقال : (والد رحيم) و (والدة رحيمة) بمعنى (راحم ، وراحمة) .

فذكر العلامة في إحدى الصورتين دون الأخرى دليل على حكمة العربي ، ليكون المراد واضحاً للقارئ والسامع .

● **وقد سوّى العربي بين المذكر والمؤنث في صيغ أخرى هي :**

(مِفْعال) مثل : (رجل متلافٌ) ، و (امرأة متلافٌ) . و (مِفْعيل) مثل : (رجل مِعْطير) و (امرأة مِعْطير) . و (مِفْعَل) مثل : (رجل مِدْره) و (امرأة مِدره) (بمعنى داهية خبير بالأمور) .

بيد أننا نلاحظ أن الاستعمال السائد الآن يُلحق علامة التأنيث بهذه الأوصاف ، والصيغ ، دون ملاحظة لما وضعه العربي من قواعد ، ونظم ، فالمتكلمون الآن يلحقون العلامة دائماً ـ في صورة المؤنث ـ فيقولون : (امرأة صَبورة) ، و (امرأة متلافة ، وقتيلة) .

فذكر العلامة ـ دون ملاحظة ما نص عليه العرب من وجوه الاستعمال السابقة ـ مجانب للصواب كما ترى .

أوصاف المؤنث

(٣) وهناك نوع ثالث من الكلمات التي تقع أوصافاً ، وهي خاصة بالمؤنث ، مثل : الرضاعة ـ الحَمْل ـ الحيض ـ الطلاق .

فالمعروف أن هذه الصفات خاصة بالمرأة ، ولا لبس في ذلك ، ولا إبهام ، ومن هنا تبطل الحاجة إلى وضع علامة التأنيث ، ولذلك يقول العربي : (امرأة حامل ـ مرضع ـ حائض ـ طالق) فهي على معنى : ذات حمل ، وذات إرضاع ، أو حيض ، أو طلاق ، وعليها جاء قوله تعالى ﴿ **وتضع كل ذات حمل حملها** ﴾[٦] .

فهذا ملحوظ فيه الحالة الدائمة لوصف المرأة بالإرضاع ، أو الحَمْل ، أو الحيض ، أو الطلاق ، إلى غير ذلك مما هو مختص بها دون الرجل .

التجدد والحدوث

وقد ترتبط هذه الصفات بالمرأة ـ على جهة التجدد والحدوث ـ في وقت دون آخر ، فيراد ـ مثلاً ـ من (مُرْضع) : أنها أرضعت طفلاً في وقت مضى مرّة واحدة ، أو مرتين ، أو في الوقت الحاضر دون غيره ، كأن يقال : (هي مرضعةٌ طفلها الآن) .

فهنا يأتي العربي بالتاء ؛ لإفادة التجدد والحدوث ، والارتباط بظروف معينة ، وعلى ذلك جاء التعبير الرائع في القرآن الكريم عن أحداث يوم القيامة ، وأهوالها ، بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت** ﴾[٧] ، لأنه يريد : أن الساعة تأتي ، والأم على حال إرضاعها لطفلها ـ وهي أشد ما تكون حُنُوًّا عليه ـ فتذهل عنه ، وكأنه شيء لا علاقة لها به ، وفي هذا دلالة على فداحة الأهوال ، وفظاعتها ، ولو أن القرآن الكريم استخدم (مرضع) مكان (مرضعة) لم تكن للفظ الدلالة نفسها .

وقال الشاعر :

أيا جارتا بيني فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

فاستخدم (طالقة) على أساس حدوث الطلاق في الحال .

وكذلك إذا أُريد من (حامل) وضع المرأة حِمْلاً على ظهرها فيُفرّق العربي بين (الحَمْل) ـ الخاص بالجنين ـ و (الحِمْل) ـ على الظهر ـ بأن يُلحق الوصف في الحالة الثانية علامة التأنيث ، فيقول : (حاملة) ـ لواضعة الشيء على ظهرها .

ومن هنا نلمح دقة اللغة في منطقها الخاص ، لكننا نلاحظ أن الاستعمال الآن يجري بتأنيث هذه الألفاظ مطلقاً ، وهذا بعيد عن الصواب .

الهوامش

(١) انظر : مناهج البحث في اللغة ، للدكتور تمام حسان . ط الرسالة ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م ، ص ٢١٦ .
(٢) سورة محمد ، الآية ٤ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .
(٤) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٢٥ .
(٦) سورة الحج ، الآية ٢ .
(٧) سورة الحج ، الآية ٢ .

الذكاء الصناعي

هل يمتلك الكومبيوتر القدرة على الإبداع؟

بقلم: د. ماهر محمود الهواري

الذكاء قدرة من القدرات التي يتمتع بها الإنسان، وقد يوجد بصورة من الصور عند بعض الحيوانات وإن كان البعض يفضل أن يطلق عليه اسم غريزة عند الحيوان، ولكن أن يكون الذكاء قدرة تتمتع بها آلة ميكانيكية صنعها الإنسان فهذا شيء يبعث على الدهشة. والواقع أن مفهوم الذكاء الصناعي قد استحوذ على اهتمام كثير من الباحثين في علم النفس والعلوم الهندسية. وبعد أن كان الإنسان ينظر للكمبيوتر على أنه آلة تكنولوجية يمكن أن تفيده في حياته العملية أصبح ينظر إليه بحب استطلاع متوقعاً لما يمكن أن يقوم به، ثم أصيب بالدهشة نظراً لما اتضح من قدراته.

ولقد برز نتيجة دراسات وأبحاث علماء الهندسة والرياضيات وخبراتهم عن الكمبيوتر سؤال من أهم الأسئلة في التاريخ الحديث عن الفلسفة والتكنولوجيا وهو: **هل يفكر الكمبيوتر؟ وهل له ذكاء؟** (٣ ص ٧) وخرج إلى ميدان العلم مصطلح جديد هو مصطلح «**الذكاء الصناعي**». والواقع أن الكمبيوتر يبدو في بعض الأحيان متمتعاً بقدرات أكثر من الإنسان. إنه يمكنه أن يعمل ٢٠٠ ألف عملية في الثانية. ويتكلم المهندسون الآن عن عمليات للكمبيوتر يمكن أن تتم في واحد على مليون من الثانية.. إن هذه السرعة الهائلة تؤدي إلى اختصار شديد للوقت والجهود (٤ ص ١١٤). إن عمل البشر لعدة سنوات يمكن أن يتم في دقائق بالنسبة للكمبيوتر ولو أن إعداد البرنامج المناسب قد يستغرق من الإنسان وقتاً طويلاً.

تعريف الذكاء الصناعي

بالرغم من أن الكمبيوتر يستطيع أن يتعلم ويتذكر ويستدعي خبراته ومعلوماته ويستخدمها بنجاح في حل المشكلات التي تواجهه، إلا أنه من الصعب أن نعرف ذكاء الآلة بنفس الطرق التي نعرف بها ذكاء الإنسان ولذلك نذكر تعريفاً إجرائياً (٣ ص ٢١٣) **إنه سلوك الآلة الذي إذا ظهر عند الإنسان يسمى ذكاء.**

وهناك تعريف آخر يقول (٣ ص ٢٢٥) إن الذكاء الصناعي يشمل العمليات الآتية:

(أ) قدرة الآلة على تنظيم المعلومات في أنماط لها معنى، القدرة على التصرف، تخزين واستدعاء المعلومات، التعامل على أساس هذه النماذج من المعلومات المخزونة في الألعاب، وحل المشكلات والإجابة على الأسئلة.. إلخ.

(ب) قدرة الآلة على التكيف مع البيئة وبصفة خاصة الاستجابة لأنماط الإثارة التي لم تبين بوضوح في التصميم.

(ج) ملاحظة الأداء لهذه الآلات كما يقاس بالمقارنة أو التنافس مع ذكاء الإنسان.

بحوث عن الذكاء الصناعي

وفيما يلي سوف نتحدث عن البحوث التجريبية التي تناولت موضوع الذكاء الصناعي وهي بحوث صامويل ونيوويل وزميليه وتورنج.

(١) بحوث صامويل: هل الكمبيوتر يفكر ويتعلم وهل له ذكاء؟

في صيف ١٩٦٢م، بنيويورك فقد البطل السابق للعبة الداما **روبرت نيلي** بطولته للمرة الأولى منذ ٨ سنوات. لقد كان خصمه يبعث على الدهشة. إنه آلة كمبيوتر إلكترونية Ibm Model 7094 لقد تعلم الكمبيوتر اللعب كالإنسان عن طريق الخبرة والملاحظة ومعرفة الأخطاء وتذكر عدم تكرارها (٣ ص ٣)، وقد بدا واضحاً للذين شاهدوا المباراة أن الآلة تتصرف بما يشبه الذكاء عند الإنسان، إنها تنظر لبعيد، تستخدم استراتيجية في اللعب تستحق عليها البطولة. إن الرجل الذي أعد نظام الآلة ووضع برنامجها Dr. Arthur Samuel لم يكن لاعباً مرموقاً ومع ذلك استطاع أن يضع لها برنامجاً، تفوقت به على الرجل الذي عملها.

ومن الناحية الآلية فإن لفة واحدة من شريط الكمبيوتر تستطيع الآلة أن تخزن بها بلايين الأرقام، وتستطيع تذكر عدد من أنماط اللعب، وفي تقرير الحركة أو الخطوة التالية فالكمبيوتر يقارن الأنماط أو النماذج الموجودة مع عدة نماذج مخزونة ويختار الحركة التي أظهرت له التجربة أنها تؤدي إلى إرهاق الخصم. لقد وضع صامويل برنامجاً للكمبيوتر تمكن به من التفوق على خصمه. وقد تساءل بعض الباحثين **لماذا لا يضع الكمبيوتر البرنامج بنفسه مستخدماً قدراته وتجريداته العليا؟** يرى

هل يستطيع الكومبيوتر حل المشكلات الإنسانية؟

هل يستطيع الكومبيوتر منافسة الانسان وخداعه؟

نيوويل وزميلاه أنه سوف يستطيع ذلك وقد عملت في هذا الشأن عدة بحوث ، وكانت البرامج التي عملها نيوويل وزميلاه مرحلة هامة في ذكاء الآلة بعد صامويل (٣ ص ٢١١) .

إن الكمبيوتر يلعب بالنظر إلى الأمام في كل مرحلة ، ويقدر أوضاع اللوحة التي يمكن الوصول إليها في بضع حركات ، وحينئذ يختار حركته على أساس هذه المعلومات . **والكمبيوتر يحسن أداءه عن طريقين :** الأولى أنه يخزن جميع أوضاع قطع اللعب على اللوحة مع الحسابات المتعلقة بها . والأوضاع التي تواجهها الآلة غالباً تحفظ ، والتي تقابلها نادراً تهمل وتسقط . وإذا قابله في اللعب وضع مخزون في الذاكرة ، فإنه يحسب بعمق ويقوم بالحركة المناسبة (٣ ص ١٤١) ، **والطريقة الثانية** التي يحسب بها الكمبيوتر أداءه أكثر تعقيداً . ففي تقدير الأوضاع على اللوحة فإنه يمكنه استخدام **مفاهيم الأوزان** Weighted terms أي أهمية وخطورة كل حركة ولعبة من الألعاب التي يقوم بها ، مثلاً درجة الضبط في وسط اللوحة ، تقدم القطع . . . إلخ ، ويتعلم الكمبيوتر بواسطة المحاولة والخطأ ، أي المفاهيم يستخدمها ومدى الوزن الذي يعطيه لقيم القطع والقيادة والتحرك وما يشبه ذلك ، الأمر الذي سوف يتيح له فرصة أكبر للكسب . وبهذه الطريقة تتعلم الآلة لا من أخطائها فحسب ، بل من نجاح خصمها أيضاً . وهي تستبدل الآن بتقديراتها السابقة التقديرات الجديدة وتأخذ في اللعب كآلة جديدة أفضل . وسوف لا يكون لمثل هذه الآلة « شخصية » جامدة ، بل سوف تتجدد « شخصيتها » وسوف تفشل معها في النهاية الألاعيب التي كانت تنجح معها من قبل ، وأكثر من هذا أنها سوف تستوعب على مر الزمن بعضاً من أساليب خصومها (١ ص ٢٤٥) .

وما دمنا قد اتفقنا على أن الكمبيوتر له ذكاء ، وأنه يستطيع أن يفكر وأن يختار يمكن أن **نتساءل هل الكمبيوتر له قدرة على الإبداع ؟** وللإجابة على هذا السؤال نقول إنه لا بد للإبداع أو الاكتشاف من الوعي أو الإحساس بالذات . والماكينة بالطبع ليس لها ذات . لكن إذا عرفنا الاكتشاف أو الإبداع بأنه اكتشاف الجديد من النماذج المميزة ، غير المنظمة سابقاً في مجال الذكاء الإبداعي ، إذن فالكمبيوتر بالتأكيد يستطيع منافسة الإنسان في إلقاء الأسئلة والإجابة على الأسئلة . فإذا كان الكمبيوتر يمتلك تلك القدرة الإبداعية ، فإن اختبار تورنج (الآتي ذكره بعد) لا يكتشفها ، لأن الأسئلة موضوعة بواسطة فاحص بشري .

والواقع أن الكمبيوتر يستطيع التعامل مع جميع أنواع الرموز بما فيها بصفة خاصة رموز الفن . فهو يستطيع إنتاج نماذج من هذه الرموز في تنوع إلى ما لا نهاية كما يستطيع النحت وإنشاء الموسيقى وقرض الشعر (٣ ص ٢٥٩) ويرى Wooldridge أن الكمبيوتر ودوره في لعبة الداما هو دليل تام على الذكاء (٧ ص ١٠٥) .

(٢) بحوث نيوويل وزميليه : هل يمكن الكمبيوتر حل المشكلات الإنسانية ؟

لقد قام Newell, Shaw & Jimon (٥ ص ١٠ – ١٦) عام ١٩٥٩ م ، بإجراء ملاحظات لدراسة السلوك البشري ومقارنة ذلك بسلوك الكمبيوتر . وقد تمكنوا من وضع برنامج لحل المشكلات العامة (GPS) General Problem Solving وهم يعتبرون البرنامج كأساس لنظرية لحل المشكلات الإنسانية . وهذه المشكلات يمكن أن توصف على أساس عدد من العوامل محددة تحديداً واضحاً . وتستخدم في مواقف واضحة أو أشياء في البيئة . وذلك لإمكان التعامل معها بطرق معينة . وتحل المشكلة باستخدام العوامل المناسبة بترتيب أو تتالي مناسب . وعدد من المشكلات المختلفة ظاهرياً يمكن أن تعالج على أساس هذا الخط . ومن هنا جاء الاسم حلال المشكلات العامة .

وتعتمد طريقة حل المشكلات على قواعد المنطق الرمزي . ولفهم طريقة الحل يجب أن نعلم أن هناك مدرجاً أو سلماً من الحلول يجب اتباعها لحل المشكلة . وهناك أهداف فرعية تتولد من الأهداف على المستوى الأعلى ، ويجب تحقيق هذه الأهداف الفرعية قبل الأهداف من المستوى الأعلى ، وعلى أعلى مستوى هناك غرض مؤكد هو تحقيق تحويل الهدف إلى الاتجاه المطلوب . وهناك حاجة لخلق **أهداف وسيطية** Intermediate وتقليل الفروق بين الأهداف . وبدون الدخول في تفاصيل كثيرة ، فإنه يمكن أن نرى حلال المشكلات يتخذ قرارات باستمرار حول أي طريق يتبعه ، وأن نقاط أو مؤشرات القرارات المتنوعة ، تتولد على أساس ما يمكن أن نتصوره ببناء فروع الشجرة Branching Tree-Like Structure بمعنى أن حل المشكلات يبدأ من الفروع الصغيرة ويتقدم حل المشكلة رويداً رويداً إلى أن نصل إلى لب المشكلة وجوهرها . إن حلول المشكلات يسير باستمرار عادة في طريق التقدم في حل المشكلة ، وإذا اتضح له أن طريقاً معيناً غير ناجح ، فإنه يرجع إلى نقطة مبكرة ، ويختار طريقاً جديداً .

(٣) بحوث تورنج : هل يستطيع الكمبيوتر منافسة الإنسان وخداعه ؟

لقد رأينا أن الكمبيوتر يمكن أن يتعلم ويمكن أن يستفيد من خبرة المحاولة والخطأ ويمكن أن

ينظر لبعيد ويختار موقفاً معيناً ، كما في لعبة الداما التي وضع برنامجها صامويل ، كما رأينا أن الكمبيوتر يمكن أن يحل المشكلات عن طريق تجربة واختبار حل معين ، فإذا لم يعط النتيجة المرجوة اختار بديلاً عنه . متتبعاً في ذلك أسس التفكير المنطقي كالإنسان وذلك كما اتضح من برنامج نيوويل وزميليه .

ولقد تقدمت بحوث الذكاء الصناعي خطوة أخرى . وحاول **تورنج** (٦ ص ٤٣٣ ــ ٤٦٠) أن يجيب على هذا السؤال : **هل الكمبيوتر يفكر وهل .. يستطيع منافسة الإنسان وخداعه** ؟ والاختبار مؤسس على لعبة جمعية فيها يختفي اثنان عن الأنظار ، رجل وامرأة ، وهناك رجل ثالث عليه أن يعرف أيها الرجل وأيها المرأة . وذلك عن طريق قيامه بإلقاء أسئلة يبتدعها بحيث إنه يكشف عن طريق الإجابة أيها الرجل وأيها المرأة . والآن نفرض أنه اختفى اثنان عن الأنظار ولكن في هذه المرة كمبيوتر وإنسان (قد يكون رجلاً أو امرأة) وعلى الرجل الفاحص أن يقرر أيها الإنسان وأيها الكمبيوتر وذلك عن طريق إلقاء أسئلة ثم يخمن بعدها النتيجة . إنه يسأل أسئلة يشعر مؤكداً أنها لا يمكن الإجابة عليها بواسطة الآلة . ولكن بقليل من الخبرة سوف تتعلم الآلة كيفية الإجابة على مثل هذه الأسئلة (٣ ص ٢١٩) . وليس من شك هنا أن الكمبيوتر إذا كان ساذجاً فإنه سيكشف نفسه في الحال ، ولكن عليه هنا أن يحاور وأن يداور وأن يخدع وأن يجيب إجابات غير محددة لا تكشف عن حقيقته . ويرى تورنج أنه بعد فترة معقولة من الوقت ، إذا لم يستطع الملاحظ أن يخمن صواباً أيها الإنسان وأيها الكمبيوتر ، أكثر مما كان له من الفرص أن يخمن بين الرجل والمرأة ، حينئذ يمكننا القول إن الكمبيوتر كان يفكر . أما إذا كانت له فرصة أحسن في التخمين عن أيها الإنسان ، وأيها الكمبيوتر فإننا نستطيع أن نستنتج أن الكمبيوتر لم يكن يجيد اللعب في تقليد التفكير البشري بدرجة كافية .

ولقد كان لاختبار تورنج آثار بعيدة المدى بالرغم من أن مظهره لا يعدو أن يكون لعبة

هل يستطيع الكومبيوتر أن يضع البرامج بنفسه ؟

من الألعاب ، ولكنه أوضح أن الكمبيوتر يستطيع أن يختار ، وأن يخادع ، وأن يحاكي السلوك البشري ، باختياره من نماذج السلوك ما يحاكي هذا السلوك . واختبار تورنج يمكن أن يطبق من حيث المبدأ على أي نوع من السلوك الإنساني ومختلف العمليات مثل اتخاذ القرارات والحساب العقلي وتقييم العمل في الفن .. وإلى غير ذلك .

وهناك تجربة أخرى تبيّن **قدرة الكمبيوتر على فهم الشعر وتأليفه (وليس نقده)** قام بها **ويلكس** Wilkes (٣ ص ٢٧٤) ودار الحوار التالي بين الفاحص وآلة تورنج :

الفاحص : هل تعرف المقطع الذي يبدأ بـ « هل أقارنك بيوم في الصيف » ؟ .

الآلة : نعم .

الفاحص : هل يمكن أن نقول « يوم الربيع » وهل ذلك أحسن أو مثله ؟ .

الآلة : لا يصلح .

الفاحص : وإذا قلنا يوم الشتاء هل يصلح ؟ .

الآلة : يمكن ، ولكن لا يوجد فرد يحب أن يقارن بيوم الشتاء .

الفاحص : هل تستطيع القول إن مستر بكويك (في رواية شارلز ديكنز) يذكرك بعيد ميلاد المسيح ؟ (الكريسماس) .

الآلة : بطريقة ما .

الفاحص : ومع ذلك فإن الكريسماس يوم في الشتاء ، ولا أعتقد أن مستر بكويك لا يمانع في المقارنة .

الآلة : لا أعتقد أنك تتكلم جاداً ، فيوم الشتاء يقصد به يوماً نموذجياً للشتاء وليس يوماً خاصاً مثل الكريسماس .

لعلنا نرى في هذه المناقشة قدرة الآلة على المحاورة والمداورة وفهم النص ومغزاه فهماً جيداً ، وقدرتها على الخروج من المآزق الكلامية التي يضعها فيها الفاحص . هل بعد ذلك نستطيع القول إن الآلة لا تفكر ؟ .

ويقترح **فينك** (٣ ص ٢٢٣) تجربة أخرى محورة عن طريقة تورنج . تتلخص في الآتي :

فاحص ذو تفكير إبداعي ، وفي الطرف الآخر الآلة ورجل ذو ذكاء إبداعي مثلاً عالم مخترع أو فنان . والفاحص يذكر سؤالا كالآتي :

ضع لي سؤالا واقترح وسائل الإجابة عليه . وعلى الفاحص أن يعرف من الذي أجاب العالم أو الآلة . والفاحص يستعين بعدة دلائل في محاولة التمييز بينهما . إنه يعلم أن الرجل عليه أن يظهر ذكاءه وقدراته . فإذا كان السؤال تافهاً ، فإن الفاحص قد يعتقد أنه من الآلة . ولكن هنا مجال للمجازفة . لأن الرجل الآخر ربما يقلل من تقديره للقدرة المبدعة عند الآلة ، ويحاول الحصول على نقطة بسؤال تافه . إذا وقع الفاحص في خطأ واحد ، فقد يكون ذلك دليلاً على الذكاء المبدع للآلة ، ثم قياسه بدقة .

المراجع

(١) نوربرت فينر : السيبرنتيكا . ترجمة رمسيس شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م .

(2) Apter, M.: The Computer Modelling of Behavior. In: Apter, M., Westby, G. (EDS) The Computer in Psychology. John Wiley. London. 1973.

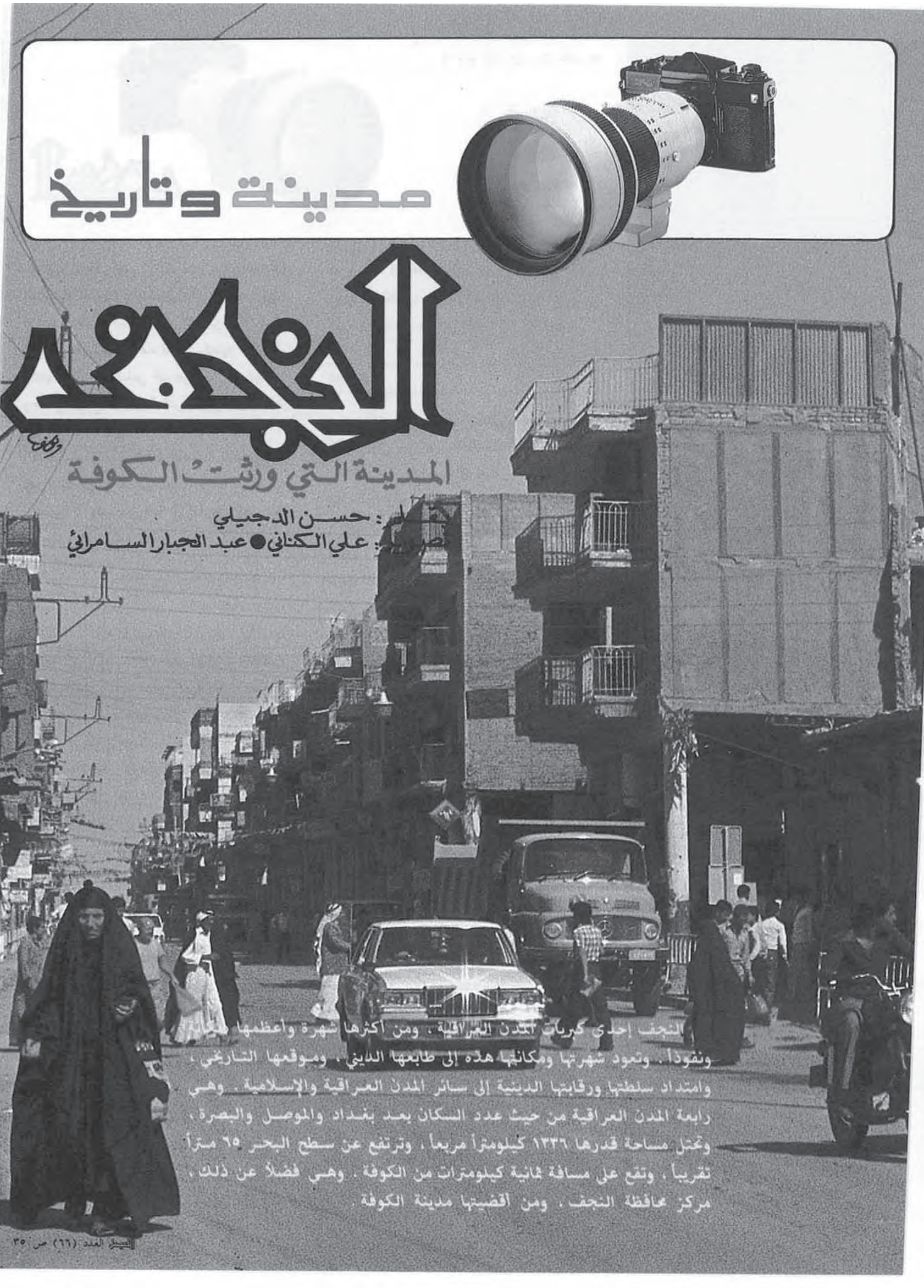
(3) Fink, D.: Computers and the Human Mind. Anchor Books, Garden City. New York. 1966.

(4) Marx, M.: Hillix, W.: Systems and Theories in Psychology Mc Graw. New York. 1973.

(5) Newell, A., Shaw, J. C., Simon, H. A.: A General Problem Solving Program Computers and Automation. 8, 1959.

(6) Turing, A. M.: Computing Machinery and Intelligence. Mind, 59, 1950.

(7) Wool dridge, D. E.: Mechanical Man, The Physical basis of Intelligent Life. Mc Graw. New York. 1968.



مدينة وتاريخ

النجف

المدينة التي ورثت الكوفة

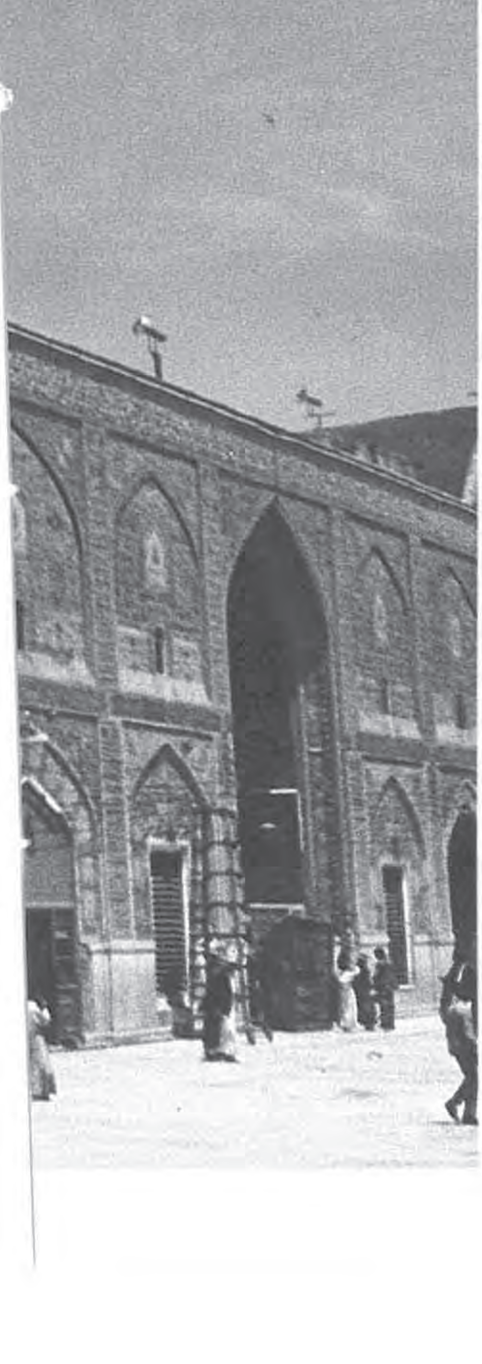
مقال : حسن الدجيلي
تصوير : علي الكناني ● عبد الجبار السامرائي

النجف إحدى كبريات المدن العراقية ، ومن أكثرها شهرة وأعظمها مكانة ونفوذاً . وتعود شهرتها ومكانتها هذه إلى طابعها الديني ، وموقعها التاريخي ، وامتداد سلطتها ورقابتها الدينية إلى سائر المدن العراقية والإسلامية . وهي رابعة المدن العراقية من حيث عدد السكان بعد بغداد والموصل والبصرة ، وتحتل مساحة قدرها ١٣٣٦ كيلومتراً مربعاً ، وترتفع عن سطح البحر ٦٥ متراً تقريباً ، وتقع على مسافة ثمانية كيلومترات من الكوفة . وهي فضلاً عن ذلك ، مركز محافظة النجف ، ومن أقضيتها مدينة الكوفة .

النجف



★ جامع الإمام علي بن أبي طالب ★



وإذا ما ذكر اسم النجف ذكر اسم **جامعتها الدينية** الفريدة، **ومكتباتها، ومدارسها** الدينية، وطلبتها الذين يفدون إليها من سائر البلاد الإسلامية، وذكرت أسماء فطاحل العلماء والشعراء والفقهاء والأدباء الذين تخرجوا من جامعتها، وحافظوا على العقيدة ولغة القرآن الكريم منذ أكثر من ألف سنة تقريباً.

فكيف نشأت هذه المدينة العلمية؟ ومن ساهم في تأسيسها؟ وما مكانتها العلمية؟ وما دورها في تاريخ العراق القديم والحديث؟

موقعها

النجف **لغة** المرتفع من الأرض. وأرضها معروفة قبل الإسلام، وفي أيام **المناذرة والساسانيين** الذين حكموا العراق بعد **سقوط بابل**. وقد اتخذها هؤلاء ومن جاء بعدهم من الخلفاء العباسيين، ولا سيما **هارون الرشيد**، مربعاً ومتنزهاً، وأرضاً **للصيد والقنص وركوب الخيل**. وتقول كتب التاريخ إن **أرضها كانت تنبت الشيح والقيصوم والزعفران والخزامى وشقائق النعمان!**

ومن أسمائها **الغري، والمشهد، واللسان، والربوة**. ولم يكن لموضع النجف ذكر منهم قبل تأسيس مدينة الكوفة على يد **سعد ابن أبي وقاص**. وقد أشار إلى ذلك **اليعقوبي** في كتابه تاريخ البلدان، **وابن قتيبة** في كتابه (عيون الأخبار)، **والمسعودي** في كتابه (مروج الذهب)، حيث قال: تنتهي معظم مياه الفرات إلى بلاد الحيرة. ونهرها بيّن إلى هذا الوقت، ويعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم، فيصب في البحر الحبشي. وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنجف. وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند، وترد إلى ملوك الحيرة والنجف بظهر الكوفة «كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها». والنجف قشور الصليان. وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

تمصيرها

بدأت عمارة النجف بالظهور حول ضريح الإمام **علي بن أبي طالب** (كرم الله وجهه) ومسجده سنة ١٧٠ هـ، أي بعد استشهاده بقرن ونصف، وبأمر من الخليفة العباسي هارون الرشيد. وكان استشهاده ـ كما هو معروف ـ على يد أحد الخوارج وهو يصلي في مسجد الكوفة لتسع بقين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وله من العمر ثلاثة وستون سنة. وحمل نعشه ابناه **الحسن والحسين** وأصحابه على ظهر ناقة وسارا بها إلى الغربي من نجف الكوفة، فدفناه هناك، وعفيا موضع قبره بوصية كانت منه إليهما. ودفن بين ربوات ثلاث، لا تزال موجودة حتى اليوم، **وبدأ الناس يتوافدون على المدينة ويتخذونها سكناً وجواراً**. وبدأت النجف تشق طريقها لتكون حاضرة وجامعة دينية، «وراج بها سوق الأدب، **حتى أنك لا تمر بدار من دورها، ولا محفل من محافلها إلا وتسمع أصوات المذاكرة بالمسائل العلمية على أنواعها، وترى حلقات الحديث وثيقة العرى**»، وتكونت فيها طبقة دينية بل «**مراجع تقليد**» تتألف من كبار المجتهدين والعلماء وطلبة العلوم الدينية. وتعرف هذه الطبقة عادة «**بالحوزة العلمية**».

تطور عمارتها قديماً وحديثاً

مرت عمارة النجف بأطوار ثلاثة: فكان الأول طور الازدهار والثاني طور التدهور والثالث طور اليقظة.





النجف

★ صورة من الماضي ★



●● **الطور الأول** : بدأ هذا الطور بقيام **عضد الدولة البويهي** ، بتشييد صحن الإمام ومسجده وملحقاته من مدارس في سنة ٣٣٨ هـ ، ويمتد حتى القرن التاسع للهجرة . وكتب التاريخ حافلة بأخبار هذه الحقبة التاريخية المهمة ، وبالنهضة العلمية والعمرانية التي رافقتها . فقد أصبحت النجف أو مشهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، من كبريات الحواضر الإسلامية ، وقدر عدد سكانها يومذاك بستة آلاف نسمة ، بينهم ألف وسبعمائة علوي من ذرية الإمام . وحينما زارها الرحالة المغربي **ابن بطوطة** في أواسط هذه الحقبة كتب يقول :

« ثم رحلنا ونزلنا مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف . وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء . ولها أسواق حسنة نظيفة . دخلناها من باب الحضرة ، فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ، ثم سوق الفاكهة ، ثم سوق الخياطين ، والقسارية ، ثم سوق العطارين ، ثم باب الحضرة » . وكَتَبَ عن أهلها أنهم « تجار يسافرون في الأقطار . وهم أهل شجاعة وكرم . ولا يضام جارهم . صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم » .

وفي القرنين السابع والثامن ارتفع عدد سكانها ، واتسعت حلقات الدراسة ، وتدفق عليها المهاجرون من أطراف العراق وسائر الأقطار الإسلامية ، وبلغت شهرتها الآفاق ، وذلك بفضل الهبات والمساعدات التي أغدقها عليها الأمراء الجلائريون والإيلخانيون الأتراك .

●● **الطور الثاني** : تمتد هذه الحقبة من القرن التاسع للهجرة حتى أواسط القرن الثالث عشر . وهي فترة تدهورها وزوال نظارتها العلمية[1] ، وتوقف حركتها العمرانية . فقد أدت **الحروب التي نشبت بين الصفويين في إيران والعثمانيين في الأناضول** إلى نزوح عدد من سكانها فانقطعت الصلة بينها وبين زوارها الإيرانيين ، من سائر البلاد الإسلامية ، وتوقفت أعطيات الأمراء والأعيان ومساعداتهم المجزية ، كما توقفت حركة الزوار والحجاج والتجار الذين يقصدون العراق لمواصلة سفرهم براً لأداء مناسك الحج في كل عام . وقد قصدها أحد الرحالة الأجانب الذي زارها في ١٨ من شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٦٠٤م (٢٣ ربيع الآخر ١٠١٣ هـ) . فكتب عنها يقول :[2]

« دخلنا مدينة النجف . . . فوجدنا عدد الدور فيها بين ستة آلاف إلى سبعة آلاف » . « وتدل معظم خرائب هذه الدور أنها كانت واسعة ، جيدة البناء . أما اليوم فالدور المسكونة لا تزيد على خمسمائة ، وسكانها فقراء غير مؤثثين . وقد حدثني أناس من السكان أن انحطاطها حدث بعد وفاة الشاه طهماسب أحد (وفاته في سنة ٩٨٤ هـ ـ ١٥٧٦ م) ملك إيران الذي كان يعنى بها . . . عناية . إن المدينة محاطة بسور فيه ألف فتحة . وهو مبني كالجامع ، والدور بآجر وطين . وهي ليست على مجرى ، وماء آبارها أجاج . . . ويشاهد في هذه الحاضرة خرائب أسواق معقودة ، كما هي العادة في المدن القريبة . وبناء هذه الأسواق يدل على ما كان لهذه المدينة من ماض مجيد . . »[3] .

وبعد قرن ونصف ونيف زارها **الرحالة الألماني نيبور** ، فكتب في عام ١٧٦٥م (١١٧٩ هـ) : تقع في منطقة مجدبة خالية من النبت كالسويس وجدة ، إذ لا تتوفر فيها المياه . أما المياه المستخدمة « في الطبخ والاغتسال فتصل بواسطة قنوات تمتد تحت الأرض . أما الماء الصالح للشرب فيجلب من مسافة ثلاث ساعات محمّلاً على ظهور الحمير . . . . وجميع البيوت مشيدة بالطابوق المفخور والمبني بالكلس بشكل قبب ، ما يجعلها شديدة المقاومة . . . » وشكلها الخارجي يشبه مخطط مدينة القدس الحديثة لدرجة كبيرة ، كما أنها تقاربها في السعة أيضاً . والمدينة كلها محاطة بسور . ولها في الوقت الحاضر بابان فقط : **باب المشهد ، وباب النهر** . أما **باب الشام** ، وهو الباب الثالث ، فقد سد بحائط . وسور المدينة مخرّب الآن ، بحيث يمكن الولوج إليها من عشرين موضعاً .

وقد عانت النجف كثيراً إبان فترة الفوضى التي سادت العراق بعد سقوط بغداد على أيدي المغول ، ومرت في فترة مظلمة من تاريخها إلى أن قيض الله لها بعض السلاطين والمحسنين والأمراء الذين منحوها رعايتهم . وفي عهد الولاة المماليك فقدت المدينة حالتي الأمن والاستقرار ، وفشل الولاة في صد غارات العشائر عليها ، وتوقفت العناية بمعالمها الدينية ، أو توفير مياه الشرب إليها ، ومكافحة الأوبئة الوافدة عليها من الهند وإيران .[4]

●● **الطور الثالث** : وهي حقبة تمتد من أواسط القرن الثالث عشر للهجرة حتى يومنا هذا ،



وفيها بدأت المدينة تستعيد قواها ، ومكانتها العلمية بفضل فترة التحسن الملحوظ الذي حدث في العلاقات الإيرانية والعثمانية ، قبل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨ م) ، وقيام حكومة ملكية دستورية في العراق عام ١٩٢٤ م .

وبذلت جهود كبيرة لتحسين خدماتها العامة ، أسفرت عن اتساع رقعة المدينة ، وهدم معظم معالمها الأثرية في القسم القديم منها ، ولا سيا **سورها التاريخي** الذي لا تزال ذكراه عالقة في نفوس السكان . وفي هذه الفترة زارها كثير من الرحالة العرب والمسلمين والأجانب . وكان من زوّارها **المستشرق الفرنسي ماسنيون** (عام ١٩٠٨ م) ، حيث ذكر محلاتها الأربعة ــ **العمارة والحويش والبراق والمشراق** ــ ، ثم زارها ثانية في (عام ١٩٣٤ م) ١٣٥٣ هـ ، وقال : إن النجف بلدة بدوية محضة وعربية بحتة[٥-٦] .

ومن زوّارها كذلك **السيدة درور الباحثة الإنكليزية** التي أمضت هي وزوجها في العراق مدة طويلة إبان فترات الاحتلال والانتداب والاستقلال . وقد وصفت أسوارها العالية التي شيدت على غرار أسوار القرون الوسطى في أوروبا ، وأسواقها المعقودة ذات الأغراض المتنوعة[٧] .

وكانت النجف منذ قرون ، ولا تزال ، محط أنظار الزوّار والعلماء والأمراء من مختلف الأقطار الإسلامية والأجنبية . وكانوا يمدونها بالمساعدات والهدايا الثمينة والتحف الأثرية المحفوظة في الوقت الحاضر في متحف خاص لا يزوره إلا القلة من كبار الشخصيات الرسمية الإسلامية .

مشكلة المياه

ونظراً لوقوع النجف في منطقة صحراوية ترتفع ٣٥ متراً تقريباً عن مستوى قاع نهر الفرات ، فقد عانى سكانها منذ تأسيسها من مشكلة شح المياه . فلجؤوا يومذاك إلى **حفر الآبار** العميقة لسد احتياجاتهم الأساسية أو شراء **قرب الماء** من الباعة الذين كانوا يحملونها من نهر الفرات صيفاً وشتاء . وجدير بالذكر أن كثيراً من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء المسلمين في الهند وإيران والعراق بذلوا محاولات كبيرة وأموالا طائلة لتحويل مياه نهر الفرات إلى النجف تارة عبر قنوات مائية أشادوها في باطن الأرض ، وتارة بشق الترع والأنهار على سطح الأرض ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح إلا بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق .

سور النجف

كانت المدينة محاطة بأسوار عديدة وعالية ، وظلت كذلك لقرون طويلة إلى أن داهمتها عوادي الزمان ، فبدأت أسوارها تتصدع وتنهار . ولحمايتها من غارات القبائل أمر **نادر شاه أحد ملوك إيران** ، بترميم سورها سنة ١٠٣٩ هـ . وفي عام ١٢٣٢ هـ ، قرر أحد الملوك القاجاريين في إيران تشييد سور حصين حول المدينة ، تعلوه **أبراج للمراقبة والدفاع** ، وفيه أربعة أبواب كبيرة ، وأحاط السور بخندق عميق حماية لها . وظل السور قائماً طوال قرن كامل تقريباً ، ثم أصيب بأضرار كبيرة إبان الحصار الذي ضربته قوات الاحتلال البريطاني عام ١٩٢٠ م .

وفي عام ١٣٤٨ هـ (الموافق ١٩٣٠ م) قررت رئاسة بلدية النجف إزاحة بعض جدران السور لربط داخل المدينة بخارجها لتنفيذ بعض المشاريع السكنية ، وتوسيع رقعة المدينة حلاً لمشكلة الازدحام وانتشار الأوبئة بين السكان . وترتب على هذه المشاريع واندفاع الناس للسكن خارج أسوار المدينة هدم السور عام ١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٩ م ، لربط أحياء المدينة القديمة بالجديدة ، فاتسعت رقعتها جنوباً وشرقاً وغرباً ، وازداد عدد سكانها بنسبة كبيرة ، فبلغ أكثر من ٤٦ ألف نسمة عام ١٩٣٥ م .

النجف مدينة علمية

لما كانت مدينة النجف مركزاً دينياً ومعتكفاً لأهل العلم والعبادة فقد كثرت فيها المساجد الصغيرة والكبيرة ، في كل زقاق وشارع . وفيها اليوم أكثر من ثمانين مسجداً ، وأكبرها **مسجد الإمام علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه ، وفيها عشرات المدارس الدينية ، ذات الغرف



النجف



★ أحد الحوانيت العتيقة .. صورة من ماضي النجف ★

الدراسية الواسعة والأقسام الداخلية ، التي أسسها بعض الأمراء والسلاطين والعلماء ، وعشرات **المكتبات العامة والخاصة** التي تحتوي على **نفائس المخطوطات** ، ولا غرو فالنجف مدينة علمية ، ومركز للبحث والنشر والطبع . وقد جرت العادة في النجف ومنذ عهد قديم إقامة أسواق لبيع الكتب بالمزاد العلني يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع . هذا فضلاً عن كونها مركز « **الحوزة العلمية** » والمرجع في الأحكام الشرعية ، منذ أكثر من ألف سنة .

يعود الفضل في تشجيع الحركة العلمية في النجف إلى السلطان **عضد الدولة البويهي** ، الذي زارها سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) . فقد أنفق على سكانها أموالا طائلة ، وخص فقهاءها وطلبة العلوم الدينية بعناية كبيرة . ولكن مكانة المدينة العلمية لم تشتهر إلا بعد انتقال أحد كبار علماء عصره وهو **أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي** سنة ٤٤٩ هـ ـ ١٠٥٧ م . وبقدومه انتقلت الزعامة الدينية والعلمية إلى النجف واستمرت حتى يومنا هذا من دون منافس ، إلا في فترات متقطعة[٨] .

وتضم مناهج الدراسة الدينية في جامعة النجف علوماً كثيرة أهمها : الفقه وأصوله ، والتفسير وأصوله ، والحديث وأصوله من الشريعة ، والنحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب ، والرياضيات بفروعها المختلفة ، والمنطق والفلسفة وعلم الكلام في العلوم العقلية ، ومبادئ من علم الطبيعة والفلك وغيرها . **وتتم الدراسة على مراحل ثلاث : مرحلة المقدمات** وتقوم مقام الدور **الابتدائي** ، ومرحلة دراسة السطوح ، وتقوم مقام الدور **المتوسط** (الإعدادي) ومرحلة دراسة الخارج ، وتقوم مقام الدراسات العالية[٩] .

مسجد الإمام علي

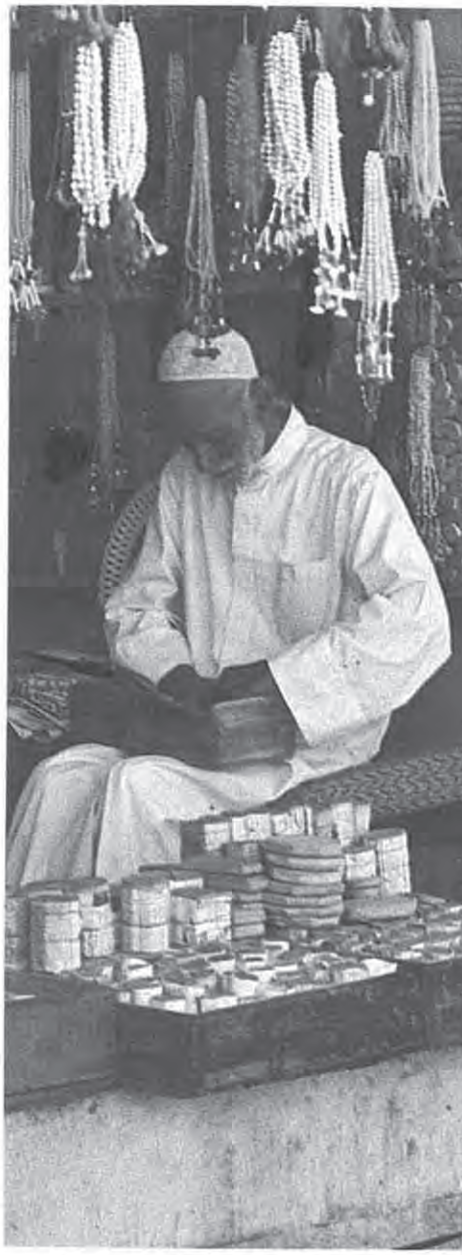
يقع مسجد الإمام علي وضريحه في وسط المدينة القديمة . وهو أهم معالمها التاريخية ، وقد شيدت عليه قبة جميلة تحف بها مأذنتان أسطوانيتان ارتفاع كل واحدة منها ٣٥ متراً ، وقطرها متران ونصف المتر ، ومحيطها ثمانية أمتار . وللمسجد فناء واسع للمصلين يعرف بالصحن ، طوله ٧٧ متراً وعرضه ٧٢ متراً ، وارتفاع جدرانه ١٧ متراً ، مزينة كلها بالفسيفساء الملوّن ، وبآيات من القرآن الكريم . ويتألف من طابقين : طابق أرضي وآخر علوي ، يحتوي على مائة غرفة للدراسة والسكن أحياناً . وفي الصحن أربعة إيوانات متقابلة ، وساباط مرتفع ، وخمسة أبواب كبيرة[١٠] ، تربط الجميع شبكة من الأسواق الشعبية والمدارس الدينية والمساجد الصغيرة . وأقيمت على الباب الرئيسي ساعة كبيرة ذات وجوه أربعة تشاهد من مسافات بعيدة ، وجرس دقاق .

وفناء المسجد ملتقى العامة والخاصة ، ويعقد كبار العلماء فيه وفي المساجد الملحقة به والمجاورة له حلقات علمية ، يحضرها عدد كبير من طلبة العلوم الدينية ، ولا سيا الطلبة الذين أوشكوا على إنهاء دراساتهم ونيل إجازاتهم العلمية من كبار العلماء والفقهاء .

الحوزة العلمية

تؤلف جماعة العلماء أو « الحوزة العلمية » طبقة دينية أوقفت نفسها على تبصير الناس بشؤونهم الدينية وتطبيق أحكام الشريعة تطبيقاً صحيحاً ، والفتيا في ضوء الكتاب والسنّة . وتختار الحوزة « مرجعاً أعلى » من صفوة العلماء المجتهدين ، وتعهد إليه الزعامة الدينية في داخل العراق وخارجه . ويختلف العلماء والمجتهدون في درجة فضلهم وعلمهم . وتتألف مواردهم المالية من الحقوق الشرعية فقط ، من زكاة وخمس وعوائد وقفية . ولكل « مجتهد » أو عالم عادة « وكيل » يمثله في المدن العراقية وفي الأرياف ، ويكون همزة وصل بين « **المرجع** » و « **المقلدين** » له من عامة المسلمين ويطلعهم على فتاواه ، ويتسلّم الحقوق الشرعية المستحقة بذمتهم ، ويرشدهم في ضوء اجتهاداته وفتاواه . ويقوم المرجع عادة بتخصيص قسم من هذه الحقوق لطلبة العلوم الدينية ، وللمحتاجين من سائر الطبقات ولا سيا الطبقة الدينية ؛ وينفق قسم آخر منها على الأعمال الخيرية وعلى دور العلم والمكتبات والجمعيات الخيرية .

وتمتد سلطة « المرجع الأعلى » ورقابته الشرعية ، وتوجيهاته الدينية إلى جميع المؤمنين المقلدين له ، والسائرين على نهجه ، والعارفين بعلمه وفضله ، ويلتزمون بأحكامه وفتياه . وتكون فتياه قطعية لا رجعة فيها . وعليهم الأخذ بها ، لأنها تمثل اجتهاداً مدروساً وقطعياً صادراً عن « إمام » تجب طاعته .



لقد أنجبت النجف عدداً كبيراً من فطاحل العلماء « ومراجع التقليد » وكان لهم أثر عظيم في حياتها الدينية والسياسية داخل العراق وخارجه . ومع أن النجف ظلت دائماً مقراً للتقليد ، إلا أن الزعامة الدينية قد تنتقل إلى خارج العراق في ظروف استثنائية ، وبظهور الأكفاء من العلماء عند توفر شروط الزعامة الدينية الحقة في أي من العلماء وفي أي قطر إسلامي .

ولعلماء الدين ، وخاصة « مراجع التقليد » حرمة كبيرة لدى جميع السكان ، صغاراً وكباراً . فلو اجتاز أحدهم زقاقاً أو شارعاً وهو في طريقه إلى الصلاة أو التدريس مثلاً ، لوقف الناس له احتراماً وتعظيماً ، وهرع معظمهم لتقبيل يديه . فهم عنوان المدينة و « مراجع » للناس في معظم أمورهم .

تقاليد السكان وأزياؤهم

أول من سكن أرض النجف طائفة من العلويين وخاصتهم ، فصارت متعبداً ومعتكفاً وملجأ . ولم تكن يومذاك صالحة للاستيطان كالكوفة ، ولا معالم للعمران إلا بيوت من طين قليلة ، أقيمت في منطقة نائية ، لا زرع فيها ولا ضرع . **وعلى الرغم من طبيعة الأرض الصحراوية فقد نزحت إليها عبر قرون طويلة جماعات من سكان القرى المجاورة ، ولا سيما سكان مدينة الكوفة الذين ساءت أحوالهم الاقتصادية والتجارية من جراء الفتن والاضطرابات وتأسيس مدينة بغداد ، وانعدام الأمن والاستقرار .**

وكما ذكرنا كان الباعث الحقيقي للاستيطان في النجف الاعتكاف والمجاورة وطلب العلم . وكان لقدم الشيخ أبو جعفر الطوسي من بغداد سنة ٤٤٨ هـ ، أثر كبير في إرساء قواعدها العلمية لقرون طويلة ، وإشاعة الأمن والاستقرار في ربوعها ، وفي تقدمها وازدهار حركة العلم فيها والعمران ، وفي هجرة صفوة من العلويين وخاصتهم إليها من سائر أرجاء العراق والعالم الإسلامي . وبذلك توفرت لديها جميع المقومات العلمية لعقد مجالس العلم والأدب وحلقات الدراسة . وتكونت فيها عبر قرون طويلة زعامة دينية وجامعة دينية استطاعت أن تمارس نفوذاً روحياً واجتماعياً وسياسياً واسعاً .

هذه التقاليد العلمية ، وهذه الصفوة من أبناء العلويين وخاصتهم ، أضفت على سكانها درجة عالية من الوعي والثقافة والصمود في وجه الأزمات ، وكونت مجتمعاً مميزاً عن سائر مجتمعات المدن العراقية سواء على صعيد الأفراد أو الجماعات .

ويمثل سكان النجف مجتمعاً إسلامياً فريداً . ويتألف من صفوة مختارة من العلماء والأدباء ، ومن طبقة صغيرة من التجار وأصحاب المهن المختلفة ، ومن قاعدة شعبية واسعة تنعدم فيها الأمية عادة . وتتعدد فيها الثقافات والقوميات . ومع هذا التعدد تظل مدينة النجف تحمل طابعها العربي العريق . ويعيش طلبة العلوم الدينية الوافدون إليها من داخل العراق وخارجه في مدارس دينية داخلية ، ويتلقون مساعدات مالية من كبار العلماء لمواصلة دراساتهم . فإذا أتموها عادوا إلى أوطانهم لتسلم مسؤولياتهم الدينية . **والدراسة على أحد علماء النجف شرط أساسي من شروط الثقافة الدينية . ومجالس الأدب والشعر في النجف من مميزات المدينة ويرتادها طلبة العلوم الدينية ، سواء كانوا عراقيين أو غير عراقيين ،** وجلهم يقرضون الشعر ، ويتسابقون إلى إنشاده في مجالسهم الخاصة ولا يجدون في ذلك حرجاً ، وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا إن النجف تضم وحدها قرابة خمسمائة شاعر في الوقت الحاضر .

ولما كان طلاب العلوم الدينية لا يتعاطون عادة تجارة ولا يمارسون حرفة من الحرف بل يتفرغون لدراسة العلوم الدينية كلياً ومدى الحياة ، درجت بعض العائلات ، ومنذ زمن بعيد على تشجيع نفر من أبنائها على الانصراف لطلب العلم ، وتشجيع نفر آخر على طلب الكسب ، لإعالة الطرف الأول إذا دعت الضرورات . ويتقاضى طلبة العلوم الدينية ــ كما ذكرنا ــ مخصصات شهرية أو سنوية من كبار « المجتهدين » من الحقوق الشرعية التي يتسلمونها ، كما يتقاضون مخصصات غيرها لأداء فريضة الحج أحياناً والزواج إن أرادوا .

إن زيارة واحدة لمدينة النجف تعطي الزائر صورة « ملونة » عن أزياء سكانها المتنوعة . بيد أن **اللباس الغالب لا يزال يتكون من عقال وكوفية (الشماغ) وعباءة وقباء وحذاء . وتبهره شوارعها وأسواقها من حيث ضيق شوارعها القديمة ، وتعدد أصناف أسواقها ومساجدها إلى جانب أحيائها الحديثة الممتدة جنوباً باتجاه الحيرة وشرقاً باتجاه الكوفة .**

العمائم شعار العلويين

تختلف الحياة الاجتماعية في النجف عن سائر المدن العراقية لأسباب تتعلق بتكوينها الديني وبارتباطاتها الخارجية ، وبتقاليدها الأدبية والشعرية المتمثلة في أنديتها وجمعياتها ومجالسها العلمية الخاصة . ويتمايز سكانها عادة بتنوع لباس الرأس أكثر مما يتمايز به غيرهم من سكان المدن الأخرى في الوسط والجنوب من البلاد ، ولا سيما بين طلبة العلوم الدينية وانحدار عائلات كثيرة لأهل البيت نسباً . وهؤلاء هم « **السادة** » . فمن كان عالماً مثلاً ومن طلبة العلوم الدينية ، ومن سلالة أهل



البيت وضع على رأسه **عمة سوداء** . ومن كان من عامة الناس وضع **عمة خضراء** ذات شكل معين إن أراد . أما **العمة البيضاء** فهي لباس العلماء وطلبة العلوم الدينية الذين لا يرجعون بأنسابهم إلى أهل البيت عليهم السلام ، وهؤلاء هم « **الشيوخ** » والعلماء السادة « المجتهدون » يتمتعون بنفوذ أوسع وباحترام أكبر في أوساط الناس . ولما كان مجتمع المدينة متعدد القوميات والأنساب ، فقد يتعدد لباس الرأس تبعاً لذلك .

وتختلف عمائم العلويين ـ وهم الذين يرجعون بأنسابهم إلى الإمام علي وفاطمة الزهراء ـ عن عمائم غيرهم في اللون ، فلهم اللون الأسود والأخضر . أما اللون الأسود فقد ورد في رواية **أبي مخنف عن زيد بن صوحان** قال : « شهدت علياً عليه السلام **بذي قار** وهو معتم بعمامة سوداء » . وأما اللون الأخضر فهو الذي اتخذه الإمام علي الرضا حفيد **الإمام جعفر الصادق** شعاراً للعلويين ، وقلده **الخليفة المأمون** ، فأبدل السواد بعد وفاة الإمام علي الرضا في طوس . وجعل الشريف الرضي ، نقيب العلويين في بغداد وشاعرهم المعروف العمة السوداء شعاراً للحزن والحداد على مقتل الإمام الحسين بن علي وأهل بيته في كربلاء . وقد استمر العلويون في استعمال العمة السوداء في سائر الأقطار الإسلامية ، ومنها انتقل إلى النجف ، واتخذه رجال الدين والعلماء الأعلام من السادة العلويين . شعاراً لهم حتى يومنا هذا[١١] .

ويطلق الناس على طبقة العلوم الدينية اسم « **الملائية** » أيضاً ، ولباسهم في الغالب العمامة والعباءة العربية والجبة والمداس (أي الخف) . ومن لوازم هذا الزي إطلاق اللحية . وقد جرت التقاليد العلمية أن يقام حفل خاص في أحد البيوت تكريماً للشاب الذي سيضع العمامة على رأسه أول مرة ، ويبارك له ، ويدعى له بالتوفيق والصلاح .

ويروى عن **الأحنف** قوله : « **لا تزال العرب عرباً ما لبست العمائم ، وتقلدت السيوف** » . والعمامة العربية وإن كانت في الأصل عربية إلا أنها تأثرت بشكل العمامة الهندية[١٢] . **ولا تزال بعض النسوة في العراق اللواتي ينتمين إلى القبائل العربية القاطنة على دجلة في محافظة ميسان ، أو إلى القبائل الكردية القاطنة في منطقة كردستان يتخذن العمة لباساً للرأس حتى الآن .**

وإلى جانب الأزياء المحلية والريفية والبدوية والأجنبية يشاهد نوع آخر من لباس الرأس في مدينة النجف وفي بعض المدن الأخرى الواقعة في المنطقتين الوسطى والجنوبية . وهذا اللباس هو « **الكشيدة** » . والكشيدة كلمة فارسية معناها « محدودة » . وهي عبارة عن طربوش ، لفت حوله قطعة من قماش سوداء أو خضراء أو صفراء مطرزة أو بيضاء ، يتحلى بها صنف من الناس الذين ينتسبون بحكم علاقاتهم ومكانتهم الاجتماعية إلى طبقة معينة ليست من طبقة أهل العلوم الدينية . ولون « الكشيدة » له دلالة خاصة . فمن كان « سيداً » علوياً اختار اللون الأخضر أو الأسود ، ومن كان غير ذلك اختار ما يناسب من لون . **وتنسب « الفينة » أو الطربوش تارة إلى مدينة فيينا عاصمة النمسا ، وتارة أخرى إلى مدينة « فاس » بالمملكة المغربية**[١٣] .

يقول أحد الباحثين وهو **الأستاذ حمود الساعدي** ما يلي :

« إن لباس الرأس لقادة الجيوش التركية ـ حسبما تحدثنا الروايات التاريخية ـ كان العمة البيضاء . ثم استبدلت العمائم بالطرابيش الحمر في عهد **السلطان العثماني محمود الثاني** ، الذي غيّر زيه ، وأصدر أوامره إلى جميع الممالك التابعة للدولة العثمانية بلبس الطربوش . وقد جرى ذلك في العراق في أيام ولاية **علي رضا باشا** ١٢٤٦ ـ ١٢٥٨ هـ (١٨٣٠ ـ ١٨٤٢ م) . وقد اضطر الناس ، ولا سيما سكان العتبات المقدسة ، على لبسها بعد أن لفوا القماش حولها مجاراة لرجال السلطة العثمانية .

وجدير بالذكر أن حياة النجف العلمية ومجتمعها الإسلامي المتعدد القوميات لا تجري كلها على نمط واحد ، وطبقاً لهذا التصنيف الواضح ، وعلى جميع المستويات ، وفي كل الظروف التي عاشتها المدينة ، ولا سيما أيام المحن والشدائد ، فقد تبدلت معالم الحياة فيها كثيراً قياساً بما كانت عليه ، وازداد عدد سكانها بنسبة كبيرة جداً ، وتقلصت عائلاتها العلمية من جراء التحولات الاجتماعية ، وانصرف قسم من الأبناء والأحفاد إلى الدراسات الحديثة ، والأزياء الجديدة . ومع هذا كله فقد ظلت علاقاتها الدينية والاجتماعية ، وأدى تدفق الوافدون عليها من أقطار إسلامية أخرى طلباً للعلم ، أو هرباً من الاضطهاد والتنكيل ، وازدياد الوعي الديني في صفوف الأجيال الجديدة إلى ظهور قيادات دينية جديدة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة ، تمكنت من تدعيم مكانة المدينة العلمية ، لتبقى مناراً للعلم ومدرسة فقهية وجامعة دينية ، لتخريج أعداد كبيرة من فطاحل العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء .



النجف بموقعها وتاريخها وجامعتها مرجع ديني كبير ، ومعقل من معاقل الدين والعلم والوطنية ، ومقر «الحوزة العلمية» . **وقد مر على تأسيسها أكثر من ألف سنة** ، وحظيت برعاية كثير من ملوك المسلمين وأمرائهم وعلمائهم وأعيانهم ، لمكانتها الخاصة في نفوس المسلمين ، ولاحتفاظها بتراث الكوفة في الأدب والشعر والفقه .

والنجف اليوم ليست مدينة واحدة ، بل مدينتين إن صح التعبير : مدينة قديمة تتخللها شوارع ضيقة وبيوت صغيرة متراصة ومبنية بالطابوق (الآجر) المجلوب من خرائب الكوفة وبالجص المتوفر في أرضها الرملية الجبسية ، وفيها عشرات المساجد والمدارس الدينية للمقيمين والوافدين ، ويرتفع في وسطها مسجد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بقبته الشاهقة ومئذنتيه الجميلتين .

ولبيوت النجف القديمة طابع خاص متميز . ويتألف كل بيت عادة من غرفة للضيوف تسمى بـ«**البرّاني**» أو جناح ، ومن جناح آخر يسمى بـ«**الدخلاني**» يضم عادة غرفتي نوم ومرافق ، و «**سرداب**» (قبو) تحت مستوى أرض الشارع وبأعماق مختلفة ، يستعمل للقيلولة صيفاً ، وللخزن شتاء ، ومن بئر عميقة يستخرج منها ماء أجاج . بيد أن معظم هذه الآبار قد درست العامة لنقل مياه الفرات إلى المدينة بقسميها القديم والحديث .

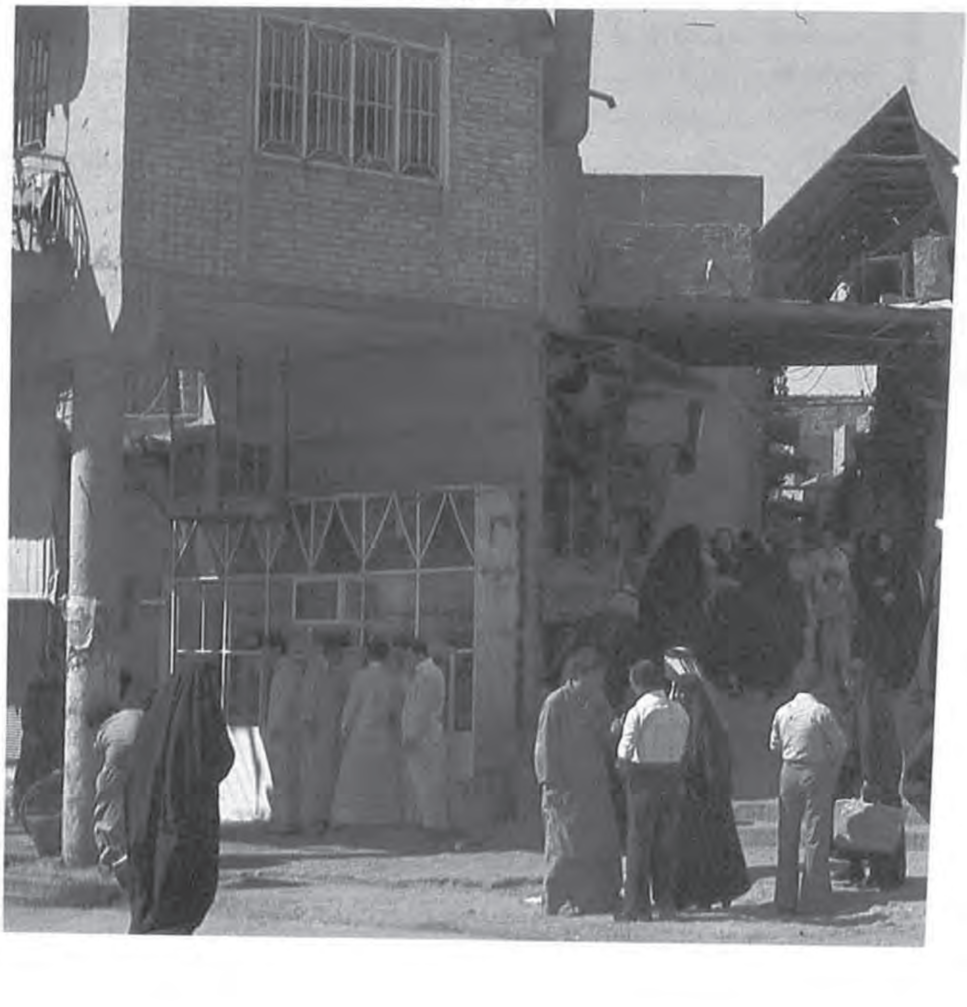
وتحيط المدينة القديمة من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية مدينة حديثة ذات أحياء سكنية ، تتوافر فيها معظم الخدمات العامة ، وذات شوارع عريضة ، وحدائق عامة ، ولها طابع معماري متميز . وقد اختفت معظم معالم الأحياء القديمة بفعل حركة البناء والتجديد وشق الشوارع .

إن استمرار الحياة في هذه المدينة الصحراوية ، بشقيها القديم والحديث يعزى بالدرجة الأولى إلى قدسيتها ، ومكانتها الدينية التي ذكرناها من قبل . والسكن فيها والانتساب إليها يعتز به كل مقيم ، ناهيك عن طلبة العلوم الدينية ، حيث المجالس الأدبية والأجواء العلمية والحياة الهادئة المستقرة . وكثيراً ما يضيف بعض المقيمين اسم «نجفي» إلى لقبه الأصلي ، تخليداً لذكراها أو تعبيراً عن حب الانتساب .

ومن النجف نفسها ، واستجابة لفتاوى علمائها الأعلام ثار العراقيون ضد القوات البريطانية سنة ١٩٢٠م ، لتحرير العراق من الاحتلال والانتداب ، ولتأسيس أول دولة عربية ملكية في العراق بعد سقوط بغداد بسبعة قرون .

هذا هو «قدر» المدينة التي ورثت الكوفة علماً وفقهاً وشعراً ويقظة ، وتابعت مسيرتها التاريخية في الدفاع عن الدين واللغة والشخصية الإسلامية أكثر من ألف سنة ، وهذا هو موقعها في الكفاح من أجل العقيدة واللغة العربية والتحرر .

★ سوق العمارة القديم ★



الهوامش

(١) جعفر آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) يعقوب سركيس : مباحث عراقية ، القسم الثاني ص ٣٣٥ .

(٣) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥م ، تعريب سعاد هادي العمري ، ص ٧٧ ـ ٧٩ . ومن الرحالة الذين زاروها بعد هذا التاريخ أبو طالب خان (١٢١٣هـ ـ ١٧٩٩م) ، والمنشئ البغدادي (١٢٣٧هـ ـ ١٨٢١م) .

(٤) ومما عجل في تدهورها وباء الطاعون الذي كان يجتاحها بين آن وآخر . ففي عام ١١٨٧هـ ، اجتاحها وباء طاعون رهيب ، وطاعون آخر سنة ١٢٤٦هـ ، كان يقضي على ٣٠٠ نسمة في كل يوم .

(٥) والرحالة الإنكليزي لوفتس (١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٣م) ، وجون بيترز (١٣٠٨هـ ـ ١٨٩٠م) ، ولسترنغ (١٩٠٥م ـ ١٣٢٣هـ) ، وماسنيون (١٩٠٨م) ، وسير رولاند ستورز (١٩١٧م ـ ١٣٣٦هـ) ، راجع كتابه «مشرقيات Orientation» بالإنكليزية ص ٢٦٥ ـ ٢٧٧ المطبوع سنة ١٩٣٧م .

(٦) ماسنيون ـ خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصعبي ، ص ٣٤ .

(٧) ليدي درور : في بلاد الرافدين ، تعريب فؤاد جميل : لمزيد من المعلومات راجع ص ٧١ ـ ٧٣ .

(٨) جعفر الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف) ، بحث للعلامة الدكتور محمد بحر العلوم (رقم ١) ص ٧٨ ، وما بعدها .

(٩) محمد مهدي الأصفي : مدرسة النجف ، ص ٧ ، وما بعدها .

(١٠) الأبواب هي : باب الساعة ، والسلام ، والطوسي ، وباب الفرج ، وباب القبلة .

(١١) طالب علي الشرقي : النجف الأشرف ـ عاداتها وتقاليدها ، ص (١٤٧) . راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، لمزيد من التفاصيل .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ ـ ١٤٦ ، وجعفر الخليلي : هكذا عرفتهم ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٩٨ ، ١٥٣ .

(١٣) حمود الساعدي : دراسات عن عشائر العراق ـ الخزاعل ، ص ١٤٢ .



مانيلا



مدريد



نيويورك



بانكوك



نيس



نيروبي

لدينا عالم بكامله ينتظرك

السعودية هي إحدى أكبر الخطوط الجوية العالمية. وتمتلك السعودية واحدا من أكبر وأحدث أساطيل الطائرات ذات الشبكة التي تخدم أكثر من ٣٧ بلدا موزعة بأربع قارات مختلفة .. وهذا بدوره أدى الى زيادة رحلاتها المباشرة بصفة عامة، والى نيويورك أيضا عن طريق جدة الى اربع رحلات اسبوعيا

وحتى تساهم زيادة عدد الرحلات في تعدد فرص التنقل بين مختنف المدن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين ٢٣ مطارا داخل مدن المملكة العربية السعودية. ومن أحدث خطوط السعودية الجديدة الخط المباشر الى نيس المصيف الرائع على شاطيء الريفيرا الفرنسية الشهيرة و مانيلا

في أقصى الشرق- رجاء الاتصال بأقرب وكيل سياحي أو بالخطوط السعودية.

تلفون —— الرياض: ٤٧٧٢٢٢٢

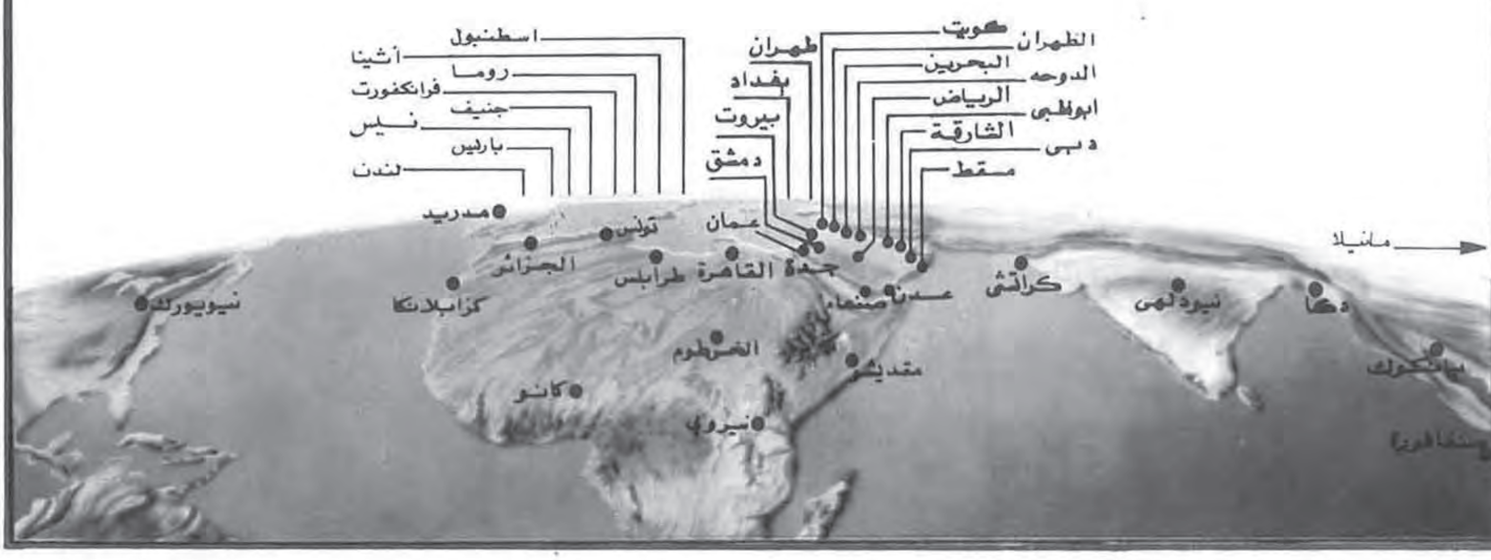
جدة: ٦٤٢٣٣٣٣ الظهران: ٨٩٤٣٣٣٣

السعودية

الخطوط الجوية العربية السعودية

Membre de l'IATA

مرحبا بكم في عالمنا



الغابون



الغابون Gabon أصغر أجزاء إفريقيا الاستوائية الفرنسية سابقاً وأقلها سكاناً. نالت استقلالها وأصبحت جمهورية مستقلة في ١٧ آب (أغسطس) ١٩٦٠م: عاصمتها ليبرفيل Libreville. وتقع على الساحل الغربي من إفريقيا ويحدها المحيط الأطلسي من الغرب، وغينيا الاستوائية والكاميرون من الشمال، والكونغو من الجنوب والشرق. تبلغ مساحتها (٢٦٧,٠٠٠) كم٢ ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٧٠م، حوالي (٩٥٠,٠٠٠) نسمة. وتبلغ الكثافة السكانية حوالي ٣,٥/ كم٢. ويتوزع السكان بنسبة ٣٤٪ منهم في المدن و ٦٦٪ في الغابات والأرياف.

أهم الصناعات في (الغابون) صناعات الأخشاب والكاكاو وتصدر أغلبها إلى فرنسا، ولقد اكتشفت فيها معادن عديدة مثل فلزات المنغنيز وفلزات الحديد وهي بدرجة عالية من النقاوة وبعض اليورانيوم. وقد ازدادت أهمية الغابون الاقتصادية عندما اكتشف فيها النفط وتقوم باستغلال هذه الثروات شركات فرنسية وأجنبية. وقد بلغ إنتاجها من البترول (٦,٣٠٤,٠٠٠) طن سنة ١٩٧٢م، و (٣٤,٤٦٠,٠٠٠) متر مكعب من الغاز الطبيعي.

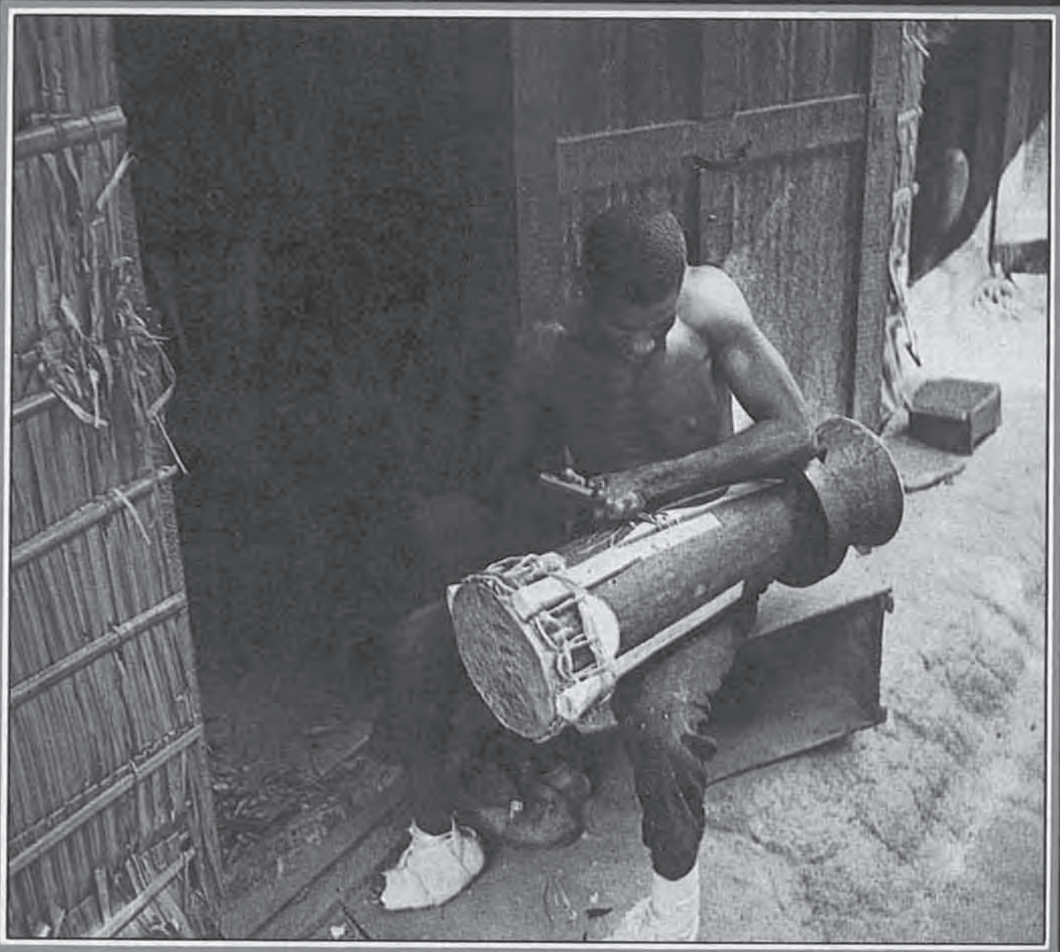
★ صانع الأصنام ★



العادات والتقاليد

لقد وجدت «الأرواح» ـ الطيبة منها والشريرة ـ مستقراً هادئاً في مجاهل الغابات الإفريقية الاستوائية. وقد ساهمت في تضخيم تلك الهلوسات والمعتقدات البدائية صرخات وأصوات الحيوانات الليلية إضافة إلى النباتات المخدرة التي يتناولونها فتؤدي بهم إلى الذهول المطلق والهلوسة. كل ذلك جعل من

الغابون



★ صانع الطبول ★

تلك المعتقدات البدائية أموراً تصل إلى حد اليقين بها بالرغم من عدم وضوحها أو منطقيتها. فكل تلك الحكايات والأساطير تغلفها الضبابية والغموض. لذلك كان من البديهي أن يلجأ الإفريقي إلى الدفاع عن نفسه، في مثل هذا الوضع بواسطة الأحجية والتمائم والتعاويذ والطلاسم، إضافة إلى تجنب المحرمات الدينية، والانضمام إلى الجمعيات السرية وإقامة الشعائر الطقسية.

الأرواحية ومعتقداتها

سبق أن قلنا إن **المذاهب الأرواحية** Animist تعتقد بأن الروح موجودة حتى في الجمادات. فالجبل له روح قد تتجلى في صورة عفريت، والحجر والشجر لها أرواح دون استثناء.

ويعتقد هؤلاء البدائيون بأن الله قد خلق الكائنات ولا يمكن التقرب إليه إلا عن طريق الأرواح كالجان أو عن طريق أرواح الأجداد الذين انتقلوا إلى العالم الآخر. ولذلك يعتقدون أن من واجبهم دعوة تلك الأرواح والتقرب لها بالعبادة حتى تحضر، كما أن استشارتها واجبة في كل الأمور، كما يجب اتقاء غضبها، إذ قد تنزل الصواعق الحارقة والأمطار الجارفة وتثير البراكين إذا غضبت!.

كما يعتقدون بتناسخ الأرواح أو تقمصها. ويعتقدون أن تسمية الحفيد باسم جده إنما هو انتقال **الروح الحيوية** من الجد إلى الحفيد. ويعتقدون أيضاً أن الروح بعد خروجها من جسد الآدمي قد تعود إلى الحياة متقمصة جسد حيوان. وتتحدث خرافاتهم عن نساء تقمصن تماسيحاً، وعن نساء مصاصات للدماء يخرجن ليلاً لامتصاص دم النائمين، وعن رجال تقمصت أرواحهم أجساد جواميس وأفراس نهر!.

ولكن ماذا عن الآخرة؟ يعتقدون بأن هنالك حياة أخرى بعد الموت ولكنهم يختلفون في وصفها حسب القبيلة التي ينتمون إليها؛ فالبعض منهم يعتقد أن الحياة في الآخرة فيها **جنة** تحكمها الأرواح الطيبة وفيها **نار** تحكمها أرواح شريرة؛ والبعض الآخر يرى أن الحياة الآخرة هي **جحيم** تسيطر عليه الأرواح الشريرة فقط.

أسرار النباتات

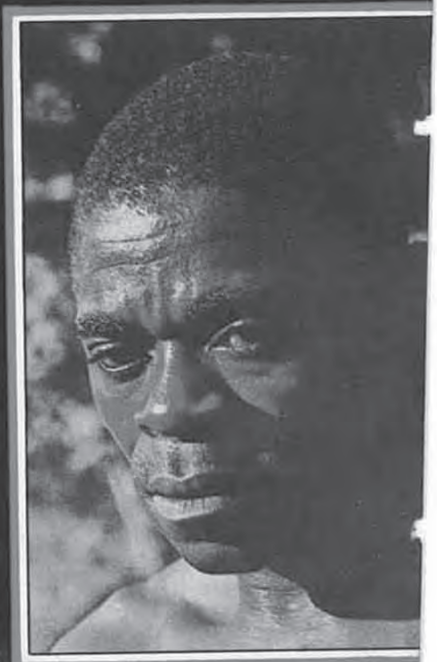
الغابة معطاءة، **فهي** تقدم كل ما هو ضروري لحياة الناس، وفيها كل ما يساعدهم على إقامة طقوسهم الدينية مثل الخشب والأغصان والأوراق والجذور والمساحيق وعصارة النباتات. وتستخدم هذه الأشياء في صناعة الملابس الخاصة بالطقوس والشعائر البدائية، كما تصنع منها آلات الموسيقى، والأصنام، وهياكل العبادة، وأنواعاً من الشراب يستخدم في **التكريس الديني**. ولهذه النباتات أسرار كثيرة يجري الأوروبيون لدراستها دراسة منهجية. ويرفض حكماء القبيلة أو القرية البوح بأي سر من أسرار تلك النباتات أو عن طريقة مزج الأشربة وتركيبها.

ومن بين النباتات المستخدمة في الطقوس الدينية الغابونية **شجيرة** معروفة جيداً هي شجيرة (**الإيبوغا**) **Iboga**، وهي شجيرة ذات أزهار صفراء ذهبية تشبه أزهار نبات **الكاكاو**، وتكاد توجد في كل مكان في البلاد. ويستخدمها أتباع الجمعيات السرية في طقوس تكريس الأعضاء الجدد وفي كل الطقوس. وعلى كل عضو أن يزرع عدة أقدام من هذه الشجيرات أمام كوخه. وقد بيّن البحث العلمي أن لهذه الشجرة خصائص منبّهة ومخدرة. وقد



★ إنهم يرقصون على طريقتهم ★

★ وجه من الغابون ★



★ قرية غابونية .. وعدد من الأطفال ينظرون إلى المصور بدهشة !! ★



اكتشف **الغابونيون** ذلك منذ زمن بعيد : فإذا تناول المرء مقادير قليلة من عصارتها فإنها تقوي ضربات القلب وتجعل الإفريقي لا يشعر بالتعب ويستطيع بذلك أن يغذ السير لمسافات طويلة دون كلل أو نصب ، أو أن يجذف طيلة نهاره أو أن يضرب الطبل ساعات وساعات دون انقطاع . أما إذا زادت الجرعة فإنها تؤدي إلى الشعور بعدم التوازن والغثيان وتبلد الذهن والهلوسة .

هذا وتعتبر قائمة النباتات الطقسية قائمة طويلة جداً ، نذكر منها **(شجرة الأرواح)** ، ويطلقون عليها **(أولومي)** **Olumi** وتعتبر هذه الأشجار حارسة للقرية من الأرواح الشريرة ، وهي شجرة مقدسة

الغابون

عندهم يمنع ضربها أو الطرق عليها ، ويستطيع أتباع الجمعيات السرية الحصول على أمور غيبية من العالم الآخر بواسطتها ، كما يعقدون اجتماعاتهم تحت ظلالها .

الألوان الثلاثة

يرتدي « الأتباع » الذين تم تكريسهم في طقوس القبيلة أقنعة صنعت من الخشب الرقيق المزين بريش الببغاء الأحمر وبريش ديك أبيض أو بأغصان رفيعة من نخيل **الرفية** .

ويصنع الخضاب الذي يطلون به أجسادهم ووجوههم من مسحوق الخشب الأحمر ، ومن الطين الأبيض ومن مسحوق الفحم . ولا يستخدم الغابونيون في طقوسهم سوى هذه الألوان ؛ فالمواد الأولية لصناعة هذه الألوان متوفرة ، إضافة إلى أن لتلك الألوان رموزاً اعتقادية ؛ فاللون الأبيض يرمز إلى **القوة السماوية** أو **الموت** ، والأحمر يرمز إلى **الحيوية والسرور** ، أما الأسود فهو رمز **الأرض** التي يعيش عليها الإنسان .

ويرتدي هؤلاء المكرسون في طقوسهم إزاراً قصيراً من الألياف أو من أوراق أشجار الموز ، ويرتدون أحياناً **كفنا** عريضاً صنع من أوراق وسعف النخيل يدخل الراقص فيه ويغطيه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ويستخدمون أحياناً كيساً من الخيش يزينونه بأوراق الأشجار . ويقومون بالرقص الإيقاعي الجماعي .

الجمعيات السرية

ما زالت تقوم في **الغابون** جمعيات سرية بدائية . ولعل السرية هنا تكمن في المحافظة على أسرار اعتقادهم البدائي ورموزه . وبعض تلك الجمعيات خاص بالرجال فقط ، ويكرس فيها من بلغ سن الرشد . والهدف من هذه الجمعيات هو القيام بالطقوس لأرواح الأجداد . وتنتشر الجمعيات في كل قرية ولكل جمعية **رئيس محلي** يشاركه مجلس استشاري ، ويناقش هؤلاء في خلواتهم أمور القرية وكافة الأمور الحياتية وعلاقة القرية بالقرى المجاورة والقبائل الأخرى . وقاعة اجتماعهم هي كوخ مستطيل الشكل يبلغ طوله حوالي عشرة أمتار وعرضه أربعة أمتار . ومن شروط الدخول في الجمعية هي تجربة تأثير شجيرة **(الإيبوغا)** ـ التي ذكرناها ـ للاتصال بأرواح الأجداد .

وهنالك **جمعيات سرية** خاصة **بالنساء** وهي تنتشر انتشاراً كبيراً في كافة أرجاء **الغابون** . وتكون أماكن الاجتماعات داخل القرية أو خارجها في أعماق الغابة حيث تقوم الكاهنة باختيار المكان الذي يجب أن يكون دائري الشكل وفي وسطه عمود من الطين يبلغ ارتفاعه متراً ونصفاً توضع عليه الطلاسم . ولا تعطي هذه الجمعية أسرارها إلا للبنات اللاتي أصبحن في سن الزواج . وهكذا فإن أغلب الغابونيون هم أعضاء في هذه الجمعيات ويعلقون تمائم وتعاويذ ذات أشكال مختلفة . ولا أحد **يدري تماماً ما يدور في تلك الاجتماعات أو الطقوس ، لأن إنشاء الأسرار ممنوع وعقوبته القتل** ولذلك لا يجرؤ العضو على البوح بالأسرار .



★ قيثارة غابونية ★

علبة الأسرار العائلية

لدى كل عائلة غابونية علبة أسطوانية الشكل صنعت من لحاء الشجر ، توارثها الأبناء عن الآباء ، وتوضع فيها الأشياء العائلية كالتمائم والأحجبة وأطواق الخرز والأصنام .

ولا أحد يستطيع أن يرى تلك الأشياء أو أن يطلع عليها سوى رب العائلة الذي يمثل السلطة الدينية في عائلته . ولو قام شخص غير مؤهل بالاطلاع على ما تحويه علبة الأسرار فإن اللعنة تحل به حتماً ! ، إذ إن تلك الأشياء لا يجوز لغريب لمسها أو النظر إليها .

ولكن ما القول لو دخل أحد الأبناء على والده وهو يتأمل ما بداخل صندوق العائلة ؟ عند ذاك تنتقل فوراً قوة الأجداد إلى هذا الولد ويقوم عميد الأسرة بتكريسه في الأسرار العائلية ويصبح ـ من بعده ـ زعيماً دينياً لأسرته .

وبعد .. تمتلئ الغابات الإفريقية بكثير من الخرافات والأساطير والعادات الغريبة يساعد على استمرارها الجهل المتفشي بين الناس بصورة يغلب عليها صورة الإنسان البدائي .


SUPER 23 SERIES
JEWELS
5
SEIKO



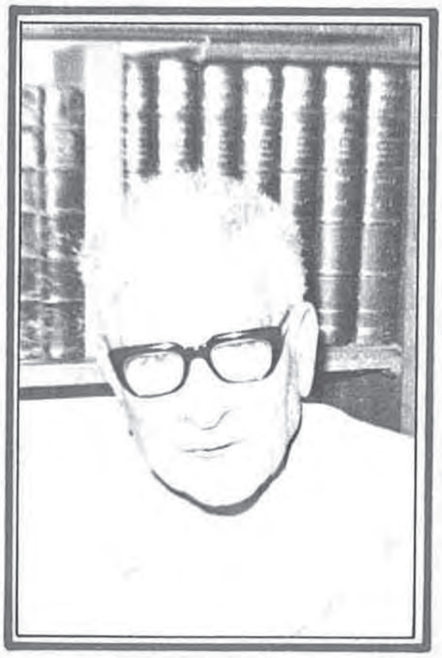
كوداماتيك T.M. كاميرا وأفلام فوريّة
جَديدة ذات نظام مُستحدَث كليًّا.
تكنولوجيّة كوداك في أرقى
مَا وصَلت إليه.
ELECTRONIC FLASH
Kodamatic INSTANT CAMERA
960
TWO
Kodak
Kodamatic™
INSTANT COLOR FILM
20 COLOR PICTURES
For use in KODAMATIC Instant Cameras.
TAKE-TWO PAK
Kodamatic
INSTANT CAMERA & FILM
كوداك التي أعطتك أول كاميرا
فوريّة بفلاش الكتروني مبيّت تقدّم لك اليوم
كاميرا وأفلامًا فوريّة بنظام مُستحدَث كليًا.
• فلاش الكتروني ثوري يغنيك عن التفكير بأوضاع
الإضاءة إذ أنه يضيء تلقائيًا لدى كلّ لقطة.
• فلاش معدّ للإضاءة فورًا في أية لحظة تكون فيها على
استعداد.
• فيلم كوداماتيك فوري جديد بمزيد من السّرعة يمكّنك
من التقاط الصّور ذات الحركة السريعة جدًا بألوان ساطعة ودقيقة.
كوداماتيك كاميرات فوريّة في تشكيلة من الموديلات
مكفولة لفترة من ٣ الى ٥ سنوات.
كفالة
٣ الى ٥
سنوات
على الكاميرات
كوداماتيك كاميرا وأفلام فوريّة جديدة
ذات نظام مستحدث كليًّا من كوداك.
Kodak



إبراهيم الإبياري

إعداد: محمد متولي

تراثنا العربي
بين ماضٍ، وحاضرٍ، ومستقبل



●● العقلية العربية عقلية إبداعية في شتى مجالات المعرفة

والإجابة ليست بالصعبة .. فلكي نعيد صياغة حضارتنا العربية لا بد من الرجوع لماضينا لنحلله ثم نعيد تركيبه بعد مزجه بالجديد بذلك نجمع بين **الأصالة والتجديد** .. وعليه يتحتم علينا توفير الوسائل الكفيلة لضمان إبراز تراثنا ووصول مضمونه للجميع .. والذي يقوم بهذه المهمة الشاقة هو المحقق.

والأستاذ العلّامة **إبراهيم الإبياري** كمحقق كبير للتراث العربي نلتقي به لنناقشه في العديد من القضايا المتعلقة من قريب أو بعيد بتراثنا العربي ذلك الرصيد الحضاري.

بين الإحياء والتحقيق

●● في تقديركم هل يوجد فرق جوهري بين ما يسمى بإحياء التراث، وما يسمى بتحقيق التراث؟

لقاء

إن لم نعرف تراثنا لن نستطيع بناء حضارتنا

● **إحياء التراث** يعني إخراج التراث من ميدان المخطوطات إلى ميدان المطبوعات .. وكان يقصد به في الماضي تصحيح المخطوطات قبل طبعها .. أما **التحقيق** فهو إضافات على التصحيح مثل الإشارة إلى المراجع وكتعقيب المحقق على ما يذكره المؤلف .. وضع الفهارس .. الترجمة للمؤلف والتعريف بالكتاب أو المخطوط .

●● ما موقفكم الخاص من التراث وهل كل قديم يعد تراثاً ؟

● **من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل .. ونحن إن لم نعرف تراثنا لن نعرف أنفسنا أو نستطيع بناء حضارتنا** .. وفرق كبير بين أن نبني مستقبلنا من فراغ أو من أساس موجود .. والدول المتحضرة تعتز أول ما تعتز بتراثها .. وأنا ضد الرأي القائل إن التراث هو ما كان قبل عهد المطابع فميراث من يتوفون اليوم من خطيات من تأليفهم تعد تراثاً فالتراث ممتد .

قيمة التراث

●● ما رأيكم في التراث من حيث قيمته وهل يحق لأحد مصادرة التراث .. وفي تقديركم ماذا نأخذ منه وماذا نترك ؟

● **التراث العربي كله مبدع ..** ويكذبك من يدعي أن النحو العربي مثلاً وضع على أسس يونانية .. **فالعقلية العربية عقلية إبداعية في شتى مجالات المعرفة** .. ولا يحق لأحد مصادرة هذا الإبداع إلا إذا وقع تهجم على العقيدة من قبل أصحاب الآراء المعادية .. فمن حق الجهات المسؤولة الحرص والحفاظ على العقيدة بألا يتيح نشر هذه الكتب على نطاق واسع .. وأيضاً إذا كانت بعض كتب التراث تضم مجوناً صريحاً فيجب أن تحدد طبعاتها مثل ما فعلته دار الكتب المصرية في كتاب (**نهاية الأدب**) **للنويري** فقد حرصت على إخراج هذا الكتاب في طبعتين .. طبعة خاصة كاملة لا تباع إلا للمطلعين والمثقفين الكبار .. وطبعة عامة محذوف منها هذا المجون تباع للجميع .

وهناك من الكتب التي يجب أن تعامل معاملة خاصة عند طبعها مثل كتاب (**الفتح الوهبي**) **لليميني** .. وأيضاً كتب الفلسفة ولا سيما ما كان منها على لسان **الروافض والجهمية والشيعة المتطرفة** وغيرهم .

أيديولوجية التراث العربي

●● من خلال

إبراهيم الإبياري في سطور

★ إبراهيم إسماعيل الإبياري .. (نسبة إلى إبيار) .

★ من مواليد ١٩١٢ م ، بإبيار ـ طنطا ـ محافظة الغربية ـ القاهرة .

★ متخرج من القسم العالي بدار العلوم ١٩٢٩ م .

★ عيّن بالقسم الأدبي بدار الكتب الذي يهتم بتصحيح الكتب .

★ شارك في إخراج كتب .. **الأغاني .. عيون الأخبار .. النجوم الزاهرة** .

★ في عام ١٩٤٥ م ، انضم إلى **لجنة أبي العلاء مع الدكتور طه حسين** .

★ وفي عام ١٩٤٨ م ، سافر إلى إسبانيا لتدريس اللغة العربية بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية .

★ في إسبانيا قام بعمل فهارس لمخطوطات مكتبة الأسكوريال وقام بإعداد كتاب لتدريس اللغة العربية للإسبان .

★ بعد عودته عيّن مستشاراً ثقافياً بوزارة الثقافة .

★ من أعماله المحققة .. **كتاب الأغاني .. الغصون اليانعة** لابن سعيد .. **نهاية الأرب** للقلقشندي .

ومن مؤلفاته .. نظرات في التاريخ الإسلامي .. تاريخ القرآن ، رسالات السماء .. عذراء البصرة .

وفي مجال الترجمة .. ترجم الحمراء (غرناطة) عن الإنجليزية .



●● أيديولوجية (ابن خلدون) لاتزال أيديولوجية العصر الحديث

اطلاعكم على التراث وتحقيقكم للكثير من الكتب والمخطوطات العربية في شتى مجالات العلوم هل لاحظتم وجود ملامح لأيديولوجية عربية وهل يمكن لهذه الأيديولوجية الوقوف والصمود أمام الأيديولوجيات التي تحكم العالم اليوم ؟

● العرب منذ القدم ومنذ أن استقرت بهم الحضارة وأظلهم الإسلام بتشريعاته وقوانينه ومبادئه العامة تفتحت أذهانهم على أسس كثيرة من الأسس الأيديولوجية الحاضرة وكانت لهم مشاركات اجتماعية استقوها من القرآن الكريم ، وأيضاً مشاركات سياسية واقتصادية .. **ولو رجعنا إلى كتب الفقهاء لوجدنا تشريعات تعجز عنها التشريعات الحديثة .**

فمثلاً .. أيديولوجية **(ابن خلدون)** الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لا تزال أيديولوجية العصر الحديث ترجع إليها .. ثم حسبك المؤلف الفلكي **(البيروني)** لا تزال الجامعات الأوروبية ولا سيما **(برلين)** تعتمد على الأسس التي وضعها في الفلك .. والنظريات الأدبية المستحدثة كانت لها أسسها عند النقاد العرب وإن اختلفت المسميات والأسماء ، ونحن إذا وجدنا من ينبري لعيب تراثنا بتقصيره في الميادين الأيديولوجية فالعيب فينا لأننا نكون على غير وعي بما لنا ومن هنا لا نملك الحجة .

ترجمة التراث

●● في تقديركم ما السبب الذي يحول دون وصول الآداب العربية والثقافات العربية إلى الآفاق العالمية الحاضرة من ناحية .. وعدم تأثيرها فيها من ناحية أخرى .. هل هو ضعف المستوى الفكري أم تدهور الترجمة التي كانت تلعب دوراً خطيراً في التبادل الثقافي والاتصال الفكري في الماضي ؟

● لا شك أن العصور الأولى التي اتصل فيها العرب بالغرب شهدت احتكاكاً بين العرب والحضارات الأخرى **كالفرس واليونان** .. كان من نتائجه على سبيل المثال .. تأثر **(دانتي)** برسالة الغفران **(لأبي العلاء المعري)** . كما أن كثيراً من النظريات الفلكية التي كانت **(للبيروني)** والطبية التي كانت **(لابن سينا)** أفاد الغرب منها كثيراً ، تم ذلك وغيره حين كانت في الغرب فئة ساعية للتعرف على ما لدى الشرق من معارف وعلوم وآداب .

ومنذ بداية القرن السادس عشر أخذ المستشرقون في نقل الكثير من العربية إلى اللغات الغربية في شتى الميادين الثقافية ، كما أسهم المستشرقون في إحياء وتحقيق الكثير من كتب التراث العربي .. **أما في الوقت الحاضر فلم يعد في الغرب من يوصل ثقافتنا العربية إلى الغرب وأصبح العبء علينا وذلك بأن نلحق بكتبنا التراثية ملخصات بلغة أو بلغتين من لغات الغرب ، وأيضاً نعمل ملخصات بلغات أجنبية تعرف العالم بأهم كتبنا المختلفة .**

ترجمة القرآن

●● استكمالا لموضوع الترجمة هل تؤيدون ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى أم لا بد أن تتعلم الشعوب غير العربية اللغة العربية ؟

● **ترجمة القرآن الكريم كما هو أمر مستحيل فهذا الإعجاز القرآني يستحيل على العربي أن يأتي بمثله فما بالك بأن يترجم إلى لغات أخرى كما هو هذا من ناحية** .. ومن ناحية أخرى ليس من السهل أن تتعلم الشعوب التي تتكلم لغات غير عربية اللغة العربية .. ولكي نسهل الأمر

لقاء



أمام الشعوب المسلمة غير الناطقة بالعربية نترجم لهم المعاني القرآنية وهذا هو الممكن فقط.

العربية والإسبانية

●● من خلال عملكم بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد بإسبانيا ماذا رأيت من آثار للحضارة الإسلامية هناك.. وماذا استفادت اللغة الإسبانية من اللغة العربية؟

● هذه القرون الثمانية التي مكثها العرب في إسبانيا استطاعوا فيها أن ينقلوا الأندلس من الغربية إلى الشرقية حتى كاد أن يصبح قطراً عربياً.. والناظر في المكتبة الأندلسية والكتب الأخرى التي وضعها العرب عن الأندلس يسجلون فيها تاريخ العرب في الأندلس تدل على ذلك.. ونجد فيها جملة غفيرة من العلماء والفلاسفة والفقهاء واللغويين تكاد تناظر مثيلاتها في أي قطر شرقي.. كما كان للعرب في الأندلس مدارس فقهية على نحو المدارس الشرقية ومدارس نحوية ولغوية.. كما كانت لهم فلسفة خاصة.

وعلى الرغم من المعاملة التي عومل بها العرب على يد الإسبان بعد أن انقضت دولتهم.. فلا تزال الألفاظ العربية موجودة في اللغة الإسبانية بنسبة ١١٪، ويضمها المعجم الرسمي الذي وضعته الأكاديمية الإسبانية (**المجمع اللغوي الإسباني**)، وكما فعل بالألفاظ الفارسية واليونانية التي دخلت العربية أيضاً حرفت قليلاً الألفاظ العربية التي دخلت الإسبانية، وأشير إلى أنها من أصل عربي.. **هذا بالنسبة للتراث اللغوي**.. أما بالنسبة للتراث المعماري (**المساجد والقصور**) التي على الطراز العربي فهي مورد رزق لهم في مجال السياحة.

مستقبل التراث العربي

●● كيف ترى دور العلم الحديث في ازدهار التراث والمحافظة عليه، وما مدى الاهتمام بتحقيق التراث والمحققين في المستقبل؟

● التراث يستفيد من كل تقدم علمي سواء في الطباعة والتصوير والاختزال والورق والأفلام وغيرها من وسائل المحافظة على المخطوطات.

والشعور اليوم بالتراث وقيمته أخذ في النمو والازدياد حيث بدأ يدب في نفوس العرب إحساس عميق بالتراث ولكن للأسف فإن الوسائل إلى إحياء هذا التراث لا تزال قاصرة فليس ثمة محققون كثرة، وليس ثمة مدارس للتحقيق وليس ثمة مجازاة عادلة لجهود المحققين.

●● نسبة الألفاظ العربية في اللغة الإسبانية ١١٪ يضمها المعجم الرسمي الذي وضعته الأكاديمية الإسبانية

●● كمحقق كبير ما مواصفات المحقق الناجح لتراثنا العربي؟

● أصعب مهمة هي مهمة المحقق للتراث إذ إنه يجب أن يكون على علم بفروع المعرفة كلها.. لا أقول يتعمقها كلها بل أقول يأخذ من كل فن بطرف، فالكتب التراثية لا تختص بميدان دون ميدان خاصة الكتب القديمة منها فهي تجمع بين شتى ألوان العلوم المختلفة.. من أجل هذا كان على المحقق أن يعرف على الأقل المراجع التي يستعرضها ما يبيّن له ما يغمض عليه.. أيضاً من شرط المحقق أن يلم بلغة أجنبية أو أكثر.

●● ماذا ينتظر أن تقدمون شخصياً لمكتبة التراث العربي؟

● ستظهر قريباً (**المكتبة الأندلسية**) في طبعة محققة تحقيقاً علمياً، ومفهرسة ومقدمات تعريفية بالمؤلفين والكتب.. وقد يخرج منها في القريب العاجل أخبار مجموعة وتاريخ افتتاح الأندلس (**لابن القوطية**) وقضاة قرطبة.

هاتف الحب

شعر: سعد البواردي

احلُك مني سويداء قلبي ..
فلولاك ما كان «وجدي» و «حبي»
أحلُك يا «موطني» ما تمنيت
مني .. وفيما تمنيت «حسبي»
فلولاك ما لذ طعم الفطام
ولا عز نبض الحياة بجنبي
أحبُك حبين .. حب «انتمائي»
.. وحب «ولائي» لأقدس ترب
«ترابك» .. يرعى رياح «التراث»
و «روحك» عن كل ما فيه تنبي
أحبُك فالشوق يطوي بعادي
تساوى بحبك «بعدي» و «قربي»
غمست رغيفي بكأس دمائي
لأجلك .. سلمي «كريم» وحربي
لأجلك أسقيت «ورد» الحياة
ومن «وردها» عنك تنهل سحبي
أنا منك يا «موطني» نبتة ..:
تطل شموخاً على كل درب
أحبُك حبين .. حب «انتمائي»
وحب .. «ولائي» .. لأقدس «ترب»



روائع شعرنا الإنساني

بقلم: أحمد العناني

لم يحدث في التاريخ أن ساهمت أمم تنتمي إلى سائر العناصر البشرية السامية والحامية والآرية في تطوير لغة من اللغات، وتوسيع مضامينها وأشكال التعبير بها كما حصل ويحصل في اللغة العربية، وهي في حقيقة الأمر كانت وتظل اللغة الإنسانية الأولى، ولقد بدأت عالمية اللغة العربية بتدبير إلهي خلال عدة قرون قبل ظهور الإسلام، وذلك تمهيداً من الله جل جلاله، وتدبيراً من عنايته الحكيمة للدور الأكبر الذي كان ينتظر تلك اللغة بظهور الإسلام وانتشاره.

إن الموقع المتوسط لشبه الجزيرة العربية بين قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقية، والمهمات التي قدر **لمكة المكرمة** وأهلها الاضطلاع بها، سواءً في المجال التجاري أم في المجال الديني بوجود **البيت العتيق** بها، قد أكسبت **لغة قريش** أفضل مزايا اللغات واللهجات التي وجدت في شبه الجزيرة وما حولها، فلما جاء الإسلام ألقى على عاتق تلك اللغة مهمة التعبير عن أكبر عملية مزج ثقافي حصلت في التاريخ، ... وهي عملية نفت فيها **الثقافة الإسلامية** عناصر الفكر الوثني والخيال المشرك، وفتحت ذراعيها بعد ذلك لاحتضان كل فكر وفن وتخيل ينتفع به الإنسان، ولا يتعارض مع التوحيد، من سائر الحضارات السابقة الهندية والإيرانية والملاوية والملقية والجاوية والسريانية والإغريقية واللاتينية والقبطية والبربرية بل والصينية والتتارية ...

من هنا جاء سحر البيان العربي، وجاءت المضامين الإنسانية للشعر العربي ...

ولم يحدث صدفة أن يعترف طائفة من أكبر المتذوقين للأدب، وأقدر نقاده بأن بعض الشعر العربي هو أحسن ما قاله الشعراء في أي شعب، وأن الشعر الغنائي العربي هو أعظم شعر غنائي في التاريخ، ولا كان ممكناً أن تنشأ فنون شعرية وقصصية في الغرب والشرق على السواء نتيجة الاحتكاك بالمسلمين بحكم التجارة أو المجاورة.

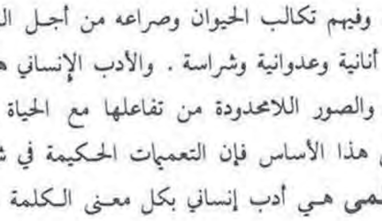
إن سعة المفردات والمترادفات والاشتقاق كلها عوامل أساسية في إيجاد المرونة، وتيسير الموسيقية اللازمة لنجاح الشعر والنثر على السواء ... والعملية الأدبية الناتجة عن انفعال الحس المرهف بمناظر الحياة وتجاربها، تحتاج لغة مطاوعة بسعتها وخصوبتها لكي تخرج عملاً إنسانياً مؤثراً.

إنسانية الأدب

يشترك بنو البشر جميعاً في كل المشخصات التي تجمعهم بأصلهم الآدمي الواحد، ففيهم أشواق علوية بما نفخ الله تعالى في خلقهم من روحه، كما فيهم حتميات لاصقة بوجودهم الأرضي، من حيث كونهم جميعاً من نتاج الطين والماء يغتذون .. فيهم نزوع للسمو والرحمة والفداء والإيثار، وفيهم تكالب الحيوان وصراعه من أجل البقاء، وما يفرض ذلك من أنانية وعدوانية وشراسة. والأدب الإنساني هو التعبير عن هذه المكوّنات والصور اللامحدودة من تفاعلها مع الحياة ...

وعلى هذا الأساس فإن التعميات الحكيمة في شعر **زهير بن أبي سلمى** هي أدب إنساني بكل معنى الكلمة. أليس تعبيراً عن مأساة الإنسان في كل زمان ومكان قول زهير بن أبي سلمى مثلاً:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدَّم، ومن لا يتّق الشتم يُشتَم



أليس ذلك القول هو التعبير عن الحتمية الإنسانية المؤلمة في هذا العصر، تلك الحتمية التي تفرض على الناس هذا الانفاق العسكري الرهيب فيما ملايين البشر يتضورون جوعاً.

يقول **نيكلسون** : إن من أعظم ما قيل في الشعر الإنساني قول الشاعر العربي :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداءٍ يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ

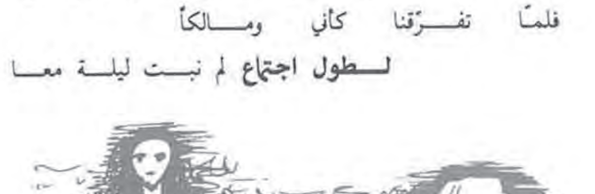


وهو في هذا الإعجاب مُحق تماماً...

فحتى هذه الساعة وبعد خمسة عشر قرناً تقريباً من الوقت الذي نظمت فيه أبيات **السموأل** هذه، إن كانت حقاً للسموأل أو سواه نجد أن كل إنسان يحافظ على القيم الإنسانية يخرج مستحقاً للشرف العظيم أياً كان فقره أو عذاب دنياه، وأن تلويث العرض وتدنيس الشرف لا يمكن أن يفضيا بفرد أو أمة إلى خير أبداً مهما بلغ حظه أو حظها من المجد المادي المعبّر عنه هنا بالثوب...

وخذ لك هذين البيتين اللذين أبكيا سيدنا **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، وكان لعمر ذوق رفيع في فهم الشعر ونقده، والبيتان **لمتمم ابن نويرة** يبكي فيهما أخاه مالكاً... يقول متمم في وصف التصاقه بأخيه ثم انقطاع ذلك الالتصاق بقتل مالك أخاه، وما ترك ذلك الانقطاع في حسّه :

وكنّا كندمانَيْ جُذيمة حقبةً
من الدهر، حتى قيل لن يتفرقا
فلمّا تفرّقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا



حالتان يصور إحداهما البيت الأول، هو وأخوه كنديمي جذيمة، وهما رجلان عرفا بالصحبة المتلازمة فصارا فيها مضرب مثل، ولهما قصة طويلة.

وأما الحالة الثانية فهي التي تصوّر فجيعة كل إنسان محب يقطع الموت أو الفراق الطويل اتصال الألفة والود بينه وبين حبيب أياً كان... ويترك ذلك القطع بالضبط والتمام حالة نفسية وراءه هي التي يعبّر عنها متمم بن نويرة.

إنك سواءٌ عرفت حبيباً وفارقته ساعة أو يوماً أو حقبة من الدهر، فأنت منتهٍ إلى حال واحدة بفراقه الأبدي... تماماً كأنك لم تره ولم تجالسه ولا لك به صلة إلا طروء طيفه في خيالك...

بل إنك حتى لتحس أن طول اللقاء كان عبثاً لأنه لم يؤكد شيئاً... لأنك لو مكثت مع محبك مهما مكثت والتصقت به مهما التصقت فإن اختفاء صورته بفراق أو قبر يجعلك في نفس الحبوط وكأنك لم تعرفه إلا مرة ولم تبت معه إلا ليلة، وهذا أمر يحس به كل البشر... ويبكي له الخرع الرعديد، والبطل الصنديد على حدّ سواء... ويهز عمر جندي الإسلام الصارم حتى يسيل دموعه، وكان عمر رضي الله عنه امتحن امتحاناً مماثلاً في أخيه.

وحين يقول **أبو ذؤيب الهذلي** في كارثته بأبنائه :

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كلَّ تميمةٍ لا تنفع



والتمائم أمور يتوسل بها الناس لتوليد ولو حتى أمل خادع بالنجاة، لكن كل التمائم من كلام حسن وطبابة وأدوية، وأماني وأدعية تنهار أمام قضاء الله المحتوم على البشر بالموت...

وحين يقول **ابن الرومي** إذ يرفض العزاء في فقد أحد أولاده ناشئاً من كونه كان أباً لعدة أولاد عدا المتوفي فيقول :

لكلٌ مكانٌ لا يَسُدُّ اختلالَهُ
مكانُ أخيه مِنْ جَزوعٍ ولا جَلْدِ



فهو في الحقيقة يعبّر عن وضع إنساني يستوي فيه كل مخلوق.

فلو كان لأب ألف ولد فإن فقدان أي منهم يصدع جانباً من القلب لا يسدّ فراغه، ولا يجبر صدعه أي واحد من إخوته الأحياء.

أليس ذلك هو سرّ قول **يعقوب عليه السلام** حين عاد الأولاد له من مصر دون بنيامين ﴿ **يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن** ﴾ (سورة يوسف، الآية ٨٤).

الضائع بنيامين... ولكن ضياع بنيامين يجدد نبض الحزن في الوتر الموجوع بموت يوسف...

وحين يقول **المتنبي** :

ما أضرّ بأهل العشق أنهُمُ
هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهمُ دمعاً، وأنفسهمْ
في إثر كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حَسَنُ

أليس هو يعبِّر عن مأساة كل شاب : يعتنق فكرة سياسية خاطئة فيسجن ويضرب ويحرم وقد يجرح ويشوه بسببها ثم تمر الأيام ويصفو منه العقل وتدخل في كيانه الحكمة فيعرف أنه كان مجنوناً إذ ينتسب لمذهب جنوني ظاهره الرحمة وباطنه العذاب . . .

وكم رجل ذاب شوقاً ونال همًّا فحقق زواجاً يرتجيه فلما تكشفت له حقيقة الحبيب الحسن الوجه رأى من بشاعة خلقه وخسة طبعه أو خيانته ما جعل أكبر أمانيه الخلاص منه ونسيانه . . .

أدب الإسلام

هذا هو الأدب الإنساني المرشح للنفاذ إلى قلوب الناس جميعاً في الأرض لأنه يمثل حقيقة أصلية في الآدميين جميعاً فلو ترجم أو نقل إلى أية لغة ، فإنه مهما يخسر من خصائص شكله بالترجمة ، يظل محتواه الإنساني مؤثراً . . .

وإنه ليستحيل أن يوجد أدب آخر في الأرض يستطيع أن ينافس أو يضارع الأدب العربي في إنسانيته ، وعالمية شموله . . . والسبب بسيط . . وهو أن المضمون الإسلامي لهذا الأدب لا مثيل له إطلاقاً . . . فالإسلام هو العقيدة الواحدة الدائمة القدرة على جمع القلوب على التآخي رغم فروق الألوان والأقاليم والأعراق . . .

والإسلام هو مؤسس الضمان الاجتماعي وكفالة أهل الفاقة والعجز والمرض والحاجة .

والإسلام هو الذي وضع السلطة التشريعية وقانون الله فوق رقبة السلطة التنفيذية وما زال قادراً على وضعها .

والإسلام هو الذي يجعل رجلاً بل وامرأة من عرض الناس أقوى بالحق من أمير المؤمنين . . .

والإسلام هو الدين الذي خاطب ويخاطب بني آدم جميعاً من حيث هم بشر لا يتمايزون إلا بالتقوى الدافعة إلى المسلك القويم والعمل الصالح والكلمة الطيبة ، وكل صنوف التضحية لرضوان الله تعالى .

ومن هنا كان الشعر الملتزم بالإسلام إنسانياً عالمياً من أعلى طراز . . .

ورب قائل يقول ، وحقاً كان هناك من النقاد الأجانب من قال ، إن هذا المنزع الإنساني في الأدب العربي تحكمه آنيّة عاطفية ، فهو يومض في بيت أو بيتين ، ثم تختفي معالمه ، وأريد أن أردّ على هذا القول بالإشارة إلى أن الشعر العربي فيه كثير من القصائد ذوات الموضوع الإنساني الواحد على مدى القصيدة مهما طالت . . . وعلى سبيل المثال ـ لأن الحصر مستحيل حيال غزارة الشعر العربي ـ خذ لك **قصيدة البحتري السينية في إيوان كسرى** ، وقصيدة ابن الرومي في دمار البصرة على أيدي الزنج أواخر الثلث الأول من القرن الثالث للهجرة ، أو ابن الرومي في غدر الأصحاب ، أو وصف صوت مغنية رصينة الأداء ، والكثير من شعر **المعري** ، وقصيدة كقصيدة المجاهد **مالك بن الريب التميمي** ، أو حتى هذه القصيدة التي مطلعها في رثاء قط « يا قط فارقتنا ولم تعد . . . » أو هذه المقطوعة الإنسانية الرائعة من شعر **المتنبي** . . . ولا تسائلني عن مضمونها الإنساني الإسلامي . . . فهي مجرد تعقيب شاعر على مثل قول الله تعالى **﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾** (سورة الكهف ، الآية ٤٥) .

فيقول أبو الطيب يصف دنيا الهشيم وعَبَثيَّة الشحناء بين عباد الله :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولَّوْا بغُصَّة كلُّهم منه ... وإن سرَّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصَّنيع لياليه ... ولكن تكدِّرُ الإحسانا
وكأنّا لم يُرْضَ فينا بريْب الدهر ... حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ... ركَّب المرء في القناة سنانا
ومرادُ النفوس أصغر من أن ... نتعادى فيه وأن نتفانى
غير أن الفتى يلاقي المنايا ... كالحات ولا يلاقي الهوانا
ولو أنَّ الحياة تبقى لحي ... لعددنا أضلَّنا الشجعانا



وهذه أبسط خلاصة معبِّرة عن مأساة الإنسان في استمساكه بحياة زائلة ، يُشْغَلُ بها ولكن كانشغال ألوف الأجيال الموتى من قبله وهو يعلم ذلك ، ويعلم مدى الخطأ في إسرافه باهتمامات لا تغني في نهاية المطاف غناء شيء فصدق الله العظيم **﴿ أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾** (سورة السجدة ، الآية ٢٦) .

غير أني أود أن أقول لوجه الحقيقة إن الشعر العربي وإن حوى الكثير من القصائد ذات الموضوع الإنساني الواحد على مدى القصيدة كلها أو في قطاع كبير منها ، إلا أن الومضات الإنسانية السريعة في ثنايا القصيدة هي المضمون الأغلب في شعرنا . . . وليس في ذلك ما يُخِلُّ بمقولتنا عن الفضل العظيم لشعرنا الإنساني ، ذلك بأن التزام الموضوع الواحد من الحكمة والصور الإنسانية أمر عسير في كل أدب فما بالك وشعرنا العربي ملتزم بالوزن الواحد والقافية الواحدة على مدى القصيدة .

يقول واحد من أعظم النقاد الأدبيين الإنجليز وهو **أبركرومبي** إن هناك أبياتاً محدودة في كل قصيدة من الشعر الذي يعتدّ به عند الأمم تحوي « مادة السحر » الذي يفيض أشعة منه على سائر الأبيات التي تليه ، ويجعل للأبيات السابقة له رونقاً وبهاءً . . . ومادة السحر هذه « Incantation » هي التي يسميها العرب « **بيت القصيد** » ، أو البيت الذي يحوي تعميماً مؤثراً بعد طائفة من الأبيات العادية . خذ لك من الشعر الحديث مثلاً قول **بشارة الخوري** في هجوم **سلطان الأطرش**

على دبابة فرنسية إبان الثورة السورية على الاستعمار الفرنسي خلال العشرينات :

وثَبْت على سنام التنْك وثبا
عجيباً عَلَّم النسرَ الوقوعا
وكهربْت البطاح بجد عضب
به وبمثله تفني الجموعا
إذا ما شئت رفع الضيم فاضـ
ـرب بسيف محمد واهجر يسوعا . . .



لقد أذكر الناس يهتزون اهتزازاً شديداً للبيت الأخير ، فهذا رجل من قوم عيسى عليه السلام لا يرى وسيلة لصدّ هجمة الاستعمار الغاشم إلا جهاد الإسلام الذي أذن الله به **محمد صلى الله عليه وسلم** لتقليم أظافر المعتدين وتحطيم أنيابهم وردعهم بالقوة وهي حق وحشية القوة الكافرة .

ولقد أذكر مما ينسب **لأبي نؤاس الحسن بن هانئ** وهو على فراش موته تطوف به ذكريات الماضي ، وجنون الشباب وبعض ممارساته الآثمة ، قوله في رقعة قيل إنها وجدت مع غيرها تحت مخدته :

ولقد نَهَزت مع الغواة بدَلْوهم
وأسمْت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فإذا عُصارة كل ذاك أثام



فانظر لهذا التعميم الرائع في البيت الثاني كم فيه من صدق الحكمة ، وجمال التصوير والتأثير . . . فمهما يفتن الناس بالخطايا والمحرمات ما كان لخلاصتها أن تكون شيئاً سوى الإثم والندامة .

وتستطيع دون كبير تحفظ أن تعتبر قطاعات بكاملها من ميراثنا الشعري أدباً للإنسانية كلها . . . كأكثر ذلك الشعر النجدي المسمى **بالشعر العذري** ، وأخصّ بالذكر شاعراً **كابن الدمينة** . . إنه صورة الألم حين يتسامى ، والحرمان حين يستحيل فلسفة من الحزن الهادئ العميق . . . وكل الشعر العربي المعبّر عن مكارم الأخلاق والبسالة في التضحية في الله بالجهاد ، أو بالمال والراحة كما يفعل العربي في ليالي جمادى حين يطرق طارق مقرور جائع يبتغي الضيافة فيهتف صاحب البيت بزوجه يستنهضها للعمل في شرف العون وعمل الخير :

يا ربة الدار قومي غير صاغرة
ضمّي إليك رحال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أندية
لا يبصر الكلبُ من خيشومه الذنبا
لمرمل الزاد مَعْنيٌّ بحاجته
من كان ينشد حمداً أو يبغي حَسَبا



لقد قلت إني لا أملك لا أنا ولا أحد من الناس أن يقدم حصراً للصور الإنسانية الخلاّبة في شعرنا العربي . . . وإن عندنا من الكنوز والنفائس في هذا المجال شيئاً كثيراً ، ولعل أحداً مهما تدنّى خياله لا يفوته أن يدرك تفاصيل الصراع النفسي عند فراق اضطراري لصديق جار أو حبيب غدر ، حين يكون للعقل منطق غير منطق القلب . . .

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا
وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنّيتها لما تمنّيت أن ترى
صديقاً فأعيا ، أو عدواً مُداجيا
حَبَبْتُك قلبي قبل حبك من نأى
وقد كان غداراً فكن أنت وافيا
فإن دموع العين غدرٌ بربها
إذا كنّ إثر الغادرين جواريا
واعلم أن البين يشكيك بعده
فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا . . .



وأخيراً فإن ميراثنا الشعري ، من حيث هذه الناحية الإنسانية ، يحتاج دراسة مستفيضة ومتمهلة تقوم بها مؤسسة من الدارسين الجاذين ففي شعر الأندلسيين والصقليين مثلاً أوصاف لأحوال الروع والسقوط المفاجئ للحواضر الضخمة كما حصل لطليطلة ، وفيه الكثير من أدب الحنين ، وسكرات الأسى للغيظ الكظيم ، وفي شعر المهجر المعاصر نوازع كثيرة من هذا القبيل . . . فحيثما وجد الناطقون بالعربية كان هناك شعر ، وكان في بعض ذلك الشعر مضامين إنسانية ترتدي طابع العربية الجميل . . .

الحروف الصلبة
بين الحروف الرقيقة

بقلم: عبد الحكيم الكوراني

بدأ النحاة ـ على المشهور ـ من حيث كان لهم أن يبدؤوا، حين اكتشفوا أن الكلمة اسم أو فعل أو حرف.. لكن الكلمة كانت قد وصلت إليهم ـ في أصلها ـ المختار المصطفى بعد أن تمت ونمت وترعرعت.

ولا يكاد أحد يدرك كيف وقع لها ذلك مع علمه المسبق بأنها مرت بعصور انتقاء واصطفاء.

ولا شك في هذا، فبين الحروف ما هو متنافر لا يقر الاتصال إلا بما يلائمه منها.

فقد أجمع النحاة مثلاً على أن تاء «افتعل» ـ أي المزيد عليه بحرفين ـ تنقلب إلى طاء مهملة إذا تلت بعض الحروف.

وذلك مشهور ينص عليه كل كتاب قريب أو بعيد، فلك إن شئت أن تطلع عليه في كتاب حديث موضوع لطلاب كليات الآداب اسمه «**المنهل**»[1] وإن شئت وجدته في **شرح الأشموني**[2] والأول يخص كلمة واحدة هي «يصطحبان» فترى أن أصلها القياسي بعد زيادة الألف والتاء هو «يصتحبان» ـ بالتاء لا الطاء ـ.

لأن الفعل أصله «صَحِبَ» أي هو مبدوء بالصاد (ص).

والثاني (الأشموني) يقرر لك أن تاء الافتعال تبدل بالطاء في كل الأفعال المبدوءة بالحروف:

(ص ـ ض ـ ط ـ ظ).. وهذه الحروف تسمى **بالمطبقة والمجهورة** ـ من الجهر ـ أما التاء ـ المثناة ـ فمن **الحروف المهموسة**، والهمس ضد الجهر. فهما ضدان **لكن هل كل مهموس لا يتصل بمجهور؟**.

وهذه التاء ـ مرة أخرى ـ تبدل بالدال المهملة في أفعال أخرى هي المبدوءة بالحروف:

(د ـ ذ ـ ز) الدال والذال أختها والزاي[3].

وهذا ـ في رأينا ـ هو الذي أدى إلى ما تراه في المعاجم من قفزات تثب بك من مادة إلى مادة، وتقفز متجاوزة ما تجاوزته كما شاءت، بل كما شاءت لها اللغة، وهذا هو الانتقاء أو الاصطفاء الذي نشأ عن تعامل الحروف مع بعضها. وقد رأيت أن التاء تستثقل لفظاً بعد تلك الحروف وهي سبع. فلا تقول «ازتهر» ولا «مزتهر» وإنما تقول ازدهر ومزدهر. ولا تقول «اضْتَرب» وإنما تقول «اضطرب» وهذا الذي تجده في المعاجم ناشئاً عن «ضَرَبَ».

وقد بحث النحاة في الكلمة الخالصة الناضجة ولم يحاولوا معرفة أي شيء عن صفة الحروف التي شاركت في بُنْيتها رغم اشتغالهم الكثير بمخارجها حتى يومنا هذا[4].

ولو شاء المولى لأدركوا أن في هذه المخارج ما يجعل بعض الحروف تنفر من بعضها أو تتعلق به!..

ولو شاء المولى لبحثوا أسباب «الفراغ» الذي انحت إليه وشرعة هذا الاصطفاء الذي حَذَف من الكلام ما شاء.

وكان يمكن أن يكون دليلاً ما، ذلك الذي عرفوه من اختفاء التاء عن سبعة حروف تقدمتها، وكانت ستحل في «افتعالها» لولا أنها لا تقبل الاتصال بها.

ومن ثَم كان من شأنهم أن يتعرفوا إلى مزايا هذه الحروف والتحري عن خصائصها، لكن الله لم يشأ. ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة.

وعندي ـ في اليقين ـ لو أنهم فعلوا، ونقلوا ثقافتهم هذه إلى الناس ـ كل الناس ـ في حينه أي منذ عشرة قرون ماضية، لما عرف الفساد، الذي كرهه النحاة، سبيلاً إلى لغتنا، ولا صارت إلى هذه العاميات البغيضة التي يلوكها العرب الآن في كل مكان.

لو شاء الله وفعلوا لأمكن ـ والله ـ أن يتغير وجه التاريخ كله.

وليست هذه الكلمة بالكبيرة، ولو كره بعضهم، فهل يظن أحد أن هذه اللغات البغيضة نشأت في قرن واحد أو قرنين من الزمان، تحت سمع مرشدين ومعلمين كان في مكنتهم أن يقفوا في وجهها؟!.

وهل تصدق أن العرب كانت تصيبهم تلك النكسة لولا دخل الفساد لغتهم وابتعدوا عن آدابها واستهانوا بأخبارها ونسوا أسباب عظمتها!!.

لقد كانت لنا بعد الفتوح من الحضارة كلُّ مقوماتها ومعالمها، وكل أسسها وقواعدها،

وكل ما يجعلها حية راسخة دائمة . فكيف ذهب ذلك كله في غفلة من الزمان ، أو في غمضة عين !! .

هذا في يقيني ، وليس هو كل الغرض من هذا المقال إنما ساقنا إليه ما نحن فيه من التعرف على نشأة الكلمة ، وخصائص الحروف التي تدخل بنيتها ، وإغفال النحاة أو نسيانهم أموراً كان في مكنتها أن تقنع أول خارج على اللغة ، أو أول مستهتر بمزاياها ، أنه وقع في سوء أو اقترف لحناً لا يغتفر ، وكان في مكنته أن يعود عما فعل ، وأن يتعلم ما يجهله كيلا يكون أضحوكة .

فهل كانت هنالك وسيلة حقيقية لمنع هذا اللحن ، ولم يهتد إليها النحاة ؟ .

هذا صحيح وممكن بعد أن علمت مبلغ ما جرت عليه العربية من انتقاء واصطفاء ، في حروفنا حساسية خاصة يمكن أن تذكر معها أنها لا تقبل التقاء ساكنين إلا في حالة الوقف بعد مدّ ساكن مثل : « حـالْ ــ علومْ ــ سنينْ » .

وهذا الاصطفاء نفسه كانت له حساسية أخرى في الكتابة عندما وجدت ، وهي حساسية منقطعة النظير ، لو كشفت في حينها لقضت على اللغات العامية في مهدها .

ولأضرب عليها مثالا عن واقعنا منها نحن اليوم في القرن العشرين وقد تمكنا من إنقاذ الكثير من تراثنا ، وأصبح يعيش بيننا الكثير من الشعراء والكتّاب ، والفصحاء والخطباء والمتكلمين في الإذاعات والمجلات والصحف ، ومع ذلك ما نزال نسمع لهجة ننكرها من بعض هؤلاء البلغاء . حتى لنحس أنه يرطن ، وكأنه أجنبيّ ، أو متأثر بلغة أخرى أجنبية ، أو يعيش في بيئة تخصه وحده ؛ واللغة الفصيحة لذلك تأباه وتنكره .

وكان الذي سمعته يوماً أحد المتكلمين من فوق المنبر العالي (الإذاعة) وكان كلامه كالعادة سليماً فصيحاً جيداً ، لا سيما وهو يتكلم عن الصداقة النافعة وأحسب أنه قال ــ فيما قاله ــ « صداقة وَطيدَة » .

وقد وقف على الكلمة الأخيرة بسكون الهاء ، وهذا عربي جيد (وَطيدَهْ) .

ومع ذلك فإن هذه الكلمة الفحلة الجرس صكّت أذني بطريقة قراءتها ولفظها .

كانت مكتوبة أمامه كما أكتبها أنا وتكتبها أنت ، لكنه لم يحسن قراءتها لأنه قرأها كما أراد لنفسه من تحذلق أو تأنق ، فلم يستطع أن يجتذب سمعي أو إصغائي .

لقد كانت رطانته غثة فجاءت لكنته واضحة كرطانة كل أعجمي أو أجنبي مستشرق .

فكيف كانت هذه القراءة ؟

وهل هنالك أعجمي يرطن وهو عالم بما يفعل ؟

ربما عجزت مبدئياً عن تصوير هذه القراءة الصوتية بالكلمات المكتوبة التي لا يصل لفظها إلى الأذن .

لكنك إذا كنت تعرف كيف يلفظ الفرنسي ألف لغته وهي الـ (a) وأمكنك أن تعلم أن كل ممدود بالألف يأخذ حركة فتحته ، أمكنك أن تعلم أن المذيع قرأ الكلمة بالضاد بدلا من الدال . . بلى والله إنه قال : « **وَطيضَهْ** » ! .

فهل تنقلب الدال إلى الضاد بهذه السهولة ؟

جرِّبْ ، وسيكون الجواب واضحاً حاول أن تمدّ الدال بالألف الفرنسية أي (DA) وكرر هذا المقطع تجد أنك لا تلفظ غير الضاد العربية أي « ضا » .

وإذا كان لفظك لم يدلك على هذا فعندي الوسيلة الناجعة والدليل فاصبر وسترى بعد أن تعلم ما هي صلابة الألف العربية وما هي رقتها .

وبعد أن علمت أن التاء تبدل بالطاء لصعوبة لفظها بعد بضعة حروف . فهل لك أن تعلم ما هو الفرق في اللفظ بين الفعلين :

« **تابَ** » من جهة و « **طابَ** » من الجهة الأخرى . بل لك أن تميز باللفظ بين المقطعين :

« **تا** » و « **طا** » ــ على الأقل .

وبعبارة أخرى . . هل ألف المد في الأولى مثله في الثانية ؟ إذا لم تستطع الاستدلال على ذلك **فاعلم أن الألف في لغتنا ألفان اثنتان لا واحدة . وهذا سرّ بعض الحروف** . إحداهما ألف « تاب » وهي الرقيقة والثانية ألف « طاب » وهي الألف الصلبة ولا معدى لك عن التفريق بينهما . وهذا بعض أسرار لغتنا كما سترى وحساسية خاصة بحروفها . فالألف الرقيقة هي التي تمد بها معظم حروفنا الهجائية ولك أن تجرب حروف السلسلة بها بدءً من الهمزة والباء والتاء ثم الجيم والحاء أي :

(آ ــ با ــ تا ــ ثا ــ جا ــ حا) إلى آخر الهجائية شريطة أن تتجنب الحروف الصلبة منها .

فلك أن تتوقف عند الخاء المعجمة . فإن ألفها هي ألف طاب الصلبة لأنك تقول :

خابَ وخارَ وخاسَ وخالَ . . إلخ . . .

وأما الحاء ــ المهملة قبلها ــ فتراوح بين الألفين لأسباب سنذكرها فيما بعد .

ولكي تتأكد من لفظ الألفين لك أن تمدّ التاء ــ المثناة ــ بالألف مع حروف السلسلة بالتتابع أي :

تابَ ــ تاجُ ــ تالَ ــ تاهَ ــ تَبُّ ــ تَمَّ . . إلخ . وترى أن فتحة الألف الرقيقة رقيقة مثلها وكذلك فتحة الممدود بالألف الصلبة ، فهي صلبة مثلها وهكذا تستطيع أن تصف الحروف الممدودة بالرقيقة بأنها حروف رقيقة وكذلك الممدودة بالصلبة هي حروف صلبة .

وماذا علينا هنا إن تعلمْ أن ألف اللغة الفرنسية a أو A هي ألف صلبة . وأن ألف الإنكليزية غالباً رقيقة لكنها تميل نحو الياء في

قولك : TABLE ولفظها «تيبِلْ» ـ بكسرتين ـ . وليست ألفنا الرقيقة مثلها في هذه الإمالة .

بقي أن تتأكد من أن ألف الطاء ألف صلبة مع كل الحروف التي تتصل بها وكذلك فتحتُها نحو :

طاب ـ طاخ ـ طارَ ـ طاغ ـ طافَ ـ طربَ ـ أطلَّ ـ طرّ ـ إلخ . . ولعل الحرف هو الذي مَيَّزَ بين الألفين . وتبدو صلابتها واضحة لأنها من الحروف المجهورة خلافاً للتاء .

فهل كان يعلم الأجنبي أو المذيع أنه يرطن ؟

ومن المؤكد أن أحدهما لو حاول التأنق أو شيئاً من ذلك ، وجعل الطاء رقيقة لوقع في اللكنة من غير أن يدري . وكذلك لو حاول جعل التاء صلبة .

ولو أنك جربت الكلام الذي ذكرناه لكل منها حسب التسلسل الهجائي لوجدت على سبيل المثال أنك تقول في «**طاب وطاح**» على الترقيق : «**تاب وتاح**» و «**تار**» . . . وبذلك تعود الطاء إلى التاء والعكس بالعكس . أي إذا جعلت التاء صلبة انقلبت إلى الطاء (تَرب ـ طَرب) .

ولقد أراد أحدهم أن يقول : «**ضَرَبَ**» فقال : **ذَرَبَ** وأراد «**الرتابة**» فقال : **الرطابة** ، وفي هذا عاميات كثيرة .

وكان على النحاة أن ينبّهوا إلى ذلك قبل فوات الأوان .

والآن ما هي بعض الأسرار الأخرى . . وهل كل الحروف الصلبة تنقلب بالترقيق إلى غيرها ولا يدري الناطق أنه لحن ؟ .

وليس هو بالمعجزة إذا قلت :

إن الكاتب الأول ربما وضع الطاء رديفة للتاء ولم يكن يقصد غير أن تمد التاء بالألف الصلبة . فالناطق باللغة سبق الكاتب ، أي أن الكتابة تأخرت عن اللغة الملفوظة لأنها (الكتابة) تحتاج إلى أدوات أقلها ما يحفر به الخشب ، أو ينحت الصخر . . لكن ربما كتبوا على الرمال . . أو ذرّوا الرمل على لوح ، لما طلب الناطق من الكاتب أن يكتب له . . قبل أن يكتبوا على الجلود وأوراق البردي .

ولعل الكاتب كتب «**تا**» على شكلين أحدهما للألف الرقيقة والثاني للصلبة أي «**طا**» والأولى هي الأسبق . لأن الذي أملى عليه جعل التاء صلبة في لفظها ، فيما بعد .

فإذا كان الكاتب يستجيب لمن يملي عليه وكان يحقق له كل لفظ لأن مهمته هي هذه الكتابة لا غير فليس عجيباً أن تكون الطاء رديفة للتاء في الأصل .

ويمكن الاستدلال على ذلك بالشبه الذي لا يزال ملحوظاً وارداً بين كلمات كثيرة لا تختلف عن بعضها إلا بالتاء أو الطاء نحو :

تابَ ـ طابَ / تَبَّ ـ طبّ / تبُّ ـ طبُّ / تَربَ ـ طربَ ، فوجه الشبه ما يزال ماثلاً رغم أن الكلمات حين تفارقت شكلاً ولفظاً أخذت تتمايز معنى وتتفارق على مرّ الأيام .

فالتائب ما يزال يشعر بالذنب حتى تصح توبته فيطيب بها نفساً ، ولعلهم في البدء قالوا **تابَ وطابَ** . وقصدوا بالثانية مجرد التأكيد بصلابة اللفظ .

والتبُّ هو التين الذكر تعالج به شجرة التين لينضج ثمرها ويطيب .

وإذا لاحظنا ﴿ **تبَّت يدا أبي لهب** ﴾ (سورة المسد ، الآية ١) ـ ولاحظنا أن قطع اليد ربما كان علاجاً ووقاية كيلا يسري المرض من العضو الفاسد إلى السليم ، أدركنا أن الشبه ما يزال وارداً بين تبّ وطبّ .

وأما طرب ـ بفتح وكسر ـ فقد تكون قد وضعت قبل أن يتضح معنى الطرب عندما رأوا أحدهم يتهاوى فوق التراب مسروراً ، فقالوا ترب وطرب : تأكيداً بالصلابة . ولعلها الطريقة الوحيدة التي عرفوها يومئذ للتأكيد .

وما من شك في أننا لا نريد هذا التشابه لنفسه إنما نريده ليعلم الناطق باللغة أن لكل حرف لفظه الذي لا يمكن إبداله بغيره ، بعد أن ميزت اللغة بين الكلمات ووضعت لكل لفظ حرفاً خاصاً به .

ولو علم الخطيب أن كلمة (وطيدة) تنقلب إلى (وطيضة) إذا جعل فتحة الدال صلبة لما تأنق ولا تحذلق ولا سقط في هذه الرطانة التي تجعله غريباً عن لغته .

وكما تنقلب التاء إلى طاء تنقلب الدال إلى ضاد كما لاحظت ، ويليهما السين التي تنقلب إلى صاد مهملة . والظاء التي تنقلب إلى ذال معجمة أو زاي .

والخلاصة أن هناك نحو ستة حروف أخرى لا تمد إلا بالألف الصلبة وفتحتها ، وهي :

(خ ـ ر ـ غ ـ ق ـ و) وتراوح العين المهملة بين الألفين نحو عال وغال ، مراوحة الحاء نحو حارّ وخارّ ولا يتسع المجال لذكر ما يفعله الاتباع ـ القاعدة النحوية ـ من تأثير الحرف الصلب بالرقيق المجاور وبالعكس .

ولعل العربية سميت بالضاد لأنه الحرف الأول الذي نشأ عن الدال الرقيقة ، بعد أن صار مجهوراً .

ولا بد أن نختم كلامنا بهذا المثال عمن أراد أن يقول : «**سلاطة اللسان**» فلما جعل السين صلبة قال : «**صلاطة اللصان**» ولما جعل الطاء رقيقة قال : «**سلاتة اللسان**» .

أوليست هذه الآفات هي التي عملت في اللغة وأدت إلى العاميات حين غاب المرشد والمعلم ! . .

الهوامش

(١) ص ٢٦٦ .

(٢) ط ١ ، ج ٢ ، ص ٦٤١ ـ الإبدال (شرحه على ألفية ابن مالك) .

(٣) نفس المرجع والفصل .

(٤) الفيصل ، ع (٤٠) شوال ١٤٠٠هـ ـ د . كمال بشر .

من المكتبة السعودية



يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

- الكتاب: سيرة شعرية.
- المؤلف: غازي عبد الرحمن القصيبي.
- الناشر: دار الفيصل الثقافية ـ الرياض، ١٤١ صفحة.

يحاول الدكتور غازي القصيبي صاحب هذه السيرة ـ وهو علم مرموق ـ أن يقدم للقارئ تصوّره الخاص للشعر في ضوء الظروف المتقلبة التي كتب فيها قصائده، أو بالأحرى التي أبدع فيها خمسة دواوين. وذلك بهدف إلقاء الضوء على ما قد يختلف على تفسيره من شعره، وعلى ما قد يحتاج إليه القارئ العادي وهو ينوي السفر داخل تلك الدواوين.

ذلك ما يصرّح به صاحب تلك السيرة، وهو أسلوب ذكي في تعريف الشاعر بنفسه، درج على اتباعه عدة من الشعراء في أيامنا هذه، أذكر منهم صلاح عبد الصبور والبياتي ونزار قباني، وبعضهم كان ـ برغم شهرته ـ يصدر عن نرجسية، وبعضهم الآخر أوقع نفسه في مشكلات مع محبيه وشانئيه على حدّ سواء. غير أنهم فيما يبدو وفيما صرّحوا به كانوا يؤمنون بأنها ضرورية للغاية معرفة الشاعر من خلال تسجيل تاريخه الشخصي بيده.

ولا بأس في هذه الحال بما يحاول بعضهم أن يغطي جوانب من حياته أو يحرّفه أو يخترعه في سبيل غاية يستهدفها، فإن المحصلة في نهاية الأمر مجموعة اعترافات ـ العهدة في صدقها على صاحبها ـ يمكن على هداها أن يبتعد الدارس عن التخمين وضرب الأخماس بالأسداس. أحسن ذلك كل الذين كتبوا عن ابن خلدون وابن سعيد الأندلسي ومن قبلهما الشاعر الأمير الفارس ـ بطل الحروب الصليبية الأولى ـ أسامة بن منقذ.

هؤلاء أرّخوا لأنفسهم، وأجل التاريخيات القديمة «اعتبار» أسامة، وأدخلها في أسباب العلم منقذ الغزالي من الضلال، وأكثرها دفاعاً عن النفس سيرة ابن خلدون الذاتية. وفي العصر الحديث نرى أن أصدق سيرة عربية عندنا حتى الآن هي «تجربتي في الشعر» للشاعر الراحل ـ منذ شهور ـ صلاح عبد الصبور.

وأما سيرة القصيبي فهي حتى الآن ناقصة، لأن الرجل لم يشأ أن يكتب كل شيء عن حياته. ومن ناحية أخرى آثر في الأساس أن يشرح ظروف قصائده لا يختلف عليها، وأما ما نراه من إفضاءات شخصية تطوّع بها ـ وهي لامحة في الجملة ـ فهو مما يتطلبه فهم تلك الظروف، واعداً بأنه سيقدّم تلك السيرة في المستقبل.

وطالما كان المحور الذي أدار عليه القصيبي سيرته هو الشعر فلنسأل نحن عنه، ماذا هو لديه؟ وكيف يصدر عنه، ولم؟

صحيح هو يصدّر السيرة بقول الحطيئة: «الشعر صعب وطويل سلمه»، ويصرح بأنه قوة روحية يخضع لها الشاعر الأصيل بحيث يستطيع أن ينفك منها مهما تكن الملابسات والأحوال. إلا أن هذا كلام عام لا يفسّر جوهر القضية ولا يبيّن قيمتها، حتى وهو يعلن في آخر فصول السيرة أنه فن يغني الروح البشرية، إلا أنه اليوم أصبح أعجز من أن يكون عامل تطوير اجتماعي.

وذلكم اعتراف خطير يجب أن يحاسب عليه، وقد يدمغه قوله ـ في موضع آخر من الفصل ـ إن الشعر لا يعيد تكوين العالم، ناسياً أنه هو نفسه يصدر عن عالم فني أعاد به تشكيل الواقع في

عملية احتجاج على وضعه القائم .

إننا من غير شك نقبل القصيبي شاعراً حتى يكون الشعر عنده مجرد كلام سحري جميل ، ولكننا بكل تأكيد نرفضه مقعّداً ومنظّراً . وقد أحسن عندما قال إنه ليس أكاديمياً ولا ناقداً لكي يخوض في هذا الأمر أو ذاك !

ونمضي مع الكاتب الشاعر ، فإذا بقية آرائه تتعاقب باستثناء رأيه في حدود القدرة على الإبداع على أساس من السيكوفيزيقا وما يتصل مباشرة بقضية الإلهام وأسبابها الجمالية التي تختلف من شاعر إلى شاعر . لكنه يبيّن أنه يمكن تربية القدرة الإبداعية بشرط أن تتوفر في الشاعر الموهبة ، وبدونها لا يمكن عمل أي شيء ولو أوتي الخبرة الجمالية من أقطارها . والمعروف من ناحية أخرى أن تلك الخبرة ليست ذاتية خالصة ، وكذلك ليست موضوعية على الإطلاق . ومع ذلك تبدو مما يتمرّس عليه ومما يمكن تصوّره ذهنياً . وكانت تصوّرات القصيبي في الحلقة الثانية من عمره - ابتداء من أول سنة في دراسته الثانوية - تنمّ على طموح وغيرة ورغبة في الظهور . وأكد أن الفن من خلال تجربته نظم أول شعره ليس خلقاً بحتاً ، بل لعله عملية دربة وتثقيف ذاتي في المحل الأول ، وتلك تدور حول الأنا شئنا أو لم نشأ .

ثم تكوّن الشاعر فعلاً وبسرعة خارقة اجترأ عليها بالتخفي وراء اسم مستعار ردحاً من الزمن ، وأصبحت قدرته على الشعر - بعد عملية التثقيف التي نظمها - تجربة تدخلها العاطفة . وهذه التجربة قد تكون تراثية الأصول ، وقد تسترفد الحدث حتى ولو كانت ترجمة - وهو ينكر ترجمة الشعر على أي حال ولكنه رضي أن يترجم بعض شعره إلى الإنجليزية - ولا بد أن يكون قوامها الموسيقى وإيقاعات العروض وأحكام القوافي ، وأما ما عدا ذلك فليس شعراً قط.

ويمكن التسليم بهذا الجزء من آرائه دون ما حاجة إلى تشتيت الحديث في نقدها ، لأنها من القاسم المشترك الذي لا مشاحة فيه جوهرياً . لكننا نلحظ أنها في جملتها مما اتجه به هو إلى نفسه من نفسه - المؤثر الأول في شعره عنده - بينما يعمد آخرون ينادون بأن الشعر تجارب مع الطبيعة إلى دراسات موضوعية ، وتجريبية أحياناً ، لتحديد مواقف المواجهة مع العالم وكيف يجب أن تكون .

وإذن فالشعر عند القصيبي إحدى غرائز الشاعر - إذا صح وصف الشعر بأنه غريزة - ويمكن توجيهها أو السموّ بها أو استبدالها ، ولكن لا يمكن التخلص منها . وهي تتشكل بنوع المعاناة الذاتية . فديوانه الأول «أشعار من جزائر اللؤلؤ» صدمة حضارية سببتها نقلته من البحرين إلى القاهرة ، وكان مراهقاً يستشعر الغربة والضياع والخوف ، ويمتلئ قلبه بصور الحب . وأما ديوانه الثاني «قطرات من ظمأ» فصدمة أخرى عكست تجربة شاب عربي يسافر لأول مرة إلى الولايات المتحدة ، ويتعرض لضياع أعمق ، كما يقع في خوف أكبر وإن تخف عنده روح الحرمان التي سيطرت على ديوانه الأول .

وأما معاناته في ثالث دواوينه وأكثرها قيمة «معركة بلا راية» فأهم ما فيها خروجه من دائرة التأمل المجرد والمطلق والحلم والمثال إلى الواقع بقصائد وطنية وبمواقف معقدة يصعب تصنيفها ؛ ربما لاتساع تجربته وتنوعها ، ودغدغتها لمشاعر إنسانية اكتسبها من عمله وتثقفه وزواجه وتعدّد مآسيه الأسرية ، بجانب مأساة حزيران التي لا يمكن أن تنسى على المستويين الشخصي والعام ، يقول :

كانت الدنيا دوارا
وغضبنا وصرخنا
وارتمينا . . .
شهقة مخنوقة تنضح عارا
وعرفنا لوعة العجز . .
بكينا كصبيه
أوغلت في جسمها البضّ
أياد همجيه

ولم يظفر الديوان الرابع «أبيات غزل» الذي أصدره سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، بما ظفر به أي ديوان سابق ، وهو نفسه لم يودعه أي جديد على نحو ما فعل مثلاً في «معركة بلا راية» حيث تحرر من القافية التي كانت تحكم شعره ، وفي ثلاث قصائد إحداها رباعية استعمل عدة أوزان لبحور مختلفة . وقد اعترف هو بأن



★ د. غازي القصيبي ★







★ سعد البواردي ★

السبب راجع إلى أنه جمع فيه بين مقطوعات قصيرة ومقتطفات نزعها من قصائد طويلة لم ينشرها لسبب أو لآخر، والرأي المؤكد أن تلك سقطة لم يشفع له فيها اعترافه ولا اقتناعه بفعلته!

وأما «أنت الرياض» فديوانه الذي جمع فيه آخر ما أنتجه قبل أن يكتهل - فهو فيه لم يجاوز السادسة والثلاثين، وبعض شعره فيه يردّ إلى الواحدة والثلاثين - ويمتاز ببروز الملامح الإقليمية فيه دون أن يفقد استشرافه القوميّ، كما يبدو الشاعر فيه مصراً على الوفاء للحب. ولعل هذا المكوّن الفني أصبح محور اهتمامه فيما أنتجه بعد السادسة والثلاثين وجمعه في الديوان السادس الذي لا مكان له في السيرة بطبيعة الحال.

فقد أنهى القصيبي سيرته دون أن يحدثنا عن أثر ترجمة بعض شعره إلى الإنجليزية ونشرها بعنوان From The Orient And The Desert أي من الشرق والصحراء.

كما جاء آخر فصول السيرة «يسألونك عن الشعر» ترديداً لما بسطناه، بإضافة إعلانه أنه يريد أن يغني فقط، أن يتحدث شعراً وبلا فلسفة - لأنه يفترض ألا يكون الشاعر صاحب موقف فكري - وإشاراته الأخرى إلى قمم عربية في الشعر تحتاج إلى المراجعة لأن فيها من عدم الإنصاف الشيء الكثير.

ذلك مجمل ما جاء في «سيرة شعرية» يعترف صاحبها الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي بأن الشعر غاية في حدّ ذاته، ولا يمكن أن يكون وسيلة نحو غاية أكبر، فهل نصدقه؟

كيف.. ولماذا؟

● الكتاب: أغنيات لبلادي (ديوان شعر).

● الشاعر: سعد البواردي.

● الناشر: دار الإشعاع - ١٤٠١هـ، في ١٥٧ صفحة قطع صغير.

يثير هذا الديوان إحدى القضايا المرتبطة بالتجربة الشعرية أساساً، نقصد دواعي الإقبال عليها أو تقمصها طالما كان إطارها يسمح بفضّ انفعالاتها وطرح إيحاءاتها.

ولحسن الحظ أغنانا سعد البواردي عن البحث عن أسباب التجربة، لأنه جعلها في أقسام أصبح الديوان بمقتضاها: أغنيات للوطن، وأغنيات للقضية، وأغنيات للإنسان - المتأمل - وأغنيات للحب! وتعني القسمة من غير شك أن الشاعر أراد أن ينظم النزعات المضطربة التي يثيرها الشعر في حالات من الاتزان النوعي، بحيث يكون عطاؤه في القسم الأول منوطاً بنزعات معينة، كما تحكمها عبارات هي في حقيقتها التيار الفكري الذي يشكل القسم.

وما قلناه عن القسم الأول يصح نظرياً أن نقوله عن القسم الثاني، على أساس أنه يخاطب فينا جانباً من جوانب النفس بلغة تشكل تيارها الفكري بوجه عام، ويتحدد الإحساس الذي تولده استجاباتنا له.

وهكذا في القسمين الثاني والثالث، إذ لا بد - نظرياً أيضاً - أن نواجَه بأوضاع تختلف وفكر يختلف ومشاعر تفرض علينا نوعاً أو أنواعاً من السلوك أو النزوع.

فهل نجح سعد البواردي في عملية الإفضاء بتجاربه، واستجبنا نحن له على الأقل في تتبع مساره الفكري أساس القسمة الرباعية التي اختارها بنفسه؟

أخشى أن تكون الإجابة بالسلب، فيعني هذا إخفاق الشاعر. وفي هذه الحال يكون علينا أن نبحث عما وراء إخفاقه، أهو في تحديد التجربة أم في تشكيل الموقف أم في اللغة أداءً وتصويراً؟

لنعترف باديءَ ذي بدء أننا نجد في كثير من قصائد سعد البواردي أفكاراً محددة، بل قد تتحول هذه الأفكار - وهي ترجمة للوجه المعيش فعلاً - إلى صور ذهنية تشبه الأقوال السائرة أو الحكم التي أتخمنا بها زهير والمتنبي وأبو العلاء، فنسمعه مثلاً يقول:

الشعر دون شعور هيكلٌ ورِمُ

في مطوّلته «عكاظ».
وأما في «مهرجان الربيع» فيقول:

إن شعباً ركّبُه من دينه
لن يضل السبيل لن يتوانَى

وفي «إطلالة على ما بعد النكسة» يقول في سذاجة:

إن صوت الرصاص في

ساعة الحسم
لأجدى من خطبة
وقصيده

كما يقول في «اليوم أرفع رأسي» مغاضباً سيبويه :

من يُزره الحمْقُ يوماً
فسوف يجنيه حقا
ومن يؤجج ناراً
في ناره سوف يُلْقَ

على أن هذه الأفكار – وقد اتخذت شكل الصور الذهنية – لم تلفتنا لا بإيجازها ولا بما تلخصه من مواقف إنسانية ، ولا حتى بإيقاعها الصياغي ؛ وذلك لأنها لم تصنع الشعر الذي يصطفي عاطفياً أو شعورياً الأفكار المعينة التي توجد البديل الفني للواقع .

إن ما يعيب سعد البواردي هو المباشرة ، وبهذه المباشرة أصبحت الأوصاف الشعرية لديه – على طول صفحات ديوانه – أوصافاً نثرية ، أو فلنقل أوصافاً عادية يحبط فيها المجاز كلية ، وتعلو نبرة المنطق ليمثل الملموس تمثيلاً حرفياً !

إن إساءة التعبير بالمباشرة تُفضي إلى السطحية ، والسطحية آفة الشعر ، وكثيراً ما واجهنا البواردي بتلك الصور التي لا تزيد على كونها رصداً لظواهر يراها الشاعر مقابلاً لنزوعاته ، يقول :

أغثاء كغثاء السيل نحن
أجهام كجهام الليل نحن
أفراغ كفراغ الطبل نحن
أخواء كسراب الأرض نحن

ثم يبقى أمران في الديوان . أولهما أن الشاعر لم يتقن بعد «صياغة» القصيدة الجديدة – قصيدة التفعيلة لا البحر – ومن السهل محاسبته على الأخطاء الفنية التي يقع فيها إذا عنّ له أن يخرج على نمطية القصيدة – راجع مثلاً «إلى نازك» و «اليوم أرفع رأسي» و «أيتها السماء» – مما يجعلنا نشير عليه بنصيحة أن يلتزم بنظام البيت وشطره . وأمامه دواوين البردوني نموذجاً طيباً لشعر المعاصرين الملتزمين بأبحر الخليل ، وفي السعودية نفسها غازي القصيبي يجلّي في ذات الدائرة ، وكذلك مسافر !

والأمر الثاني آفة توشك أن تعصف بشعرائنا الشبان ، وأخشى أن تطيح بهذا الفن الذي لا نشك أن البواردي حفيّ به شديد الحرص عليه – بدليل وجود قصائد عدة برز فيها كإطلالة على ما بعد النكسة والصورة ذات الزوايا – مع أنه أغلى ما في تراثنا كله .

نعني الأخطاء التي لا تحتاج إلى أكثر من التأني والروية لتجنبها . والأخطاء في الديوان بعضها فكري لغوي ، وبعضها الآخر عروضي . وفي ظني أن الخطأ الفكري اللغوي يعني تهالك الشاعر أو عجزه عن تبيّن معالم التجربة حتى ليقول مرة في تجهمي أيتها السماء :

يقتلنا أن نبلع الأسى
ونلعق الجراح
أن يحجب النسيان عن أعماقنا
روح الكفاح
تجهمي أيتها السماء
وشنّفي الأسماع بالرعود
علّ على هديرها يستيقظ الرقود

وما كان أسهل عليه – لو أنه تأنّى – أن يستبدل بيحجب فعلاً مثل «يقلع» أو «يقتل» وبشنفي فعلاً مثل «مزقي» ليسير الفكر في مساره الذي ينسجم والتجربة ، فالتشنيف مثلاً تطريب ولا يجوز هاهنا !

وفي هذا المضمار هفوات لغوية ، ونحوية أحياناً منها «فقد نثرتيه أمس» و «ريح صوتها بالتأسي» وهو لا يطلب السلوان . ويجترئ فيستعمل «ضيّا» أي «أضاء» و «أشاد» بدلا من «شيّد» و «أسقى» في مكان «سقى» و «حنى» وهو يقصد «أحنى» وهكذا . . .

وأما الأخطاء العروضية فكثيرة ، منها خلطه بين زحافات تفعيلتي الرجز والكامل في «إلى نازك» وقد توسع حتى أضاف – برغمه – تفعيلة الرمل في أحد مقاطعها :

تخيلوا . . وفي ركام الوهم
ماتت الأحلام
جفّت الأعراس
النور
أي نور يبصرون

وأما قوله فيها «الدمع يا صغيرتي وسيلة لا تفهمها الحياة» فلا يستقيم ، ثم يختل نظمه في بعض المواضع من قصيدة «نشيد الحرس» المقطعين الثاني والثالث .

روي قديماً أن بعضهم كان لا يصنع في حوله إلا قصيدة واحدة ، وكان قبل أن يطلع على الناس بهذه الحولية يظل عاكفاً عليها بالتثقيف والتهذيب ، فهل يفعل البواردي – وهو الشاعر – بعض فعلهم .

ندوة العدد



★ صورة من المؤتمر الأول للفلسفة الإسلامية ★

الإسلام والحضارة

على مدى أربعة أيام امتدت من يوم الاثنين ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ م، الموافق ٢٩ من ذي الحجة ١٣٩٩ هـ، إلى يوم الخميس ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ م، الموافق ٢ من المحرم ١٤٠٠ هـ.. أقيم المؤتمر الأول في الفلسفة الإسلامية وموضوعه (**الإسلام والحضارة**) بكلية التربية بجامعة عين شمس بالقاهرة تحت رياسة عميد الكلية **الدكتور عبد السلام عبد الغفار**.. وأدار جلسات المؤتمر وشارك فيه رئيس قسم الفلسفة بالكلية **الدكتور مراد وهبة**.

ولقد ضم المؤتمر العديد من المفكرين والفلاسفة من جميع أنحاء العالم.

وقدمت العديد من الأفكار وأوراق البحث التي كانت رغم اختلافها وتنوعها ثرية وممتعة.. وكان يجمعها إطار واحد هو **الإسلام**.

والفيصل إيماناً منها بدور الإسلام الحضاري يسعدها أن تطرح للقارئ خلاصة الأفكار والبحوث التي تقدم بها بعض الأساتذة في هذا المؤتمر.

المنهج الإسلامي في إقامة الحضارة

●● جاء في البحث المقدم من **الأستاذ جابر حمزة فراج مدير عام الإعلام بالأزهر** قوله: إن الإسلام قام على أساسين أحدهما مادي والآخر معنوي.. **ولقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بتربية الروح**.. وتوجه بالعلاج الباطني ليكون مصدر حضارة إنسانية.. قد أراد من وراء ذلك أن يساعد على إيجاد إنسان سوي طاهر النفس.. مستنير الجوانب صافي الوجدان.. لا ينطوي إلا على الخير.

والحضارة الإسلامية التي تقوم على الحضارة النفسية قد أخرجت إلى الوجود خير أمة ظهرت على الأرض، وأبرزت أكرم طائفة كان منهم أعلام الوجود وعباقرة التاريخ.

ويقول عن المنهج الإسلامي في إقامة الحضارة:

إن الأخلاق روح الحضارة تنتظم بانتظامها وترتقي بارتقائها وتسلم بسلامتها وتزدهر بازدهارها.. كما أنها تضطرب باضطرابها.. ولما كان الإنسان تناسبه الحياة الكريمة والمظهر اللائق والنظم السليمة التي تمكنه من العيش الرفيع.. كان من الضروري أن نحتكم إلى قانون عادل وقواعد سليمة.. من أجل ذلك نرى الإسلام في إقامة حضارته قد اهتم اهتماماً كبيراً وأعطى عناية خاصة لتنظيم المجتمع بوضع نظم خاصة وتشريعات حكيمة.

ومما لا شك فيه أن الإسلام، في سبيل تحقيق ذلك، لم يترك فضيلة من الفضائل ولا خصلة من الخصال الحميدة إلا

● الحضارة الإسلامية قامت على القواعد الأخلاقية



★ د. عبد السلام عبد الغفار ★



★ د. يحيى هويدي ★

ودعا إليها ورغّب فيها وحث عليها ، ولم يترك رذيلة إلا ونهى عنها .

لقد وضع الإسلام أساس حضارته على القواعد الأخلاقية ، وتتبع الإسلام النفس البشرية بالتهذيب والتقويم واهتم بإصلاحها والسمو بها إلى معارج الكمال وارتقى بمستواها إلى القيم الحضارية .

ولو تصفحنا كل كتب الإصلاح الحضاري لما وجدنا كتاباً منها سما بالنفس البشرية مثلما سما بها الإسلام .

وليأت الوجود كل الوجود ولتأت الدنيا كل الدنيا .. وليأت الفلاسفة والحكماء وأرباب الحضارات .. وليأت المصلحون في كل مكان وزمان ولينظروا إلى منهج الإسلام الحضاري الذي جعل الحياة من خلال حضارته جميلة وارفة الظلال .. ينعم في رحابها المجتمع البشري .. يقول الله تعالى ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ (سورة فصلت ، الآيتان ٣٤ ــ ٣٥) . إنها لوحة رائعة لرونق الحضارة الإسلامية .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وضع الحضارة الإسلامية وخطط لها جعلها قائمة على الإيمان الصادق واليقين الثابت الذي يجعل الإنسان صورة حية ومظهراً من مظاهر الخير والحب .

فالمسلم المتحضر بحضارة الإسلام هو ذلك الرجل الذي لا يحيف لأنه العدل .. هو الذي لا يضعف لأنه القوة .. هو الذي لا يتذلل لأنه العزة .. هو الذي لا يهون لأنه الأمانة .

ويتساءل الأستاذ جابر حمزة .. هل بعد هذا الإنسان المتحضر لا تتحقق كل أنواع الحضارة .. ثم يقرر بقوله :

إنني لا أفهم معنى لأي نوع من الحضارات الزائفة التي تقوم على المادية الجوفاء فتكون كالشجرة الجرداء فلا ثمار ولا ظلال ، فكم سفكت دماء وماتت فضيلة .. وكم أهدرت كرامة وانتهكت حرمة باسم هذه الحضارات الكاذبة .

إن الإسلام خير الحضارات وأقومها وأكرمها .. لأنه اهتم بالروح التي هي نبع طاهر لكل فعل نبيل .. ولو أن العالم الإنساني تربى على هذه الحضارة بما فيها من مبادئ وقيم واقعية .. لوصل إلى السعادة الكاملة .

قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

الفلسفة والدين

●● يتساءل **الدكتور يحيى هويدي** في نهاية بحثه .. ما الذي يدعو إلى استمرار المعركة الجوفاء بين الله والإنسان أو بين الدين والفلسفة ؟ ويجيب بقوله .. قد يكون الدافع هو أن الأساس الذي يقوم عليه الدين هو التسليم وأن الفلسفة لا تبدأ هذه البداية لكن علينا أن لا ننسى أن هذا التسليم الذي يطالبنا به الدين ليس تكبيلاً لحرية الإنسان بل هو الضمان الوحيد لعدم ارتماء الإنسان في أحضان قوى أخرى تمارس عليه القهر والتسلط .. أي أنه الضمان الوحيد للحرية الإنسانية الملتزمة وللحرية الحقيقية الواقعية التي تمنح الإنسان حرية التفكير والحركة والمبادرة .. وتمنحه أيضاً الحرية الاجتماعية والاقتصادية .. وهذا المفهوم للحرية هو وحده الجدير باهتمام العصر وباهتمام حضارتنا المعاصرة . أما تلك الحرية الذهنية أو العقلية فإنها ــ **تحت ذريعة أنها لا تبدأ بالتسليم في كل شيء** ــ تمضي في معركتها الفكرية ولا تنتهي منها إلى شيء ذي بال ، وقد تقذف بها شطحاتها التجريدية المفرطة إلى أرض اللاعودة .

وأخيراً يأمل في اليوم الذي يعتنق فيه العالم عقيدة واحدة وهي **عقيدة التوحيد** .. ويوم أن يتم هذا سيختفي إلى الأبد ذلك النزاع التقليدي المصطنع بين **الفلسفة والدين** .

★ ابن خلدون ★



★ ابن رشد ★



● الحضارة الإسلامية مركب متكامل يتفاعل مع المبادئ الروحية والمطالب المادية



★ د. برند إيزنبلاتر ★



★ د. زكي نجيب محمود ★

الإسلام ومتطلبات العصر

●● يطرح **الدكتور برند ايزنبلاتر من ألمانيا** في بحثه كباحث مهتم بشؤون الشرق المسلم .. تصوره الخاص لتحقيق توافق الإسلام مع متطلبات العصر .. وينادي بما تقول به النظرية النقدية الحديثة التي تقول .. إن العلم لا تحدده الظروف الموضوعية والاجتماعية والاقتصادية .. بل ينبع العلم من الإنسان وليس هناك كلمة أخيرة مفروضة على الإنسان من الخارج .

وفي تصور **الدكتور برند** أن التقدم لا بد وأن يشتمل على طرفين أحدهما اجتماعي والآخر تكنولوجي .

ويلفت الباحث نظرنا إلى أن الدول الإسلامية وخاصة دول البترول لديها مدنية لكنها مستوردة وتفتقر إلى كثير من العودة إلى الجذور الحضارية !

وأخيراً يخلص إلى أن سلوك الإنسان المعاصر لا بد أن يتسم باستقلال التفكير .

ويدعو في نهاية بحثه إلى ضرورة اتجاه العالم الإسلامي إلى تحسين الظروف التي تساعده على الإنتاج والتقدم .

إبداعات العقلية الإسلامية

●● يطرح **الدكتور زكي نجيب محمود** في بداية بحثه سؤالا : لماذا نقل المسلمون فلسفة اليونان دون غيرهم ؟

ويجيب على هذا السؤال الهام بقوله .. لأن فلسفة اليونان عقلية .. والعقل يتمشى مع ما أمر به الإسلام بحكم عقيدته لا بالثورة عليها .. وعليه فالإنسان المسلم يتقبل مناهج العقل من أين أتت .. وكما يأخذ فهو يعطي .. وتراث الحضارة الإسلامية زاخر بالمعطيات الفكرية والفلسفية والعلمية والأدبية التي لها الفضل الكبير على الحضارة الإنسانية .

فمعطيات .. **الفارابي** .. **الكندي** .. **ابن سينا** .. **ابن رشد** .. **إخوان الصفا** .. **عبد القادر الجرجاني** .. **أبو العلاء المعري** .. **ابن طفيل** .. **ابن خلدون** .. **الغزالي** .. **جمال الدين الأفغاني** .. وغيرهم .. تملأ الدنيا .

وعن (**ابن خلدون**) يقول .. إنه أعظم إبداع بأي مقياس من المقاييس .

ويتساءل في أسى وهل هي أغنية النهاية الجميلة ؟!

وتحدث الدكتور عن الفترة التي تعرضت فيها الحضارة الإسلامية لهجمات **التتار والصليبيين** .. ودور الأزهر في حماية التراث الإسلامي .

مفارقة ابن رشد

●● وفي كلمة **الدكتور مراد وهبة** قال عن (**ابن رشد**) إنه من رواد عصر التنوير الذي هو حلقة ثانية تكمل الحلقة الأولى وهي (**عصر النهضة**) .. ويقول .. إنه من المفارقات أننا نحس بغياب (**الرشدية**) .. وبالتالي غياب عصر التنوير .. وأيضاً غياب الاجتهاد والبحث الشرقي المتمثل في الفلسفة الشرقية والثقافة الإسلامية .. ويدعو في نهاية حديثه إلى ضرورة دراسة (**ابن رشد**) والبحث في آثاره الفكرية والفلسفية خاصة كتابه القيم الشهير (**الكليات**) .

الإسلام (الروح والمادة)

●● يطرح **الدكتور محمد نصار أستاذ العقيدة والفلسفة بالأزهر** في بحثه القيم تصوره للنظرة الصحيحة لمفهوم الحضارة الإسلامية بقوله .. إن الدارس المتعمق في الإسلام إذا اتخذ الحياد العلمي سبيله ومنهجه سوف يخرج من دراسته بنتيجة واضحة .. وهي أن الإسلام نظام شامل لكل مرافق الحياة .. تتواكب فيه مناهج التهذيب وتقويم السلوك

★ الفارابي ★



★ جمال الدين الأفغاني ★



●● تراث الحضارة الإسلامية زاخر بالمعطيات الفكرية والفلسفية والعلمية والأدبية التي لها فضل كبير على الحضارة الإنسانية



★ د. مراد وهبة ★

وطهارة المعتقد مع نظامه في المال والاقتصاد والاجتماع والسياسة في داخل الدولة وخارجها كعلاقة الحاكم بالمحكوم وواجبات وحقوق كل منهما .. والمعاهدات والمواثيق الدولية .. إلى غير ذلك مما لا يمكن أن تسير الأمة الراقية بدونه .. **فالحضارة الإسلامية مركب متكامل يتفاعل من المبادئ الروحية والمطالب المادية .**

وكان لهذا أكبر الأثر في المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية من الناحية العقلية والروحية حتى بعد انحلال الوحدة السياسية .. ويقول ..

إن البعض يسمي هذه الحضارة بالعربية بدلا من الإسلامية .. وفي اعتقاده .. أن الصانع الحقيقي للحضارة الإسلامية هو الإسلام نفسه .. وليست اللغة العربية أو المواقع الجغرافية للأمة العربية .

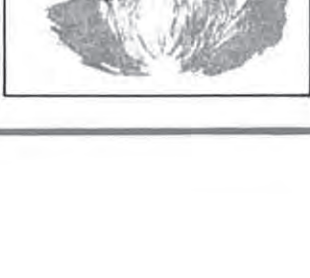
وعن منهج الحضارة الإسلامية يقول .. كان منهجاً انتقائياً ابتكارياً فمن ناحية الانتقاء .. اختار الإسلام من الأنماط الحضارية لكل من الامبراطورية اليونانية والفارسية .. العناصر التي تساعد على بناء الحياة الجديدة بحيث لا تتعارض مع روح الدين الإسلامي .. ومن ناحية الابتكار ، فقد أفرزت الحضارة الإسلامية العديد من المظاهر الحضارية الكفيلة بوضع المدنية الإسلامية في قمة المدنيات الإنسانية .. التي منها على سبيل المثال لا الحصر .. ترك التقليد لما كان عليه الآباء والأجداد من عقائد .. ومنهج القياس والاجتهاد بالرأي .

وعن معطيات الحضارة الإسلامية يقول **الدكتور محمد نصار** .. ليس أدل على معطيات هذه الحضارة أكثر مما قال (**بريفولت**) في كتابه

★ ابن سينا ★



★ الغزالي ★



« **بناة الإنسانية** » .. « إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة .. **بل يدين هذا العالم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا .. إنه يدين لها بوجوده نفسه** ... » .

وفي نهاية البحث يطرح **الدكتور نصار** العلاج لوضع أبناء الإسلام المعاصرين ، بينما يعيش أبناء الغرب في ظل التقدم الحضاري .. ويقول : إن السبيل الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون لتغيير واقعهم المتخلف إلى واقع حضاري ممتاز .. يتوقف إلى حد بعيد على تغيير نظرتهم إلى عالم الطبيعة والواقع بحيث ينظرون إليه ــ كما كان أسلافهم ــ على أنه مجال لحركة الإنسان وسعيه ومعرفته .. في ضوء مبدأ « **الاستخلاف** » في الأرض .. **إذن فالسبيل في اعتقاده هو .. فهم الإسلام ذاته .**

ويخلص **الدكتور محمد نصار** في نهاية بحثه الكبير إلى عدد من النتائج الهامة والتي مؤداها :

١ ــ أن مفهوم الحضارة الإسلامية يشمل كل إنجازات العقلية الإسلامية التي من شأنها تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته انطلاقاً من الإسلام نفسه .

٢ ــ قام منهج الحضارة الإسلامية على تفاعل العقل مع الوحي ، وكان الإنسان من حيث هو « **إنسان** » هو هدف هذه الحضارة .

٣ ــ تعدد موضوعات الحضارة الإسلامية واتساع آفاقها في النطاقين (**الزماني والمكاني**) .. **مما يؤكد إنسانيتها وشموها .**

٤ ــ السبيل الوحيد لتغيير واقع المسلمين هو إعادة فهم الإسلام من جديد في ضوء عطائه الذاتي .. وتجديد الصلة بين عالمي المادة والروح .

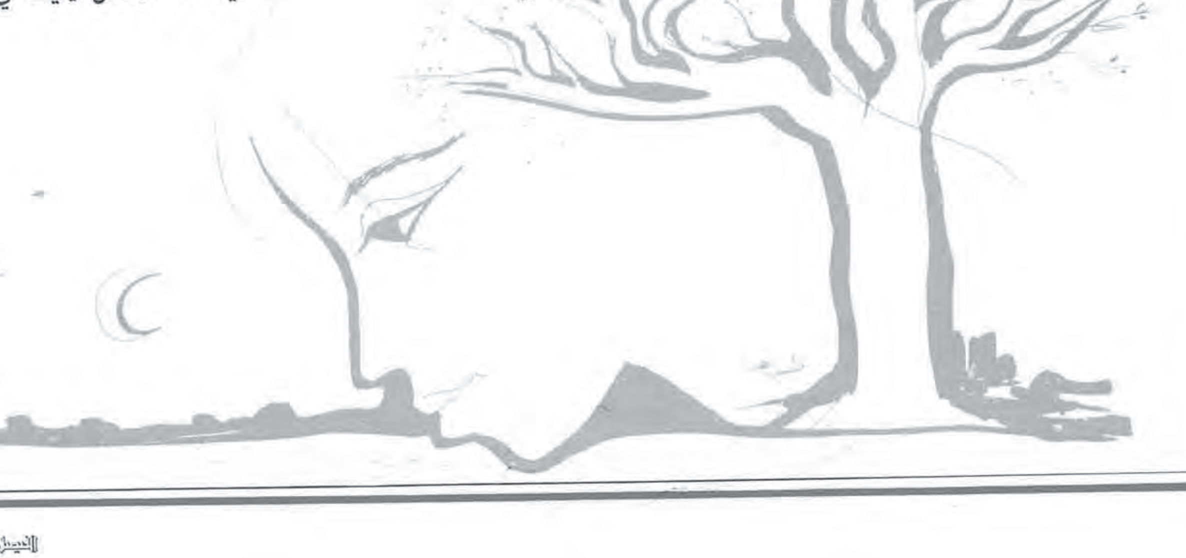
ليالي الصيف

[illegible]

شعر: أحمد محمد آل خليفة

أقبل الصيف وغنتنا المنى
أغنيات الحب في دنيا الجمال
وتهادى الشاعر الشادي على
موكب الحب يغني لليالي
شاعر يقتات بالنجوى ولا
غيرها يصبيه في ليل الوصال
يا ليالي الحب حسبي وقفة
للمواعيد على هذي الرمال
أتملى فيك أحلام الصبا
صادحات في رؤى الذكرى حيالي
أن من يصبيه تذكار الهوى
فهو بالروح - فتى - غير مبال
يا عذارى الحب أن الملتقى
فأعيدا للشواطئ الذكريات
واسكبي الألحان في ناي الهوى
ليس إرجاع الهوى بالأمنيات
هذه الأكوان غرق في السنا
كنجوم في بحار عائمات
حسب تذكار الهوى أغرودة
رددتها في العشيات الحسان

سكر الشاطئ من ترجيعها
فإذا في كل سفح مهرجان
كلما عاودني ذكر الهوى
فيك هزتني المنى والعنفوان
أنا يا أحباب قلبي شاعر
في بحار الحسن والحب غريق
هو في تيه الأماني زورق
قد رمته الريح في بحر سحيق
ليس يدري الحب إلا معشر
عرفوا بالحب أسرار الحياة!!
أنا يا أحباب قلبي شاعر
عشت للحب بروحي وضميري
لي على كل الربى متكأ
في ليالي الحب يندي بالعبير
فالدراري في الدجى تعلم بي
كلما غنيت في الروض النضير
ذكريات الأمس تجري في دمي
شعلاً تنداح من نار ونور
يخفق الشوق على هزاتها
فيكاد الأمس يحيا في شعوري



العام الدولي للكبار

منهج التربية الإسلامية في مرحلة

بقلم: د. علي علي مصطفى صبح

منهج التربية الإسلامية في بناء الشباب وتكوينه قائم على الشمول والكمال، والتقصي لكل ما لا يخطر على بال الإنسان، فهو غير قاصر على الشباب في فترة معينة وجنس خاص، بل يمتد مع الأزمان والأجيال إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، قال تعالى **﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾**[١] **قال الطبري في تفسيره: (يقول نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب)**[٢].

وفي حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه قيل له: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. قال: أجل، لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وألا يستنجي باليمين، وألا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو عظم[٣].

ويتولى الإسلام تربية الولد والبنت منذ الصغر حتى سن الرشد والبلوغ، الذي يختلف عندهما من حيث الكم وتحديد السنوات، فالذكر يبلغ في سن الخامسة عشرة غالباً والأنثى تبلغ بالحيض ما بين التاسعة والثانية عشرة غالباً، لكنهما متفقان من حيث النضج والكمال في الجسم والتمييز، مهما كان الفرق في عدد السنوات متبايناً.

ويتولى الإسلام تربية الشباب في مرحلة المراهقة والإنطلاق والأنانية من الخامسة عشرة إلى العشرين على أساس من الخلق القويم، ويقيم بناءه لبنة لبنة في تجربته العملية بضوابط كثيرة في ممارسة السلوك، وأهمها:

(١) المسؤولية والحساب:

فيستقيظ حينئذ على الحد الفاصل بين الإعفاء وبين الإحصاء، ألا وهو حد البلوغ إذ لا حساب ولا مساءلة قبل ذلك، وإن لزم التوجيه والرعاية له من الوالدين، لأنهما يتحملان عنه الوزر، كما أنهما لا يحرمان من حسناته وحسن أخلاقه، فهما معاً السبب في الأوزار والحسنات: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٤].

لكن البلوغ يحمل الشباب على أن يبدأ مرحلة جديدة في حياته، وهو أن يتحمل كل التبعات، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**»[٥]. قال تعالى **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾**[٦]. وقال تعالى **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾**[٧]. وقال تعالى **﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾**[٨].

ولم يكن حد البلوغ مجازفة واعتباطاً، وإنما كان نتيجة طبيعية للبناء الجسدي والعقلي والوجداني والعاطفي، فالشجرة لا تثمر إلا إذا اكتملت جذورها وساقها وفروعها وأوراقها وأزهارها، كذلك الصبي حين يبلغ الحلم، يجري في صلبه ما يحفظ به نوعه، ولو كان دون الخمسة عشر عاماً، التي تكون نهاية الحد في تفجير الطاقة الجنسية، وفورة العاطفة الشهوانية في الولد.

أما البنت تبلغ عندما يظهر عليها أمارات الأنوثة الناضجة التي تجعل الرحم على استعداد تام لحفظ نوعها، وذلك عن طريق المبيض الذي ينفجر حيضاً في العادة الشهرية. وعلى ذلك فمعنى البلوغ هو أن تأخذ الغريزة الجنسية في الإنسان مجراها الطبيعي في الحياة.

وينظر الإسلام إلى الدافع الجنسي كسائر الدوافع الفطرية الأخرى فيقدرها ويحترمها ويحميها وينظمها، بما يتلاءم مع كرامة الإنسان وشرفه على سائر المخلوقات، فيجعل تلبية الرغبة الجنسية في دائرة واحدة فقط، وهي **الزواج**، وأغلق أمامه كل الدوائر الأخرى، التي تهبط بشرف الإنسانية إلى الحيوانية.

قال تعالى **﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾**[٩].

وقال تعالى **﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**[١٠].

أحاط الإسلام الشباب بدائرة الزواج في مشقاته، وتكاليفه وكفاءته وقدراته، حتى ينصرف منذ البداية إلى الاستعداد له، واتخاذ الوسائل والأسباب كالعمل والتعلم أو غير ذلك من وسائل المعيشة، لتضبط الشهوة وتبتلعها، حتى يقدر على الزواج، ليكون له ضابطاً آخر يقيد الشهوة في شكل جديد.

فإن طغت الشهوة ولم يقدر على الزواج حثه الإسلام على **الصوم**، يضبطها ويحصنها، فهو خير وجاء وقاطع لطغيانها: يقول **عبد الله بن عمر رضي الله عنهما**: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن له وجاء)**[١١].

والباءة هي القدرة على الزواج بمعناها الواسع، والكفاءة بمعناها الدقيق، لذلك قال ابن عمر: كنا شباباً لا نجد شيئاً، فكانت النتيجة أن الصوم يقتل الشهوة ويقضي على طغيانها، فينصرف الشباب بضابط



الصوم إلى استغلال مواهبه العقلية وقدراته البدنية لتحقيق هذه الباءة، وغالباً ما تتكامل له هذه الوسائل عندما ينضج في سن العشرين أو أكثر قليلاً، فتبرز طاقته المتعددة الجوانب في التعليم والتعلّم، ويحضه الإسلام على ذلك: (**خيركم من علم القرآن وعلمه**)، (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[١٢].

قال تعالى ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[١٣]، وقال تعالى ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[١٤]، قال ابن رجب الحنبلي: يعني على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم كذا قال ابن مسعود وغيره من السلف[١٥]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحث على العلم والاهتمام به.

أو يبرز طاقاته في العمل والتحصيل، ويحثه الإسلام، ليربي في الشباب الطاقة والجهد والحمية، قال تعالى ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[١٦]. وقال تعالى ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾[١٧]. **وقول النبي صلى الله عليه** وسلم: (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)[١٨].

(٢) الإطار الأخلاقي المثالي:

وهو ضبط سلوك الشباب، فيكون في خلقه مع من هم أكبر سناً، وأعمق تجربة في الحياة، فأغراه الإسلام بأن يكون من السبعة، الذين ميزهم الله عن سائر الناس يوم القيامة بظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله: (**إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ورجلان تحابا في الله.. اجتمعا عليه وافترقا عليه**... إلى آخر الحديث).

(٣) العبادات:

فالعبادات تربي في النفس مراقبة دائمة لله عز وجل، بحيث يظل الفرد مشغول القلب بذكر الله كل يوم، بل في اليوم على الأقل خمس مرات، ينصرف فيها عن كل ما يشغله من مغريات الدنيا وشهواتها، ليجدد في كل **صلاة** نشاطه الروحي مع ربه: ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** ﴾[١٩]، ويقول **النبي صلى الله عليه** وسلم: (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، وقال أيضاً (**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء، قالوا لا يا رسول الله. قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو بهن الخطايا**).

وكذلك **الصوم** يربي في النفس غريزة الإخلاص، فهذه العبادة اختص الإخلاص فيها بعلم الله عز وجل لأن الصوم سر بين العبد وربه وكذلك يربي أيضاً أسمى **أنواع الأمانات**، لأن الصائم يرعى الله بأمانة فيراقبه في السر والعلن مخلصاً لوجه الله تعالى، على العكس من الأمانة بصفة عامة فقد يشتهر فيها شخص من بين الناس، وهو يقصد كسب ثقتهم، فيزداد حفاظاً على الأمانة كلما زادوه ثقة وهكذا، فإن مراعاة الناس واعتبارهم يهز كيان الإخلاص في الأمانة العامة، فتصير مزيجاً من الإخلاص والتظاهر نوعاً ما، بينما الصائم لا يداخله هذا الخيط من التظاهر في الصوم وإلا لفسد كله، ولم يقبل في جانب الله عز وجل: (**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**).

(٤) تربية أخلاق العقيدة:

وهي أن يحيي القلب بنور الإيمان، ويوقظ الضمير بمعرفة الله، قال تعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[٢٠].

وتربية أخلاق العقيدة تتم أيضاً بأن يتزيا الشاب بزي الإيمان، وهو **السكينة والوقار**، والطمأنينة والاتزان فيشعر دائماً ببرد الراحة وحلاوة الأمن ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[٢١]، فلا يحزن على ما فات، ولا يفرح بما هو آت قال تعالى ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾[٢٢].

وكذلك غرس الإسلام **قوة العزيمة** في شبابه، ليقيم بناءه على أساس قوي ثابت، فيتحرر من سيطرة الغير، ما دام يعلم أن الله معه، وهذا واضح في وصية الرسول الكريم لخيرة الشباب في عصره **عبد الله بن العباس رضي الله عنهما** قال:

(**يا غلام: إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**).

وكذلك **تنمية الشجاعة والإقدام في روح الشباب**، ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي الشباب في الخروج إلى «**أحد**»، مع أن الشيوخ كانوا على صواب في عدم الخروج من المدينة لمواجهة المشركين في جبل أحد، ليربي شباب الإسلام على الشجاعة والإقدام، ويهذب الله تعالى النفس بهذا الخلق فيقول ﴿ **أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾[٢٣].

ويربي الإسلام في النفوس التواضع مع الشجاعة جنباً إلى جنب قال تعالى ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾[٢٤]، وقال تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[٢٥].

ويربي في الشباب **صون اللسان وحفظه من كثرة الكلام فيما لا يفيد**، فيكون جاداً في حياته. يقول **النبي صلى الله عليه وسلم** لمعاذ رضي الله عنه: (**أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه. فيقول معاذ: وهل نحن مؤاخذون بما نتكلم**،

قال النبي : **وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم)** ، قال تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ [٢٦] .

ويربي في الشباب روح الأخوة الإسلامية والإيثار والتضحية في سبيل الله . قال تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ [٢٧] ، وقال تعالى ﴿ **والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [٢٨] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** .

إذا كانت ضوابط التربية الإسلامية في مرحلة الشباب والمراهقة قد تمخضت عن سلوك وممارسة عملية على حد مصطلحات علماء التربية الحديثة أو تمخضت عن استقامة وأخلاق على حد التشريع الإسلامي .. فإن الشباب بعد ذلك سينتقل إلى مرحلة النضج والرجولة ، كما اصطلح على ذلك علماء التربية ، وأُطلق عليه **مرحلة البناء الاجتماعي للفرد** . وقد تعقَّب المنهج الإسلامي في التربية المرحلتين بصورة شاملة وعميقة وجادة كعهده دائماً في بناء الفرد والجماعة .

أولا : مرحلة النضج

ومرحلة النضج تكون ما بين سن العشرين إلى الثلاثين عاماً ، وتخضع هذه المرحلة لضوابط التربية الإسلامية والتعليم ، ومن اهمها :

١ ـ الضابط الأول : وهو أن العقد الثالث من العمر ضابط بذاته هذه الحلقة الناضجة من الحياة ، فهي الحلقة المثالية لبناء حياة اجتماعية على أساس قوي متين ، وقد كان **زواج النبي صلى الله عليه وسلم** من أم المؤمنين **خديجة بنت خويلد** في هذا السن تعبيراً دقيقاً وصادقاً عن تمام النضج الاجتماعي ، وتقريراً يعبِّر بدقة عن نضوج البدن ، ليقاوم الحياة الجنسية الجديدة ، بحيث لا تضطرب القوة . ويتحكم الناضج حينئذ في ضبط الشهوة نوعاً ما ، وخاصة بعد اجتيازه مرحلة المراهقة ، التي هي من أخطر المراحل ، فلا يسرف فيها ، ويحفظ على النفس اتزانها وقوتها .

٢ ـ الضابط الثاني للسلوك التربوي القويم هو **الزواج ، فجمال الزوجة ، وملكة التسلية والإمتاع في حديثها ، وغريزة الإيثار والتضحية في سبيل حب زوجها** ، وغيرها من غرائزها الفطرية تسيطر على عقل الزوج ، وتستبد بقلبه ، فلا يجد في غير هذا الحلال الطيب بديلاً في الخبيث المحرم ، ومن هنا تنحصر الشهوة فيما أحله الله له فقط دون غيره من المحرمات ، ثم يتوالى بعد ذلك ما ينظم الشهوة ويضبطها وهو إنجاب الأولاد وما يحتاجونه من نفقات ورعاية وحفظ وتوجيه وتربية وتعليم وتنمية للغرائز الفطرية ، عند ذلك تنحصر الشهوة في إطار ضيق جداً مع زوجته ربة البيت وأم الأولاد .

يقول **ابن قيم الجوزية** : **وأما الجماع والباه (النكاح)** فكان هديه (أي النبي) فيه أكمل هدي يحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية : **أحدها** حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم . **الثاني** إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن . **والثالث** قضاء الوتر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة [٢٩] .

والإفراط في الغريزة وعدم انضباط الشهوة يؤثر على الجسم والعقل معاً ، يقول **الطبيب اليكس كاريل** : ومن المعروف أن الإفراط الجنسي ، يعرقل النشاط العقلي ، ويبدو أن العقل يحتاج إلى غدد جنسية حسنة النمو ، وكبت مؤقت للشهوة الجنسية حتى يستطيع أن يبلغ منتهى قوته [٣٠] .

٣ ـ الضابط الثالث : أن يجعل الأساس في اختيار الزوجة أن تكون ذات دين ثم يأتي بعد ذلك الجمال والبكارة والولود والودود ، من باب الأولى ، أو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه **أبو هريرة** :

تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك [٣١] ، فالمرأة الصالحة خير ما يرزق بها الرجل في حياته ، لأنها تعين زوجها على طاعة الله دائماً ، ليظل معها في الحياة مستقيماً طاهراً عفيفاً يرضي الله فيها ، ويحافظ على عشرتها بالمعروف ، وحسن المعاشرة لأهله لأنه راع وهو مسؤول عن رعيته .

ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من خضراء الدمن فقال : « **إياكم وخضراء الدمن** » . **قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء »** [٣٢] ، ومصدر الخطورة فيها أنها تجمع بين ضررين كبيرين بالنسبة للرجل . أحدهما **الجمال الفاتن والمجرد من الدين والخلق** ، وفي هذه الحالة لا تنضبط الشهوة معها ، فتكون نهاية الزوج كنهاية المدمن في الخمر ، فيغيب عقله ويفنى جسده معاً .

وثانيهما : **سوء الخلق** ، فلا ترضى به وعنه إلا إذا كان على شاكلتها ، ويناظرها في سوء الخلق ، ويجاريها في وقاحتها ، فيكون تابعاً لها ، بل أشد منها ، لكونه إمّعة لا إرادة له ولا شخصية ، ولذلك كان خير النساء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا في مالها بما يكره)** [٣٣] .

وإذا لم يكن الدين والخلق الكريم هو أساس الزواج تنخر الفتنة في عصب الأمة ، ويعيث الفساد في الأرض ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : **(إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)** [٣٤] .

٤ ـ الضابط الرابع : حقوق الحياة الزوجية ، التي تعمرها بالسعادة والتعاون والحب والإيمان ، فرعاية تلك الحقوق تربي في النفس الإحساس بالمسؤولية والشعور بالواجب ، فيتناصح الزوجان : ﴿ **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ ، ويتعاونان معاً : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [٣٥] ، ويتشاوران فيما يخالط الأسرة والحياة : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [٣٦] .

وهذه الحقوق تغرس في النفس المودة والمحبة : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [٣٧] .

وتربي حقوق الحياة الزوجية في النفس أيضاً **الرعاية لحدود الله وأوامره** ، فيتفقه الزوجان في الدين ، ويقفان على حدود الحلال والحرام ، ويحفظان أسرار الزوجية ﴿ **قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ [٣٨] ، ويتعامل معها الزوج بالرفق والمعروف ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ [٣٩] .

وهـذه الحقـوق الـزوجية أيضـاً تربـي في النفس **رعاية حقـوق الأولاد** لتـأمين حـق الــرضاعة والحضـانة : **﴿ والـوالـدات يـرضعن أولادهــن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود لــه رزقهــن وكسـوتهن بـالمعروف لا تـكلف نفس إلا وسـعها لا تضـار والــدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ﴾**[٤٠] .

ومن واجبات الـتربية لـلأولاد تنمية الغــرائز في نفوسهم ، مثل **غريزة الخوف والمراقبة والمحبة والتدبر في ملكوت الله** ، ليؤمن بـربه عـن اعتقـاد لا تقليد ، وينمي فيهم الملكات الحسية والفـكرية والفنيـة ، جـاء في الحــديث : **(علـموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً وورووهم ما يجمل من الشعر)**[٤١] .

ويربيهم أيضاً على **أخلاق القرآن الكريم** مـن معرفة آداب الدخول وأخلاق الاستئذان عـامة ، قـال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيـر لــكم لعلــكم تـذكرون ﴾**[٤٢] ، والاستئذان على أهله ووالـديه : **﴿ يـا أيها الـذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومـن بعد صلاة العشاء ثـلاث عـورات لــكم ليس عليكم ولا عليهم جنـاح بعـدهن طـوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾**[٤٣] .

في هذه المرحلة التي تبـدأ مــن الثـلاثـين إلى الأربعين ، يكون الجسم فيها قـد اكتمـل وبلـغ غـاية النضج في تمام الأعضاء ، واعتدال القوام وقمة النشاط ، وحيوية الحركة ، فيتحول العقل من حـالة التـوازن إلى حالة الاتزان ووضع الأمور في نصابها ، فالعقل السـليم في الجسم السليم ، وهـذا العمـر يـكون أنضر وأقـوى مراحل حياة الرجل ، والقوة فيه بلغـت غـاية الاتـزان الجسـدي والعقلي والعــاطفي والـــوجداني والنفسي والفكري ، ويكون في منـزلة هـي أحب إلى الله فيما لو تحقق الاتزان ، يقول النبي صلى الله عليه وسـلم : **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله مـن المؤمـن الضعيف)** ، لأن القوة هنا تشـمل جـوانبها المختلفـة من القوة البدنية ، والقوة الفـكرية والعقليـة ، والقـوة الدينية ، والقوة العلميـة ، وهـذه القـوى تسـتلزم بالضرورة القوة في المال والاقتصـاد لأنها مـرحلة بنـاء الحياة الاقتصادية لـلأسرة ، وتـأمين حيـاتها ، وحيـاة الأفراد فيها .

عن **عبد الله بن عدي بن الخيار** أن رجلـين حدثاه أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسـألانه عن الصدقة ، فقلب فيهما النـظر فـرآهما جلـدين ، فقال : إن شئتما أعطيتكما ، ولاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب[٤٤] ، وهـذا الحديث يستلزم تحريم الصدقة على القوي الجلد ، لأنه يجب أن يعمل ما دام قوياً جلـداً ، قال **أحمد بن حنبـل** معقبـاً على هــذا الحــديث : ما أجوده من حديث ، وقال **الصنعاني** : والحـديث من أدلة تحـريم الصــدقة على الغــني وعلى القــوي المكتسـب[٤٥] . يقـول النبـي صلى الله عليـه وسـلم :

(اليد العليا خير من اليد السفلى وأبـدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عـن ظهـر غـني ، ومن يستعفف يعفـه الله ومـن يستغن يغنـه الله)[٤٦] .

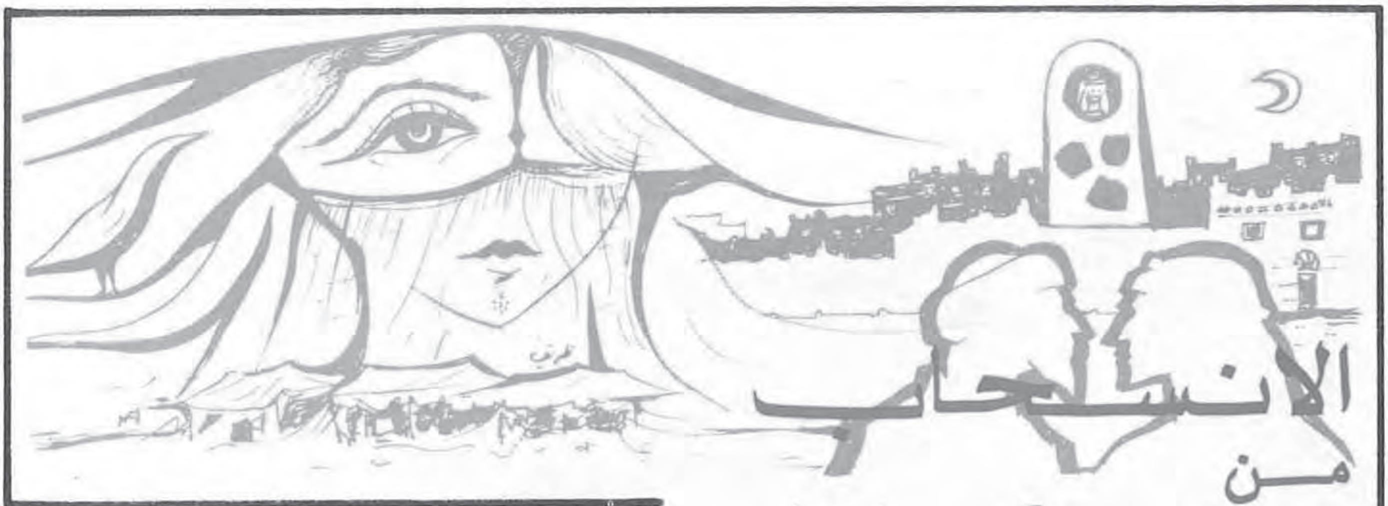
وفي ختام هذه المرحلة غالباً ، يشعر الإنسان بـأنه بلغ الغاية فيثني على الله عــز وجــل بهــذه النعمــة الجليلة ، ويطلب منه أن يسلكه في الصالحين المقبـولين عنده ، وكذلك الذي يقـطع الأربعـين وهـو مـاض في غيه ، منساق حسب شهواته ونـزواته ، فـلا أمـل في صلاحه وتقواه ، لأن العقد الـرابع هـو الفيصـل بـين حياة الرجل الصالحة أو الطالحة .

وحين يحدد القرآن الكريم السلوك التربوي الصالح في هذا العقد يصف صـاحبه بـالصلاح قـال تعــالى **﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلـغ أربعـين سـنة قـال ربـي أوزعني أن أشكر نعمتـك الـتي أنعمـت علـيّ وعلى والـدي وأن أعمل صـالحاً تـرضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليـك وإني مـن المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهـم أحسـن ما عملوا ونتجـاوز عـن سيئاتهم في أصحـاب الجنة وعــد الصــدق الـــذي كانـــوا يوعدون ﴾**[٤٧] .

ومع الأنبياء عليهم السـلام يصـفهم الله تعـالى في هذا العقد بصفات المحسنين والمرسلين ، قـال تعـالى يصف موسى عليه السـلام في هـذه المرحلـة : **﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتينـاه حـكماً وعلـماً وكـذلك نجزي المحسنين ﴾**[٤٨] . وقال تعالى في يـوسف عليه السلام : **﴿ ولما بلـغ أشـده آتينـاه حـكماً وعلـماً وكـذلك نجزي المحسنين ﴾**[٤٩] .

الهوامش

(١) سورة النحل ، الآية ٨٩ .
(٢) جـ ١٤ ، ص ١٠٨ ، طبعة بولاق عام ١٣٢٨ هـ .
(٣) رواه مسلم وأحمد والـترمذي وابـن مـاجه والنسـائي وأبو داود .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .
(٦) سورة الإسراء ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٧) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .
(٨) سورة ق ، الآية ١٨ .
(٩) سورة الروم ، الآية ٢١ .
(١٠) سورة النحل ، الآية ٧٢ .
(١١) فتح البـاري في شرح البخـاري : ١٢٢،٦ المطبعـة السلفية القاهرة (وجاء بمعنى قاطع للشهوة) .
(١٢) رواه ابن ماجه برقم ٢٢٤ .
(١٣) سورة الزمر ، الآية ٩ .
(١٤) سورة المجادلة ، الآية ١١ .
(١٥) رسالته في (شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً) ، ص ٣٧ .
(١٦) سورة النحل ، الآية ٩٧ .
(١٧) سورة الملك ، الآية ١٥ .
(١٨) رواه البيهقي .
(١٩) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .
(٢٠) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢ .
(٢١) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .
(٢٢) سورة الحديد ، الآية ٢٣ .
(٢٣) سورة النساء ، الآية ٧٨ .
(٢٤) سورة الإسراء ، الآية ٣٧ .
(٢٥) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .
(٢٦) سورة المؤمنون ، الآيات ١ ، ٣ .
(٢٧) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٢٨) سورة الحشر ، الآية ٩ .
(٢٩) زاد المعاد في هدي خير العباد : ٣٠٧،٣ .
(٣٠) الإسلام ومشكلات الحضارة : سيد قطب ١٣٢ .
(٣١) متفق عليه .
(٣٢) رواه الدارقطني في الفتح الرباني ١٥٣،١٦ .
(٣٣) رواه أحمد والنسائي .
(٣٤) رواه الترمذي .
(٣٥) سورة المائدة ، الآية ٢ .
(٣٦) سورة الشورى ، الآية ٢٨ .
(٣٧) سورة الروم ، الآية ٢١ .
(٣٨) سورة النساء ، الآية ٣٤ .
(٣٩) سورة البقرة ، الآية ٢٢٨ .
(٤٠) سورة البقرة ، الآية ٢٣٣ .
(٤١) رواه الترمذي وأحمد وأبو داود .
(٤٢) سورة النور ، الآية ٢٧ .
(٤٣) سورة النور ، الآية ٥٨ .
(٤٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي .
(٤٥) سبل السلام .
(٤٦) رواه البخاري ومتفق عليه .
(٤٧) سورة الأحقاف ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٤٨) سورة القصص ، الآية ١٤ .
(٤٩) سورة يوسف ، الآية ٢٢ .

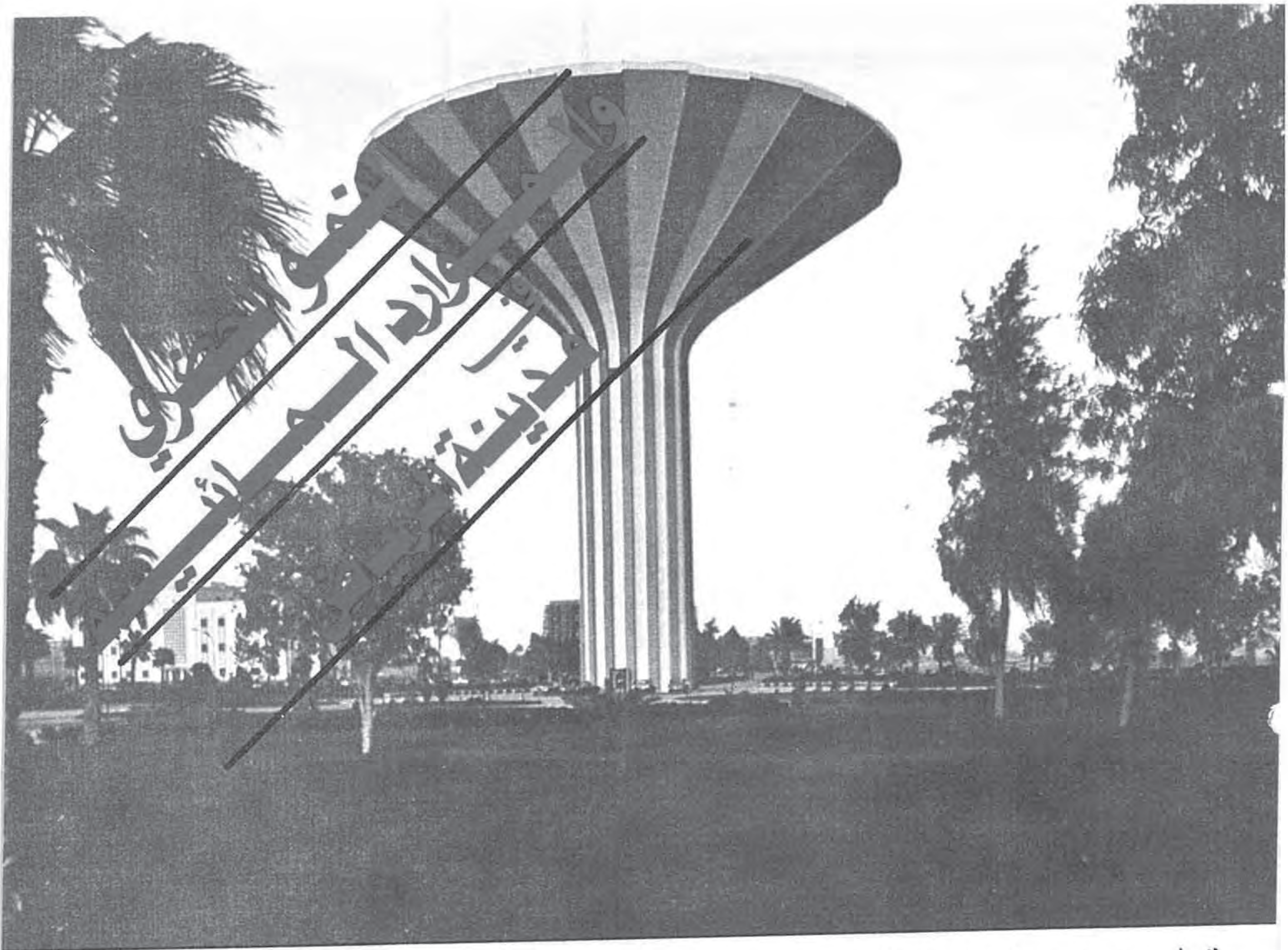


الانسحاب من عكاظ

شعر: عصام الغزالي

ولمّا تفيّأت ظل السقيفه
وغنّى نسيم القوافي حفيفه
تميزت من شاعر حين يأتي
وفي إثره الببغاء الأليفه
إذا قال، هزت جناحاً وصاحت
كرجع الصدى بعد صوت القذيفه
ولمّت ذيول الرداء الموشى
وهل ترفع الذيل إلا الوصيفه
وكم فسّرت عنه ما لم يفسّر
وعزّت قوام الحروف العفيفه
فهل يعجز الحسن – إن لم نحدق –
عن السحر، والعين ليست كفيفه؟!
وهل يُطرب الناس عبد المغني؟
أم اضطر – من نقصه – أن يضيفه؟
وهل يمكن الشدو دون التواري
وراء الرؤى والظلال السخيفه؟!
فهذا وزيرٌ وهذا سفيرٌ
وهل مر تمام الفنون الوظيفه؟!
وهذا يغطي قصور المعاني
بسيل من الذكريات الطريفه
ودلاله يرفع السعر قسراً
ولن تنصب الشعر أيد عنيفه؟!
وهذا إذا قال بيتاً يتيماً
تبناه بالشرح ملء الصحيفه
فهل ساغ بعد الطعام التشهي
بملح، لمن لم يُملّح رغيفه؟!

وهل يصبح الفحم درًا إذا ما
وضعناه في علبة من قطيفه؟!
إذا الشعرُ غنى فسح القوافي
بنثر كغسُل اغتصاب الشريفه
ألا فاعذري يا عكاظ التواري
بضيق وراء القشور الكثيفه
فإني رأيت الفنون استبيحت
وهدت قواها النفوس الضعيفه
ففي السوق كم شاعر بهلوان
وكم وازن بالحروف الخفيفه
وللشعر في كل ناد مناد
يحلي ويحشو السطور النحيفه
يدقون أجراسهم صدعتني
وكم واثق حاولت أن تخيفه
ولا تعذلي شاعراً لا يلبي
ففي برجه العاج نفس أسيفه
أقدرت أن تحبسيني زنيراً
وفي الساح يلهو عواء بجيفه
إذا كوكب مظلم حال بيني
وبين الورى صرت شمساً كسيفه
أبت أن أجوب النوادي وخلفي
صبي، إذا ساق كل حليفه
أنا شاعر عرشه بيت شعر
وحسبي، ورأسي برأس الخليفه



النمو الحضري والموارد المائية في مدينة الرياض

بقلم : د. عمر الفاروق السيد رجب

رغم أن « الرياض » كانت معروفة ـ بتسميتها ـ منذ القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً ، بل وكان لها أيضاً دورها الخاص وتأثيرها في الأحداث المضطرمة التي تعرضت لها شبه الجزيرة عامة ، وشرقيها خاصة ، وهضبة نجد بالأخص ، إلا أن المدينة قد تأثرت ـ بعد ذلك ـ ومنذ بداية القرن الحالي على وجه التحديد ، بعاملين رئيسيين أعادا تشكيلها ـ مع الخريطة السياسية والحضارية العامة لشبه الجزيرة ـ من جديد :

● **العامل الأول** وهو الأسبق ، فضلاً عن اتصاله بمميزات معينة توافرت في المدينة ذاتها ، ذلك هو اختيارها كعاصمة سياسية للدولة السعودية ، مع ظهورها المتجدد بعد **الحرب العالمية الأولى** (١٩١٩ م) ، وما تداعى عن هذا الاختيار من تغيرات عديدة في عدد سكانها ومورفولوجيتها ووظائفها وبنيتها الاجتماعية ، وقد ظل هذا العامل المتصل بوظيفتها السياسية الجديدة ، يحرك المدينة ويدفع تغيراتها في اتجاهات معينة ، وينشط عمليات نموها حتى الآن .

● ويمثل **البترول العامل الثاني** الرئيسي من عوامل نمو المدينة ، وإذا كان البترول قد اكتشف في أراضي المملكة مع بداية العقد الرابع من هذا القرن ، فإن إنتاجه الفعلي لم يبدأ إلا عندما قارب العقد على الانتهاء (١٩٣٨ م) ، وقد بدأت الرياض ـ قبل غيرها ـ في استثمار معطيات الواقع الاقتصادي الجديد ، وتمثلت ظواهر التغير في نمو حجمها السكاني وتضاعفه عدة مرات خلال عقود السنين الأخيرة (١٩٥٠ ـ ١٩٨٠ م) ، كما تعدلت مورفولوجيتها طولياً وعرضياً ورأسياً ووظيفياً ، بحيث يمكن القول إن مدينة أخرى قد ظهرت في ذات عقود السنين المذكورة ، وقد شكلت هذه التغيرات البنائية الضخمة عبئاً متزايداً على موارد موضعها الطبيعية ، خصوصاً الموارد المائية ، وأصبحت منحنيات نمو المدينة في سباق مع جهود البحث والكشف عن موارد مائية جديدة في أعماق موضع المدينة ، أو من خارج حدود منطقتها الهيدرولوجية ، وكونت مدينة « الرياض » لنفسها أيكولوجية حضرية خاصة بها ، لا ترتبط عناصرها بخصائص المكان وإمكاناته واقتصادياته ، قدر



النمو الحضري والموارد المائية في مدينة الرياض

ما ترتبط بالقوة الاقتصادية العامة للدولة ، هذه القوة العامة المستندة إلى مورد اقتصادي طبيعي ، مهما بدا ضخماً فهو قابل للنضوب .

لقد حيّد « البترول » معظم الشروط الأخرى اللازمة لنمو حضري بمثل هذه المعدلات ، ومكن من ظهور العديد من مدن الصحراء المتضخمة فوق الحد ، والمعتمدة تماماً على أساس اقتصادي خارج نطاق قوتها الذاتية كمدن نامية ، تظهر أيكولوجيتها الخاصة بجميع عناصرها الحضارية (السكانية ، الاقتصادية ، المورفولوجية وغيرها) وهي تنبض نبضاً شديد الإيقاع ، غير أن مصدر الدماء من خارج دورة الحياة بها ، وهكذا . . فإن **دراسة النمو العمراني لمدينة الرياض في علاقته بمواردها المائية ، يمكن تعميمها ـ بشيء من التجاوز ـ على كثير من مدن شبه الجزيرة الصحراوية المعتمدة على البترول في وجودها** ، وحتى الآن . . في نموها أيضاً ، فهي ـ الرياض ـ بمثابة نموذج لها جميعها أو لمعظمها على الأقل .

وداخل هذا الإطار يتضح أن السياق الخاص بهذا الموضوع ، إنما يتضمن مجموعة من العناصر الرئيسية يمكن تلخيصها فيما يلي :

أ ـ الموارد المائية

وتمثل الجانب الطبيعي الذي تتعدد ارتباطاته بعناصر المكان ، خصوصاً المناخ والتركيب الجيولوجي ، وهو العنصر ـ أي الموارد المائية ـ الأكثر ارتباطاً بالنمو الحضري لمدينة الرياض ، وإليه توجه الجهود المكثفة بحثاً وكشفاً لمتابعة المظاهر المختلفة لنمو المدينة ، وعلى أساس مخزونه تتحدد درجة صلابة البنية الحضرية الراهنة للمدينة ، وقدرتها على الاستمرار في المستقبل ، وتستمد مدينة الرياض معظم احتياجاتها المائية الراهنة من تكوينات منطقتها العميقة ، وذلك من أربعة مصادر رئيسية منتجة للمياه هي « **الجبيلة ، وادي نساح ، وادي حنيفة ، المنجور** » ، وتتباين هذه المصادر من حيث معدلات الإنتاج والاحتياطيات ، ونوعية المياه وتاريخ الاستغلال ، وتقدم الأخيرة منها « Minjur Formation » معظم احتياجات المدينة الحالية ، غير أنها أقلها من حيث النوعية ، وقد تأثرت هذه المصادر بنفس ديناميات دورة المياه في التكوينات الحاوية لها من **الزمن التریاسي** وما قبله ، وظلت تحت ذات العوامل المتصلة بالتسرب



★ الأقسام الهيدرولوجية في المملكة العربية السعودية ★

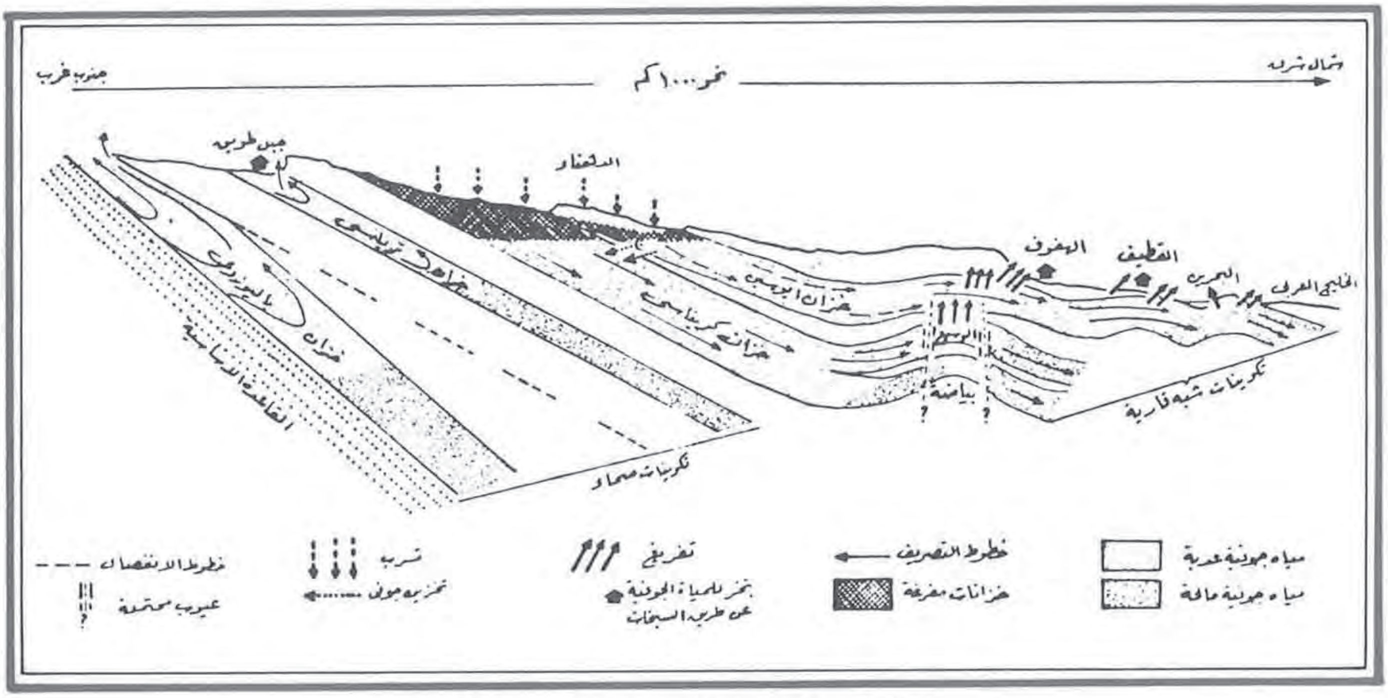
والتبادل الداخلي للمياه منذ نهاية **العصر المطير** ، وهي تتعرض الآن لذات المتغيرات المتصلة بمعدلات الاستهلاك العالية من ناحية ، وعمليات التعويض والإضافة المحدودة لها من ناحية أخرى ، وتشير الدراسات المعاصرة إلى إمكانية زيادة إنتاج المياه من مصادرها في المدينة بمقدار ربما وصل بجملتها إلى ١٠٥٧٣٠ م٣ في سنة ١٩٨٠ م ، وتقدر جملة احتياجات المدينة في ذات العام بنحو ١١٥ ألف م٣ / يوم ، والفارق بسيط يمكن تدبيره ، بل إن هناك بالفعل بعض الكشوفات المائية الحديثة التي تقدم رصيداً يكفي المدينة ـ تبعاً لتوقعات نموها السكاني ـ حتى سنة ٢٠٠٠ م ، وبهذا يتاح لها أن تتجاوز اختناقات العلاقة المتوقعة بين مواردها المائية ونموها الحضري حتى ذلك الحين ، غير أن المنشود هو أن تتجاوزها استراتيجياً وليس مرحلياً ، وهي الحالة التي يمكن أن تتحقق مع اتصال المدينة بمحطات **تحلية مياه البحر على الخليج** ، وهو الاتجاه الذي تتجه إليه معظم جهود واستثمارات تحقيق الكفاية المائية للمدينة الآن وفي المستقبل .

ب ـ النمو الحضري لمدينة الرياض

يتخذ النمو الحضري لمدينة الرياض اتجاهات عديدة مترابطة ، تتمثل في :

(١) النمو السكاني للمدينة كماً وكيفاً .
(٢) التغيرات المورفولوجية .
(٣) التغيرات الوظيفية .

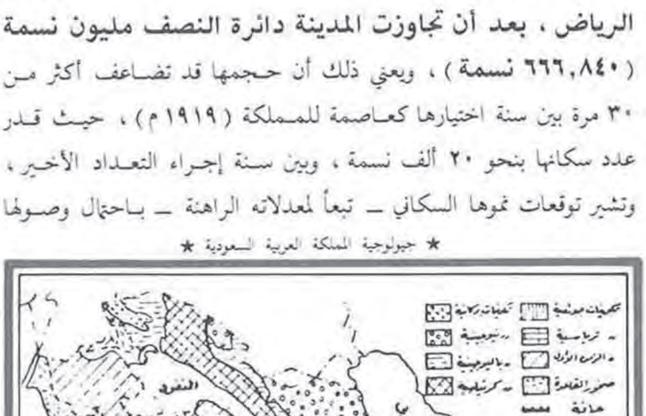
فهذه هي الاتجاهات الأكثر اتصالا بالموارد المائية من ناحية ، وهي التي تداعت عنها بقية ظواهر النمو الحضري الأخرى من ناحية ثانية :



★ نظم التخزين الرئيسية للمياه الجوفية من منطقة الرياض إلى الخليج ★

وقد نمت مدينة الرياض بمعدلات عالية منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لأسباب شتى تتصل بوظيفتها كعاصمة للمملكة، وأيضاً مع زيادة الاستثمارات المالية الدائرة في أسواقها، وارتفاع مستوى الأجور المضطرد مع اتساع فرص العمل والتسهيلات الحكومية الأخرى في شتى المجالات، وحسب تعداد ١٩٧٤م، فقد **بلغت جملة سكان الرياض، بعد أن تجاوزت المدينة دائرة النصف مليون نسمة (٦٦٦,٨٤٠ نسمة)**، ويعني ذلك أن حجمها قد تضاعف أكثر من ٣٠ مرة بين سنة اختيارها كعاصمة للمملكة (١٩١٩م)، حيث قدر عدد سكانها بنحو ٢٠ ألف نسمة، وبين سنة إجراء التعداد الأخير، وتشير توقعات نموها السكاني ــ تبعاً لمعدلاته الراهنة ــ باحتمال وصولها

★ جيولوجية المملكة العربية السعودية ★



إلى حجم سكاني بين ١,٥ مليون نسمة كحد أدنى و ٢ مليون نسمة كحد أعلى سنة ٢٠٠٠م.

والحقيقة أن تغيرات سكان مدينة الرياض لم تعد كمية فقط؛ بحيث تقتصر في علاقتها مع الموارد المائية على مجرد العلاقة الحسابية بين حجم سكاني وكم من المياه، بل تجاوزت ذلك ــ مع الارتفاع المضطرد لمستوى المعيشة ــ إلى مستوى آخر من التغيرات الكيفية التي تظهر في نمط الاستهلاك وقنواته، وإذا كان من اليسير حساب العلاقة البسيطة الأولى، فإن المستوى الثاني منها يحتاج إلى دراسات مستفيضة، خاصة وأنه ليس أقل من الأول أهمية بالنسبة للضغط على الموارد المائية، إذ أنه يعني باختصار ارتفاع متوسط استهلاك الفرد والمجتمع من المياه، ويمكن القول إن العلاقة بين سكان المدينة ومواردها المائية قد بدأت كمية فقط بالنسبة للقطاع العريض من مجتمع المدينة، وأصبحت الآن كمية وكيفية معاً، واتجهت عمليات البحث والكشف عن المياه ليس إلى مجرد التعرف على خزانات المياه الجوفية وتحديد كمياتها، بل ــ وبنفس الاهتمام ــ تحديد نوعيتها ورتبتها، وأزيلت الآبار القديمة من المنازل، وأنشئت شبكة لتوزيع المياه ومزجها، وأسست محطة للمعالجة في «**الحائر**» تتكون من وحدات تبريد وتكثيف وتطهير، ثم وحدات للطاقة الكهربائية لرفع المياه للأدوار العليا من المنازل، وشبكات أساسية وخطوط فرعية، وضوعفت كفاءة محطات التنقية في **منفوحة والشميسي والملز**، واكتملت عناصر التخطيط لرفع نوعية مياه المدينة وكفايتها بإنشاء خزان المياه الرئيسي بارتفاع ٥١,٥م عن سطح الأرض، كما تضمنت استبدال الشبكات القديمة في أحياء المدينة بشبكة حديثة ذات مواصفات خاصة، والواقع أن هناك جوانب أخرى من العلاقة الكيفية بين سكان مدينة الرياض

النمو الحضري والموارد المائية في مدينة الرياض



ومواردها المائية تستعصي عن المتابعة ، خاصة الجوانب النفسية منها ، وتشير كثير من الدراسات إلى هذه الزاوية بكثير من الاهتمام ، خصوصاً في المدن الصحراوية وشبه الصحراوية ، فقد اتضح وجود علاقة سيكولوجية خاصة بين الفرد والماء في المجتمعات الصحراوية ، وأشارت الدراسات إلى نوعين من الاستجابة النفسية للأفراد في هذه المجتمعات ، حيث تتراوح الاستجابة بين منتهى الحرص ومنتهى الإسراف ، وتؤكد بعض الدراسات المعاصرة عن بعض مدن المملكة إلى شيوع الشكل المتطرف في إسرافه من الاستجابة ، مما يشكل عبئاً متزايداً على الموارد المائية لهذه المدن ، والمأمول أن تحظى سيكولوجية استهلاك المياه في مدينة الرياض بالدراسة التفصيلية ، خاصة وأنها تتجه مجتمعياً نحو مزيد من النضج ، وسوف يؤدي ذلك إلى زيادة استهلاك المدينة من المياه ، حتى لو بقيت — فرضاً — جملتهم العددية على حالها .

ولقد صحب نمو المدينة حجماً تغيرات أساسية في تركيبها ومورفولوجيتها العامة والخاصة ، واتسعت مساحتها من نحو ١٠٠٠م^{2} فقط في سنة ١٩١٩م ، إلى ما يقرب من ١٠٠ كم^{2} في الوقت الحاضر ، أي إن مساحتها قد تضاعفت نحو ١٠٠ مرة . وتجاوزت المدينة المحاور الطبيعية لموضعها ، وخاصة **وادي البطحاء** شرقيها ، وعندما تخطت منازلها السور القديم من ناحية ووادي البطحاء المذكور من ناحية أخرى ، تغيرت ديناميات نموها **الحلقي** المرتبطة بالسور وبنواة المدينة الأصلية وبمحاور المكان الطبوغرافية ، هذه التي طالما منحتها شكلها الدائري القديم ، إلى مزيج من هذه الديناميات مع نوع من النمو **الإشعاعي** في اتجاهات شتى حسب ظروف السكان ، **وتمثل الفترة بين ١٩٥٠ ـ ١٩٨٠ م ، أهم مراحل تغيرات مورفولوجية المدينة كماً وكيفاً** ، كما بدأت عملية النمو تخضع لنوع من التخطيط المتكامل المسبق ، وتبلورت وظائف المدينة التي ألقيت بدورها منذ اختيارها كعاصمة للدولة ، خاصة الوظيفتين السياسية والثقافية ، كما أضيفت لها وظائف أخرى ، **وقد ارتبطت عملية النمو والتغيرات المورفولوجية الأفقية والرأسية والوظيفية أشد الارتباط بالكشوف المائية الحديثة في منطقة الرياض بداية من سنة ١٩٥٠ م** ، فلم تكن وسائل إمداد المدينة بالمياه تتجاوز — حتى ذلك الحين — الآبار الأهلية داخل الدور ، وذلك لتلبية أغراض النظافة الشخصية والشرب والاستخدامات المنزلية المختلفة ، أو بواسطة بعض السقائين من حملة القرب للدور التي تخلو من الآبار ، وفضلاً عن ضحالة هذه الآبار ، فقد كانت رديئة النوعية كريهة الرائحة ، عسرة وساخنة ، ثم هي في أوقات الجفاف غير كافية ، وقد اقتضت تلبية احتياجات المدينة المتزايدة — كمية ونوعية — من المياه ، جهود واسعة ومكثفة في اتجاهات شتى ، وقد بدأت هذه الجهود بصورة محدودة خلال الأربعينات ، غير أنه بداية من السنوات الأولى في الخمسينات بدأت هذه الجهود تعطي ثمارها ، وتجاوزت الآبار عمقاً مستويات المياه الضحلة التي توجد على بعد عدة أمتار من سطح الأرض إلى المياه العميقة من **وادي الباطن** غرب المدينة في البداية ، وذلك بصورة محدودة للغاية وفي بعض أحياء المدينة دون غيرها ، وتمثل مجموعة آبار « **السويدي** » عند مصب وادي« **نمار** » من وادي أبي حنيفة الخطوة **الأولى** في طريق مد المدينة بأنابيب المياه ، ثم أضيفت إليها مجموعة أخرى من الآبار عند التقاء لبن بأبي حنيفة ، ثم جاءت الخطوة الثانية بإنشاء خزان المياه الرئيسي فوق تل مرتفع قرب مفتوحة ، ويستقبل هذا الخزان المياه من مصادر متعددة ، أما الخطوة **الثالثة** فقد تمثلت في استغلال مصادر المياه الأبعد نسبياً عن المدينة من وادي حنيفة أيضاً وبعض الأودية الأخرى ، كما يتمثل احتياطي المدينة من المياه في المستقبل — بعد ١٩٨٠ م — في تكوينات « المنجور » في منخفض **ديراب** غرباً ، ومن مياه طبقات **بياضة والوسيع** شرقاً .

ومن المؤكد أنه لولا ما أثمرت عنه الجهود من كشوفات مائية ، فإن نمواً بمثل هذا المعدل والاتجاهات ، لم يكن ليتم أصلاً ، أو على الأقل لم يكن ليحدث في صورته التي تجلى بها ، ومن الثابت — أيضاً — أن الكشوفات المائية في بداية الخمسينات وراء الطفرة العمرانية التي شهدتها المدينة منذ ذلك الحين ، وذلك بغض النظر من « البترول » باعتباره وراء كل ذلك ، ووراء الطفرة العمرانية ، كما هو وراء جهود البحث عن المياه أيضاً .

وتأتي التغيرات الوظيفية لمدينة الرياض ضمن أهم التغيرات التي تعرضت لها في مرحلة نموها المعاصرة ، وهي لا تعني مجرد انتهاء وظهور وظائف جديدة للمدينة ، بما يقتضيه ذلك من مباني وشوارع ومواصلات وخدمات ، ومرافق ومستلزمات عديدة متنوعة ، كما أنها أيضاً ليست — فقط — مجرد تغير في مقياس المدينة بأبعادها ، بل هي — فوق ذلك — تشمل تغير **البنية الاجتماعية والسكانية للمدينة** ، بما يعنيه ذلك من تنوع مطالب الأفراد وارتفاع مستواها ، ومن زيادة قدرة المدينة — وظيفياً — على استيعاب تيارات الهجرة والعمالة السعودية وغير السعودية ، ومن اشتداد الضغط على موارد موضعها الطبيعية ، وتعرض ايكولوجيتها العامة والخاصة لتغيرات شتى .

جـ – السياسة المائية العامة

تهدف السياسة المائية العامة لمنطقة كبيرة أو لدولة إلى وضع البرامج الكفيلة باستغلال الموارد المائية الحالية والمحتملة، وتوزيعها على قنوات استغلالها، والتقليل من حجم الفاقد ومنع تلوثها، وإعادة استغلالها، ورفع نوعيتها، وزيادة فاعلية استثمارها، وتوجيه الجهود والميزانيات نحو البحث عن موارد مائية جديدة، وتشرف **وزارة الزراعة والمياه** (أنشئت سنة ١٩٥٤م)، على وضع هذه السياسة وتنفيذها، وتتضمن مصلحة المياه بها قسم للخدمات تتحدد مسؤوليته في توفير البرامج اللازمة لتدبير المياه للمدن والمراكز العمرانية الأخرى، ويتبع هذا القسم إدارات للمياه في المدن الرئيسية، وقد واجهت السياسة المائية العامة في المملكة مشكلة النقص الخطير في المعلومات اللازمة، سواء بالنسبة لمرحلة البحث أو لمرحلة الاستغلال، وقد أعاق هذا النقص من وضع خطة قومية للمياه حتى سنة ١٩٦٥م، ففي هذه السنة عهد إلى مجموعة من الشركات بدراسة الإمكانات المائية في مناطق المملكة المختلفة، وقد كشفت الدراسات الواسعة المكثفة عن وجود عدد من الطبقات الجيولوجية الحاوية لكميات ضخمة من المياه العميقة، وتداعت عن هذه الاكتشافات مجموعة من الأسئلة، كانت في جملتها ايكولوجية، وتتلخص في سؤال من مرحلتين:

إلى أي مدى يمكن لهذه الكميات الضخمة من المياه أن تكفي النمو العمراني المعاصر في المملكة؟

وإلى أي مدى يتم تعويضها وتجددها في ظروف المناخ الراهنة؟

ويلخص السؤالان الوضع العام للموارد المائية في المملكة في صلتها بالاستهلاك وبالتجدد معاً، وداخل هذا الوضع العام، كان على مدينة «الرياض» أن تواجه مشكلتها الخاصة مع مواردها المائية، وتواجه برامج إدارة المياه في مدينة الرياض بمجموعة من المشاكل التفصيلية المتصلة بكفايتها وتلوثها وتبددها وتكاليفها، **وإذا كانت الدراسات قد كشفت عن المزيد من الخزانات الجوفية الغنية في منطقتها، تلك التي يمكن أن تكفيها حتى سنة ٢٠٠٠م، فإن الحل الاستراتيجي لمشكلة كفاية المياه في مدينة الرياض، خصوصاً إذا ما ازداد وزن الوظيفة الصناعية الشرهة للمياه في تركيبها الاقتصادي، إنما يتبدى في مشروع الأنابيب الذي يصلها بمحطات تحلية المياه على الخليج في الجبيل والخفجي وغيرهما**، كذلك تتجه مشروعات المياه الحديثة في المدينة إلى مواجهة مشكلة التلوث من مياه المجاري، وإلى رفع نوعية المياه، والتقليل من نسبة المهدر بسبب الإسراف وسوء الاستخدام، وربط مشروعات المياه بمحطات الطاقة لإنقاص التكلفة العامة لكليهما، ورغم ذلك يظل على مدينة الرياض تحقيق أمرين هما بمثابة ركيزتي ايكولوجيتها وأساسي استمرار بقائها كمدينة صحراوية ضخمة، أما **الأمر الأول** فيتصل مع إنشاء قاعدتها الاقتصادية الصناعية، وتنويع مصادر دخلها، كي لا تظل تدور في فلك البترول القابل للنضوب، أما **الأمر الثاني**: فيترابط مع وضع البرامج المائية البعيدة المدى، بحيث لا تصبح مشكلة المياه مطروحة أمام مستقبلها كل حين.

المراجع

1- Abu El Hagag. Y. Remarks on the artesian water of Najd-Saudi Arabia. Ain shams-Univ. Press. 1963.

2- Bul chian. W. G. N. «Water and national economy». The River Baard's association Year book. 4. 28 (1956).

3- Baumont. R. «Desalination Projects in Saudi Arabia». Financial Times. London. 12 Jan. 1976.

4- «Water and development in Saudi Arabia». The Geog. Jour. Vol. 143. March. 1977. (PP. 42-60).

5- Burdon. D. J. «Ground water resources of Saudi Arabia (Ground water resources in Arab Countries. ALESCO. Science monograph. No. 2. 1968.

6- Gregory. S. «Water resources exploitation-Policies and Problems». Geography. 49. 311-314 (1964).

7- John. A. Dawson. John. C. Doornkamp (eds) «Evaluating the human environment». essays in applied Geography». Edward Arnold. London. 1973.

8- Miller. A. A. «The use and misuse of Climatic resources. Advancement of Science. 13. 56-66.

9- Paul. R. Ehrilich (and others) «Human Ecology». Problems and Solutions. San Francisco. 1973.

10- Robert Arvill «Man and enviranment. Crises and the strategy of choice». Pergamon Books. London. 1969.

11- White. G. F. «The Choice of use in resource management». Natural resources Jour. 1-23-40.

أم الصبيان صياد (*)

شعر : القاسم بن علي الوزير

(١)

من أي مغارات الأحزان الخرساء أطلعك الليل ؟ . .
ولماذا صوتك مبحوح . . مجروح . . ؟ يأكله الأعياء فلا يبلغ سمعي
غير صداه المتهاوي
يتدلى بحبال من صمت !! . .
ولماذا تأتين إلي . . ؟ أنا من لا يملك في البستان . . سوى الأحزان !!
أشجاري ملأى بثمار ناضجة للقطف .
من يقطف ثمر الحزن . . ؟
تفاحاً . .
عنباً
رماناً
شيئاً آخر . .
أشجاري مثقلة بالأثمار



فمن يقطف ؟ .
هل يوماً جربت مذاق الأحزان ، ونكهتها ؟ تؤخذ فاكهة . .
تقطف . . تؤكل
تحت الظل . . !

(٢)

أو متخمة انت؟
ماذا تبغين إذاً مني . .
ورداً . .
ريحاناً . .
زهراً . . من أزهار البرية ؟؟
بستاني ملآن . .
بزهور الأحزان . .
أجني ما شئت . . خذي ما شئت . . هنا نبع العصر
إن كانت تنقصك الأحزان فعندي فرح الأحزان . .
يا شبحاً . . لا أعرف كيف طلعت . .
من أين أتيت؟ وإلى أين تسير بنا الأقدام . . ؟

(٣)

ضحكت هازئة . . نشرت أثداء أربعة فوق الأكتاف .
أم الصبيان . . ؟ صياد . .
صرخت في وجهي غاضبة . . هل سلّمت؟ . .
لا لم ألق سلاماً قلت !! .
فتحت فمها كي تطرحني بين الأضراس . .
تطحنني . . تأكلني . . تخلط لحمي وعظامي وتولي هاربة في كنف الليل . .
طعمي مر . .
ومذاقي مر . .
لفظتني . . بصقت بي في وجه الليل . .
ولّت هاربة تلعن ، في صخب ، طعم الأحزان . .
. . وطواها الليل . .

* أسطورة يمنية من أقاصيص الرعب والخوف والطاغوتية العبثية ، تحكي أن في شعاب الجبل امرأة لها منظرٌ مرعب ، فهي ناشرة شعرها الأغبر كدوامة غبار في صحراء قاحلة يتطاير الشرر من عينيها ، وتلتحف أثداءها الأربعة وتطحن ضحاياها بين أضراسها الرهيبة ! دونما مبرر !!!

تأليف :
أ. د. محمد أشرف منّان
ترجمة وعرض :
د. الصفصافي أحمد المرسي

رحلة في كتاب



الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق

يواجه العالم الإسلامي الآن، تحديات لا حصر لها، وتُشن ضده الحملات الشرسة، على جميع الجبهات. وقد حاول العالم الغربي أن يبتلع مجتمعنا الإسلامي بما يقدمه من أشكال وأنماط اقتصادية متعددة، كما سعى ويسعى إلى طحن البلدان الإسلامية النامية، والفقيرة، تحت وطأة الديون، والقروض، سواء أكان منها طويل الأمد أو قصيرها. ويحاول النظام المالي الشيوعي منه والرأسمالي أن يُجَرِّد العالم الإسلامي من كل مقوماته الاقتصادية، كما تحاول هذه القوى الشرسة أن تُجَرِّد الفكر الإسلامي من كل أسسه ودعائمه؛ ولم يكن الاقتصاد بعيداً عن هذه الحملات، لكن علماء المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي، أو معقودي اللسان، أو جامدي الفكر، بل أمْعَنُوا التفكير في مجال الاقتصاد الإسلامي لكي يستخرجوا الأسس والركائز للرد على تلك النظم النهمة الشرسة.

إن الفوائد الباهظة والربا الفاحش هما المسؤولان عن تراكم المساوئ الاجتماعية والاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات، وهذه حقيقة مؤكدة، ومتوطنة في معظم المجتمعات، سواء المتطور منها أو المتخلف، وهما ـ أي الفوائد والربا ـ اللذان يساعدان على التجمد الاقتصادي؛ كما أنهما سبب الأزمات الطاحنة التي وَلَجَت إلى المجتمعات النامية دون مخرج.

إن الربا والفوائد الربوية التي تقدم تحت دعوى المساعدة الاقتصادية أو التعاون الاقتصادي هما اللذان تعاونا على خلق الإنسان الأناني.

وقد تصدى **الأستاذ الدكتور محمد أشرف منّان الباكستاني وأستاذ الاقتصاد في كليتي الاقتصاد بجامعتي قراچي Karaci = كراتشي والپانجاب «Pencap» بباكستان** للرد على هذه الحملة الشرسة في كتابه : **«الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق»**.

Islamic Economics Teory and Practice

والأستاذ الدكتور منّان إلى جانب عمله الأكاديمي الذي وفر له الاضطلاع بالنظريات الاقتصادية شغل العديد من المناصب الأخرى، والتي كان آخرها مساعداً لوزير التخطيط، ومستشاراً لرئيس الجمهورية الباكستانية للتخطيط الاقتصادي. وهذا ما وفر له الجانب التطبيقي في كتابه القيِّم الذي طبعه في إسلام آباد في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٠ م.

كما أن للمؤلف كتاباً آخر هو **«مدخل الاقتصاد التخطيطي والتطبيقي في باكستان»** إلى جانب العديد من المقالات والأبحاث العلمية في الاقتصاد عامة والإسلام خاصة والتي تظهر له بين الحين والآخر في المجلات والدوريات المحلية والعالمية المتخصصة. والمؤلف عضو

بارز في «**مركز الخدمات العليا في باكستان**» الشقيقة؛ كل هذه العوامل والممارسات أهلته لكي يُقدم إلى العالم الإسلامي خلاصة فكره وتجاربه ويضع كتابه «الاقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق» باللغة الإنجليزية، وما إن رأى الكتاب النور حتى تلقفته الأيدي المسلمة في تركيا بالترجمة والتعليق؛ فظهرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م، والثانية سنة ١٩٧٥م، والثالثة وهي التي بين أيدينا سنة ١٩٧٦م. وقد قام بترجمة الكتاب إلى التركية كل من باهري زنكين «Bahri Zengin» وتوفيق عمر أوغلي «Tevfik ömeroğlu» وتولت «نشريات الفكر» طبعه في اسطنبول.. وهذا الكتاب نعرضه من اللغة التركية.

يقع الكتاب الذي بين أيدينا في (٥٢٨) صفحة من القطع المتوسط، باللغة التركية الحديثة التي أُقِرَّت في تركيا سنة ١٩٢٨م، مقسم على خمسة عشر قسماً عدا مقدمتين إحداهما للمؤلف والأخرى تقديم من **الأستاذ الدكتور شارلز. س. تبسون أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد بجامعة كاليفورنيا الأمريكية.**

وقد بدأ المؤلف القسم الأول بالآية الكريمة ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾ (سورة الجمعة، الآية ١٠).

ثم تبعها بكلمة للرئيس **محمد علي جناح** مؤسس باكستان الإسلامية في الأول من يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨م، في حفل افتتاح بنك الدولة الباكستاني، حيث قال: «**إن التطبيق الحرفي لنظريات الاقتصاد الغربي لن يساعدنا على الإطلاق في الوصول إلى أهدافنا، ألا، وهي تأسيس مجتمع سليم وسعيد؛ إننا مضطرون إلى العمل والاجتهاد لتقديم نظام اقتصادي جديد مبني على مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية الإسلامية، وبهذا نكون قد قدمنا للبشرية رسالة السلام التي تضمن لها رفاهيتها وسعادتها.. ونكون قد قمنا بواجبنا كمسلمين**».

تعريفات اقتصادية

ثم ينتقل المؤلف إلى التعريف بعلم الاقتصاد الحديث والفرق بينه وبين الاقتصاد الإسلامي حيث يقول:

«**.. علم الاقتصاد الإسلامي.. هو العلم الذي يدرس المشكلات الاقتصادية للمجتمع الذي تسوده المبادئ والقيم الإسلامية، ومن هذا المنطلق، فهو يختلف عن المفاهيم الاقتصادية المطروحة هذه الأيام**. فالاقتصاد المعاصر يُعرِّف علم أنه «العلم الذي يدرس الإنسان في حياته العملية»، والأستاذ الدكتور روبنسون يُعرِّف علم الاقتصاد على أنه «العلم الذي يدرس التصرفات الإنسانية فيما بين العلاقة بين المادة الخام والأهداف وفوارق التطبيق» وهذا التعريف قابل للمناقشة من وجهة نظر الدكتور منّان، فهو يقول.. بناءً على هذا التعريف، فعلم الاقتصاد إذن هو العلم الذي اتخذ من الإنسان الذي يعيش وسط مجتمع ما مجالا لدراسته، وقد احتل مكانه بين العلوم الاجتماعية، ومما لا شك فيه، أن علم الاقتصاد الإسلامي أيضاً هو جزء من العلوم الاجتماعية، وبتعبير أدق هو علم اجتماعي لا يتناول كل فرد على حدة وبشكل مجرد، إنما يتناول الإنسان وسط محيطه الاجتماعي الذي يعيش على هدي المبادئ الإسلامية.

إن الاقتصاد الحديث يتناول مشاكل الإنسان وعلاقاته بالمادة «النقود». وفي الحقيقة، إن علماء الاقتصاد الذين يُوقفون نشاطهم على دراسة علاقة الإنسان بالمال من ناحية كسبه وجمعه؛ إدخاره أو صرفه يتزايدون يوماً بعد يوم، وأنهم كأجدادهم الكلاسيكيين يدرسون الاقتصاد على أنه وحدة من وحدات المال وتحركاتها، وليس من السهل عليهم تخطي ذلك. وأهم مشكلات الأسس الاقتصادية معتمدة على الحقيقة التالية: للإنسان مطالب واحتياجات وما لم يَصْرِف جهداً يوازي هذه المطالب والاحتياجات ــ داخل نشاطنا المحدود ــ فإنه لن يتمكن من مجابهة هذه الاحتياجات، ولن يُشبع رغباته، ولو أن هناك منابع ومصادر ــ غير محدودة ــ تستطيع أن تغطي كل احتياجاتنا لما ظهرت إلى الوجود مشاكل اقتصادية. ومن وجهة نظر المنابع والمصادر الطبيعية، فليس هناك فرق بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر، وإن كانت هناك أية فروق فهي تكمن في حجم وطبيعة كل منها.

أما الفارق الأساسي والجوهري بين نظامي الاقتصاد ــ الإسلامي والمعاصر ــ فتمركزة في تناول الحلول للمشاكل المثارة، وأن محدودية المصادر هي التي تولد المشاكل، وكلما كانت الفجوة شاسعة بين المطالب والمنابع والجهد، كانت ضخامة المشكلة، وأن النشاط الاقتصادي الإنساني كله عبارة عن محاولة التقريب بين المطالب والإمكانات المتاحة، وترتيب هذه المطالب حسب أولوياتها الحياتية».

هكذا يعرض علينا الدكتور منّان الفوارق بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الحديث، متابعاً كلامه على النحو التالي:

«لما كان صراع الإنسان بين مطالبه والإمكانات المتاحة يحتم عليه



★ محمد علي جناح ★



★ الطوسي ★

عمل ترتيب بالأولويات ؛ ففي الاقتصاد الحديث يُرتِّب الإنسان أولويات مطالبه حسب نزعاته وأطماعه وأنانيته هو ، دون أن يضع في الاعتبار أوضاع المجتمع الذي يعيش فيه ، ولكن في الاقتصاد الإسلامي لا يستطيع المواطن أن يبدد مصادره حسب أهوائه هو إنما يُصرِّفها حسب الحدود والشرائع التي حددها القرآن والسنّة . ولو وُزعت المصادر والإمكانات الطبيعية المتاحة وفقاً للأنظمة التي تضع القرآن والسنّة في الاعتبار ، لتحققت الرفاهية الاجتماعية للجميع دون الإضرار بأي فرد من أفراد المجتمع . . لأن الإسلام ضد احتكار البعض للموارد الاقتصادية الطبيعية ، ويحض على الإنفاق الذي يؤمن الفوائد الاجتماعية : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** ﴾ (سورة فاطر ، الآيتان ٢٩ ــ ٣٠) .

وإذا كان الإسلام يهجو البخل والبخلاء والمقترين ، لما في ذلك من إضرار بالثروة العامة وإمساك لها عن القيام بالدور الاجتماعي المنشود ، فإنه أيضاً يحض على عدم الإسراف والتبذير لما في ذلك من إهدار للثروة العامة وتعطيل لها عن القيام بدورها الفعال في تنمية المجتمع : ﴿ **كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٤١) . ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً** ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٢٦) . ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٢٩) .

وتثبيت حق الانتفاع من المال لفئة من الناس واستخراجه من أيدي المتصرفين فيه عن رضا وبدافع التعبد ابتغاء مرضاة الله ، وتوزيعه على أصحاب الحق دون منٍّ أو أذى ، يدخل في أسس علم الاقتصاد وهذا التحديد لمعنى الاقتصاد فيما بين الإسراف والتقتير مع التحذير منهما تحذيراً شديداً ، ومع الحرص على توزيع الثروات وتداولها ، وتعيين أصحاب الحقوق في هذا التوزيع والتداول ، يعطينا فكرة واضحة عما يرمي إليه الإسلام من التوجيه الاقتصادي السليم ، ويكشف عن سبقه في هذا المضمار لجميع النظريات الاقتصادية القديمة والحديثة » .

ثم يعرج المؤلف إلى موقف العلماء المسلمين ــ **كالطوسي** (١٢٠١ ــ ١٢٧٤ م) **وابن خلدون** (١٣٢٢ ــ ١٤٠٦ م) **والإمام أبي يوسف ، ويحيى بن آدم ، والحريري** ــ من علم الاقتصاد ، ويؤكد المؤلف أن ابن خلدون يعتبر أول من اكتشف العلاقة المتبادلة والتعاون الوثيق بين المؤثرات السياسية والثقافية والأخلاق الاجتماعية من جانب والاقتصاد من جانب آخر ، وأن علماء المسلمين هؤلاء ــ وغيرهم ــ كانوا روّاداً لعلماء الاقتصاد الكلاسيكيين .

خصائص الاقتصاد الإسلامي

وإذا ما انتقلنا إلى **الفصل الثاني** الذي يتناول « **الشريعة الإسلامية والقوانين الاقتصادية** » نجد أن المؤلف يبدأ هذا الفصل أيضاً بآيات من القرآن الكريم :

﴿ **حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم** ﴾ (سورة الدخان ، الآيات ١ ــ ٦) .

ثم بكلمة لـ « **جبون** » « Gibbon » يقارن فيها بين الإسلام والأديان الأخرى ، حيث يقول :

« **إن الدين الذي أتى به محمد أنق وأشف من نظام زرادشت ، وأرحم مما جاء به موسى ، وأكثر معقولية وانسجاماً من المعتقدات السرية والباطلة أحياناً التي احتوتها تفاسير الإنجيل في القرن السابع** ، « جبون : تدهور وانهيار الإمبراطورية الرومانية » .

وهذا الفصل الذي يحتوي على عشرين صفحة من الكتاب ، يتناول طبيعة القوانين الاقتصادية والشريعة الإسلامية في ميدان الاقتصاد وحركية القوانين الإسلامية ، وأن القرآن هو مصدر القوانين وبه كثير من الآيات التي تحدد الأطر الأساسية لعلم الاقتصاد . وتركت الشريعة التفصيلات للسنّة والإجماع ، ومن ثم للاجتهاد في التطبيق ، بحسب المصالح الزمنية والمكانية ، إلا قليلاً من الأحكام تناولتها بالتفصيل ، كأحكام الميراث وبعض العقوبات .

وبذلك فقد أتاحت هذه الشريعة من المرونة لأحكامها ما يتسع لتجدد الحوادث وتشابك المعاملات ، وما دامت هذه المرونة تُحد بحدود الشرع الإسلامي ، فإن الأحكام تتجدد وتتسع بتجدد الحوادث واتساعها .

والاقتصاد الإسلامي ، موجه ومقيد بالتعاليم الإسلامية التي تضبط شؤون المسلم في كل مجالاته الحيوية . فالإسلام لا يجعل من الاقتصاد طريقاً للتمييز بين الطبقات ، ولا يدعو إلى استغلال ثروات الأمة ومواردها في سبيل تحطيم هذه الطبقات ، ولا يجعل من المنافسة الاقتصادية وسيلة لطغيان طبقة من الأمة على طبقة أخرى ، ولا أن يستأثر فرد أو شركة بخيرات هذه الأمة ، ويحتكرها لمنفعته ويحرم منها الآخرين ، وإنما الاقتصاد في الإسلام توازن بين مصالح الفرد والجماعة لتأمين ما يحتاج إليه الناس في أمورهم المعاشية ، دون أن يطغى أحد على أحد أو يستغل أحد جهود الآخر . وإنما هو العدل في الموازين ، والاستقامة في السلوك ، والصدق في المعاملة ، والأمانة في الأداء ، والجودة والاتقان في الإنتاج ، والسلامة في النتائج .

والاقتصاد في الإسلام تحكمه النظرة الأخلاقية قبل أن تحكمه النظرة المادية ، ولا يمكن أن نفصل الاقتصاد الإسلامي عن ضوابطه الأخلاقية لأنه بذلك لا يكون إسلامياً ، وإن من مقومات هذا الاقتصاد أنه أخلاقي وإنساني . . وإن المسائل الاقتصادية تتميز بالطابع العلمي الذي توصلت إليه كل دولة من الدول ، فالعلوم الاقتصادية شيء والأسس والخصائص التي يُبنى عليها الاقتصاد شيء آخر ، لأن هذه العلوم الاقتصادية التي جاءت حصيلة أزمات متعاقبة ، قد يأتي عليها زمان تعتبر فيه جزءً من تاريخ علم الاقتصاد لاحتمال وصول الإنسان إلى ما هو أصلح منها .

أما **الخصائص الإسلامية** التي نحن بصددها فهي ركائز ودعائم ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع تبديل الأزمان . ولا يمكن أن نحسبها نظريات خاضعة للبحث والمناقشة والبطلان .

وعلى هذا تكون خصائص الاقتصاد الإسلامي مستمدة من المفاهيم الإسلامية وقائمة عليها وتختلف عن خصائص الاقتصاد عند غيرنا من الأمم .

المذاهب الاقتصادية

ثم ينتقل المؤلف في **الفصل الثالث** : إلى الحديث عن **المذاهب الاقتصادية** الأخرى بعد أن يقدم لهذا الفصل أيضاً ببعض آي الذكر الحكيم : **﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾** (سورة الدخان ، الآيتان ٤ ــ ٥) ، وحديث شريف يدعو إلى المساواة بين بني البشر .

إن علم الاقتصاد الحديث لم ينشأ وتتركز مفاهيمه وأصوله إلا بعد أن اتسعت رقعة التعامل بين البشر ، وفرضت الوقائع الاقتصادية نفسها على المفكرين ورجال السياسة والمال ، كي يستنبطوا من هذه الوقائع ما يؤدي إلى تنمية مردودها وتحسين وإيجاد أيسر السبل لحسن الاستفادة منها بما أمكن من قلة النفقات ، وكان لظهور الاستعمار آثاره في نشوء آراء عدة للمحافظة على الموارد الطبيعية الهائلة التي وقعت بين أيدي المستعمرين .

وكانت أول جولات د . منّان مع **الرأسمالية** « Kapitalizm » أو المذهب الحر . . ويعرض لها ولروّادها الأوائل ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أهم أسسها ألا وهو الاعتماد على استقلالية المستهلك ، وحرية اختيار المهنة ، والتشبث الذاتي ، وحرية رأس المال ، والاعتمادات المالية والمنافسة التي تُعد العامل الأساسي في تطور الاقتصاد الحر المبني على الحافز الشخصي .

ثم ينتقل الكتاب إلى الحديث عن **الاشتراكية** ، التي ظهرت كرد فعل للرأسمالية أو لمحاربة الحرية الاقتصادية واضعة الخدمة الاجتماعية في مكان أسمى من المكسب المادي الذي يُعد القوة الدافعة في الرأسمالية . ويشير د . منّان إلى رأي **هـ . د . ديكنسون** الذي يعتبر « أنه ليس هناك أي رابطة بين الجهد الذي يبذله العامل وبين النقود التي يتقاضاها بل يجب قياس ذلك داخل نطاق الدخل العام » ، وأن القطاع العام هو أساس وعُمدة الاقتصاد الاشتراكي الذي تنعدم فيه روح المنافسة ، ويقلل من قيمة الحافز الشخصي في الإنتاج .

ويركز المؤلف على وضع الأسرة في النظام الاشتراكي وكذّب المزاعم التي تذهب إلى أنه لا مكان للأسرة في هذا النظام ، ولكنه يؤكد على أنه نظام ديكتاتوري ، قبل أن يكون له برنامج اجتماعي واضح .

ثم يعرج إلى **النظام الشيوعي الشمولي** ، وعلى دعوى **ماركس** « أن النظام الرأسمالي لا بد له من الانهيار ، ويعلل رأيه هذا بوجود التناقض بين نظامي الإنتاج والملكية ، أي أن الإنتاج يقوم به العمال ولا حق لهم في الملكية ، ولا بد أن يستمر الصراع بين العمال وأرباب العمل ، حتى يتلاءم نظام الملكية مع نظام الإنتاج ، فتصبح الملكية

جماعية ، وينادي ماركس باستعمال العنف للوصول إلى هذه النتيجة .

ويطلق كارل ماركس على مذهبه « **الاشتراكية العلمية** » تمييزاً لها عن سائر الاشتراكيات . وتعتبر الشيوعية من وجهة نظر الفلاسفة مرحلة متطورة جداً بالقياس إلى الاشتراكية .

وبعد سرد كامل لكل جوانب الشيوعية بما لها وما عليها يعرض علينا المؤلف برنامج آخر له مكانته بين الاقتصاديين ، ألا وهو **النظام الفاشستي** ، ويعرفه لنا الدكتور منّان ويشرح علاقاته بالنظم الأخرى ، وأوجه الخلاف والتلاقي مع الشيوعية ، والرأسمالية والاشتراكية ، حتى يصل بنا إلى ضرورة وجود نظام جديد يحل كل هذه المتناقضات ، نظام اقتصادي يعتمد على الأخلاق المثالية ونظام الحياة التطبيقية ، وكان ذلك هو نظام الاقتصاد الإسلامي .

الإنتاج والاستهلاك في الإسلام

واستكمالا للجانب النظري ينتقل المؤلف إلى الإنتاج والاستهلاك في الإسلام ، وهو كعادته يبدأ هذا الجزء أيضاً بآيات من القرآن الكريم عدا الاستشهادات الكثيرة والمتنوعة من القرآن والسنّة وكتب الفقه التي تدعم وجهة النظر أو الأطروحة التي يطرحها ؛ فيبدأ من حيث يجب أن ينتهي ، فيركز على **الاستهلاك** باعتباره هو المطمح وهو الدافع للإنتاج ، وما يسعى إليه أي منتج من تحسين إنتاجه ، إنما هو كسب رضاء المستهلك ، ولذلك يضع له ضوابطه الأخلاقية في خمسة نقاط ، هي الصدق والطهارة والأخاء والإحسان والتقوى : ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٦٨) .

ثم ينتقل المؤلف إلى ترتيب أولويات الرغبات البشرية من وجهة نظر الإسلام ، فيرى أنها تنضوي تحت ثلاثة مطالب رئيسية ؛ الضرورية ثم مطالب توفر الراحة في المعيشة ، ثم مطالب الرفاهية ، والإسلام لا يعارض الرفاهية الفردية أو يمانع في التمتع بمنتجات الرفاهية ، وإنما يربطها بالوضع الاقتصادي في الوطن ، ومدى توفير الضمان والتضامن الاجتماعي لأفراد المجتمع .

أما عوامل الإنتاج فيضع الدكتور منّان **العنصر البشري** بسعادته وكثافته وصحته على رأس العوامل اللازمة للإنتاج ، وأن الدين يحرم تعطيلها ، ثم ينتقل إلى **الأرض** كعنصر من عناصر الإنتاج وحق استغلالها وموقف القرآن من هذا الاستغلال ، والنظام الذي طبقه **عمر ابن الخطاب** كنموذج لتطبيق عنصر من عناصر الاقتصاد الإسلامي ، ومكانة رأس المال في عملية البناء الاجتماعي ، والعلاقة بين المال والجهد في الوقت الحاضر كعنصر تطبيقي ، وموقف فقهاء الإسلام من هذا التطبيق .

ولكن ما موقف الاقتصاد الإسلامي من الدخل وتوزيع الثروة والأجر والأجير والإيجار في الإسلام ؟ .

ويرى المؤلف أن **مصارف توزيع الثروة** تنحصر في الزكاة والصدقات ، والكفارات والقرض الحسن ، والوصية والميراث وإنفاق الغنائم .

وإذا كان الإسلام يحض على الإنفاق ويحببه إلى نفوس المسلمين : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٦١) .

فهو يُنفّر من **الربا** ، ويجعل من بيت المال عوناً للغارمين الذين أثقلتهم الديون ، ولم يجدوا ما يوفونها به ، وعلى هذا ، فإن مفهوم القرض الحسن ، يوجب على الدولة أن تؤمن من الأموال العامة ما يحقق تيسير وفاء الديون عن الغارمين وغير القادرين .

ولم يترك الإسلام مالية الإنسان بعد وفاته دون تنظيم ، بل أوجد **نظام الإرث** ، وجعل انتقال الأموال من المورث إلى الورثة فرضاً لازماً حسب أصول فقهية لا تجعله سبباً في الطبقية أو التدرج الرأسمالي ، ولا يصح التوريث إلا من بعد وصية يوصى بها أو دين وبيّن من هم الورثة .

ويعتبر نظام الإرث في الإسلام فريداً في نوعه ، ولا مثيل له من حيث دقة توزيعه ؛ فهو يقسم التركة بين الورثة ، ولا يحصرها في يد واحدة أو في أيد قليلة ، خلافاً لما نجده عند بعض الأمم الأوروبية التي تدعي التقدم .

ولما كان الإسلام دين دنيا وآخرة ، يدعو الإنسان إلى العمل لدنياه قدر عمله لآخرته ، ويحض الإنسان على السعي بنفس الدرجة التي يحضه بها على العبادة ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض . . .** ﴾ **والتجارة في نظر الإسلام حرة ؛ مقيدة بالعوامل الأخلاقية فقط ، برفض الاحتكار أو الغش في التجارة ، ولا يقل دعم الإسلام للتجارة الخارجية عن دعمه للتجارة الداخلية .**

ويضع المؤلف سبعة عناصر أساسية للتجارة التي تُعد جانباً مهماً من

جوانب الاقتصاد . ثم يستعرض خلال بحثه لهذه العناصر دور المسلمين في **الأندلس** في تأصيل المبادئ القانونية للتبادل التجاري بين الأمم وكيف أنهم ألّفوا في هذا المضمار . وبينما كان الأوروبيون يعيشون في ظلام دامس إبان منتصف القرن الثامن الميلادي كانت قوافل التجارة الإسلامية تصل ما بين الهند والصين وسواحل إفريقية ومدغشقر وتطبق تلك القوانين في معاملاتها التجارية . ويأتي بالأدلة والمراجع التي تبيّن أن **عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع أسس الضرائب الجمركية ورسم الدخول سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية .**

وإذا كان الإسلام يحل البيع والشراء ويحرم الربا ، فإن الله سبحانه يمحق الربا ويربي الصدقات ، ثم ينتقل المؤلف إلى موضوع آخر مرتبط بهذا ألا وهو موضوع **الأسعار في الدولة الإسلامية** وعوامل تحديدها .

وفي الفصول الستة الأخيرة من الكتاب يتناول المؤلف **الناحية التطبيقية للاقتصاد الإسلامي** ، ويعتبر النظام المصرفي الإسلامي نموذجاً فريداً سينقذ البشر من فواحش الربا ، وما يمكن أن يأتي على الدول النامية من دمار وكساد . . بل يرى المؤلف أن نظرية الزكاة والمضاربة الإسلامية هما اللذان يؤمنان ميكانيزمية « حركية » النظام المصرفي في الإسلام ، وأن هذه الحركية تعتمد أيضاً على نظام المشاركة لا الفائدة ، وكما أن البنوك الإسلامية لا تعطي فوائد ثابتة للمودعين فإنها لا تأخذ فوائد من المدينين ، بل كلاهما سواء المودع أو المستقرض شركاء البنك في أعماله ومشاريعه . . . **والبنوك الإسلامية** تستطيع أن تشارك وتمول مشروعات صناعية وتجارية وزراعية يكون أساسها التعامل المشترك فيما يأتي من مردود عن تلك المشروعات ، وتعود بالفائدة المشروعة على أصحاب المودوعات الذين قبلوا توظيف ودائعهم على أساس المشاركة . ويشيد المؤلف بالتجربة التي أقيمت في دلتا مصر وفي مدينة ميت غمر على وجه الخصوص ، خاصة وأنها من أولى المحاولات التي بذلت في مجال إنشاء بنوك بالجهود الذاتية بدون فوائد بل على نظام المشاركة . في منتصف الستينات من هذا القرن ، تم مشروع بنك ناصر الاجتماعي الذي يقرض بدون فوائد بل بالمشاركة في المشروعات المقدمة من محدودي الدخل ، وقد أثبتت ميزانياته المعلنة نجاح الفكرة نجاحاً يدعو إلى تطبيق الفكرة في بلدان إسلامية أخرى . . وأن النظام البنكي الإسلامي الذي قامت عليه بعض المصارف الإسلامية يركز على الصناعة حتى وإن كانت احتمالات الخسارة قائمة ، لكنه على أي حال يسمو بنفسه عن الدخول في مهالك الفوائد الربوية وما يمكن أن تجنيه المجتمعات من مضار .

ويعود المؤلف إلى **بيت المال** والإشادة به ليس من الناحية المادية فقط بل أيضاً من ناحية مشاركة الجميع في ملكية بيت مال المسلمين وفي تأمين موارده .

وينطلق إلى دعوة العالم الإسلامي إلى إنشاء البنك الإسلامي العالمي ، وبنك التنمية الإسلامي ، والصناديق المتخصصة في دعم المشاريع المتنوعة ، ويعدد العوامل الإيجابية التي تدعو إلى الإسراع في إنشاء وتكوين مثل هذه البنوك ، خاصة أن العالم الإسلامي يملك التمويل وموارد الإنتاج ومنافذ التصريف والأسواق التي تجعلها تصمد أمام المنافسة العالمية . . ويتمنى لو أن فكرة **السوق الإسلامي المشترك** ترى النور قريباً .

دولة الرفاهية

ثم يختم المؤلف كتابه بمقارنة طريفة بين وجهة نظر الاقتصاد المعاصر حول دولة الرفاهية وموقف الإسلام من هذه الدولة . . فإذا كان الاقتصاد المعاصر يعتمد في نظرته على المكسب المادي فقط ومقياسه هو ما يملكه الفرد والمجتمع من إمكانات مادية ، نرى أن نظرة الإسلام أشمل من ذلك بكثير ؛ **فدولة الرفاهية في الإسلام تهدف إلى رفاهية الفرد في كل مناحي الحياة ، وما الرفاهية الاقتصادية إلا جزء مكمل للرفاهية العامة ، وإذا كان القرآن الكريم يساوي ويوحد بين الزكاة والصلاة ، فدولة الرفاهية في الإسلام تساوي بين الرفاهية المادية والمعنوية ، وتوحد بين المؤسسات الاقتصادية الدنيوية والأخرى الدينية الأخروية .**

وأخيراً نوجز القول إن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد عريق في تاريخه ، أصيل في ذاته ، مستقل في تعاليمه ، فريد في حقيقته ، نسيج وحده ، لأنه تشريع ، أو بالأحرى ، اقتصاد يقوم على تشريع رباني ، لا يأتيه الباطل ، من بين يديه ، ولا من خلفه .

المفردات الشائعة في اللغة العربية

إعداد: د. داود عطية عبده
عرض: د. علي القاسمي

يقول الأستاذ هاينز أولر مؤلف معجم (الألمانية الأساسية) الذي تستخدمه معاهد غوته في برامجها الخاصة بتعليم اللغة الألمانية لغير الناطقين بها: «نعلم من البحوث التي أجريت في شيوع الكلمات المستعملة الحقائق الآتية: إن أكثر من ٨٠٪ من المفردات التي ترد في نصوص اعتيادية هي من بين الكلمات الألف الأساسية في اللغة، وإن من ٨ إلى ١٠٪ منها في الألف الثاني، وما يقارب ٤٪ منها في الألف الثالث، وإن ٢٪ منها في الألف الرابع وكذلك ٢٪ منها في الألف الخامس. وهكذا فإن الأربعة آلاف كلمة الأولى تشكل ما معدله ٩٥٪ من مفردات النصوص الاعتيادية والمحادثات، وإن الأربعة آلاف الثانية تشكل من ٢ إلى ٣٪، وإن الكلمات الأخرى لا تشكل أكثر من ١ إلى ٢٪»[1].

فإذا كانت هذه المعلومات الإحصائية صادقة أو قريبة من الصدق ـ وأحسبها كذلك ـ فإنها تبين لنا أهمية إعداد قوائم المفردات الشائعة من حيث الاستعانة بها في إعداد المواد التعليمية المتدرجة للقراءة والكتابة للصغار والكبار، وفي تصميم الاختبارات التصنيفية للراغبين في الانضمام إلى برامج تعليم الكبار، والاختبارات التقييمية، وفي تأليف الكتب الخاصة بتعليم اللغة لغير الناطقين بها، وكذلك في اختيار مداخل المعاجم عند تصنيفها. أما المؤلف الذي لا يستعين بقوائم المفردات الشائعة، ويعتمد كلياً على ذوقه وخبرته فحسب، فقد يضمّن مواده التعليمية قدراً كبيراً من المفردات التي لا تتناسب ومستوى المتعلمين وفهمهم وحاجاتهم. ومن جهة ثانية قد يغفل عن إدخال عدد من الكلمات التي يحتاجها هؤلاء المتعلمون.

● الناشر: الرياض ـ مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

قوائم المفردات وأنواعها

وفي أوائل هذا القرن تأثرت فلسفة تعليم القراءة بالنظرة الاجتماعية الوظيفية التي تدعو إلى تزويد الطفل بمفردات ذات قيمة وظيفية اجتماعية يستخدمها فعلاً فيما يقوله ويكتبه، فأدى ذلك إلى ازدياد الاهتمام بتصنيف قوائم المفردات الشائعة في اللغة الإنكليزية وغيرها من اللغات العالمية، واشتهر من هذه القوائم **قائمة ثورندايك** التي نشرها في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٢١م، ثم تكاثرت هذه القوائم وتعددت أصنافها، وتشعبت أغراضها.

وتنقسم هذه القوائم إلى نوعين رئيسيين هما القوائم الشاملة، والقوائم المتخصصة. وتهدف الأولى إلى تحديد المفردات الشائعة بلغة ما برمتها، بمقولها ومكتوبها في مختلف الميادين التي تستخدم فيها من علوم وآداب وفنون. أما القوائم المتخصصة فهي تختص بإحصاء تواتر الكلمات في لهجة معينة من لهجات اللغة أو قطاع معين فيها مثل لغة الأطفال أو لغة الصحافة، أو اللغة الطبية، وهكذا. وتقدم الكلمات في قوائم الشيوع بنوعيها مرتبة ترتيباً تنازلياً حسب تواتر كل كلمة، أو ترتيباً ألفبائياً، وإلى جانب كل كلمة عدد مرات ورودها، أو تقدم الكلمات بالترتيبين التنازلي والألفبائي معاً.

ولكي تتسم قائمة المفردات الشائعة بالدقة والصدق والثبات، ينبغي أن تكون العينة الأساس كافية شافية إحصائياً، أي أن لا تكون محدودة في عدد مفرداتها ونطاقها، وأن تتبنى جملة من القواعد السليمة التي تتبع في عد الكلمات، ومن أهم هذه القواعد **قاعدتا البعد الدلالي والعمق اللفظي.**

فقاعدة البعد الدلالي تؤكد ضرورة مراعاة تعدد المعاني للكلمة الواحدة بحيث تعد كلمة مستقلة في كل دلالة من دلالاتها إلا إذا كان المعنى مجازياً. فكلمة (زوج) بمعنى رجل وكلمة (زوج) بمعنى اثنين عدتا كلمتين مستقلتين.

أما قاعدة العمق اللفظي فتقرر أن كلمة اشتقت من الأصل بإضافة عدد معين من الحروف يختلف من لغة إلى أخرى عُدّت كلمة جديدة. فعلى الرغم من أن الكلمات (كتب) و(كاتب) و(مكتوب) و(كتاب) و(مكتب) و(مكتبة) اشتقت من أصل واحد بزيادة بعض الحروف، فإنها تعد كلمات مستقلة. وتتفرع من هاتين القاعدتين قواعد ثانوية ينبغي التنبه لها وتثبيتها عند الشروع في إعداد قائمة المفردات الشائعة.

وقوائم المفردات العربية الشائعة المنشورة قليلة في عددها، محدودة في نطاقها، قاصرة في أهدافها. فقد اعتمدت **قائمة بريل**[2] على إحصاء ١٣٦،٨٠٩ كلمات استيقت من جرائد عربية يومية كانت تصدر في مصر وفلسطين ولبنان والعراق، وهدفها مساعدة مؤلفي الكتب المدرسية على اختيار أكثر الكلمات تردداً.

واتخذت **قائمة عاقل**[3] مادتها من كتب الصفوف الابتدائية الثلاثة التي تلي الألفباء في سورية ولبنان وفلسطين والأردن والسعودية ومصر والعراق فأحصت ١٨٨،٠٨٨ كلمة، وهدفها تقديم عدد محدود من الكلمات يستطيع من يتقنها قراءة أكثر من ٩٠٪ من كتب القراءة في تلك الصفوف.

وتقتصر **قائمة بيلي**[٤] على إحصاء حوالي ٢٠٠,٠٠٠ كلمة وردت في صحيفتين صباحيتين وأخريين مسائيتين وثلاث مجلات أسبوعية تصدر في مصر وهدفها اختيار كلمات سهلة للتعليم الريفي في مصر.

وتعتمد **قائمة لطفي**[٥] على المادة المستعملة في ستة كتب لتعليم القراءة في مصر يبلغ عدد كلماتها الجارية ٣٥,٠٥٣ كلمة فقط، وكان هدفها في الأصل إجراء دراسة على مفردات الكتب التي حللت.

واتخذت **قائمة لانداو**[٦] مادتها من مفردات النثر العربي فقد أحصى لانداو حوالي ١٣٦,٠٠٠ كلمة من ستين كتاباً مصرياً في موضوعات متنوعة كالأدب والرحلات والتاريخ والتربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين الإسلامي والفلسفة.

أما **قائمة خاطر**[٧] فقد اتخذت مادتها من الخمسمائة كلمة الأولى في كل من القوائم السابقة فجمعت تكرارات الكلمة الواحدة فيها جميعاً وخرجت بـ ١٠٦٩ كلمة تعد أعلى الكلمات تواتراً في القوائم الأربع.

وهناك **(الرصيد اللغوي الوظيفي)**[٨] الذي يتخذ مادته من لغة الأطفال في المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي في المغرب العربي.

إن المجهود العلمي الذي بذله **الدكتور داود عطية عبده** ونُشرت نتائجه في قائمة بعنوان **(المفردات الشائعة في اللغة العربية)** شبيه بمجهود الدكتور خاطر إلا أنه أوسع نطاقاً. إذ تتألف هذه القائمة من ثلاثة آلاف كلمة ونيف من المفردات الأكثر شيوعاً في مجموع المفردات التي أحصيت في أربع قوائم هي قائمة عاقل، وقائمة لانداو، وقائمة بريل، وقائمة كان قد أعدها الدكتور عبده نفسه (بالتعاون مع غريهم لزد) ولكنها لم تنشر وكانت مادتها التي تتألف من حوالي ٢٥٠,٠٠٠ كلمة مستقاة من الصحف اليومية والكتب المدرسية الأردنية خلال الأعوام ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧م. ويعتقد الدكتور عبده بأن القائمة الجديدة المنشورة في الكتاب موضوع حديثنا اليوم تمثل إحصاء للمفردات الأكثر شيوعاً في سبعمائة ألف كلمة ونيف من موضوعات مختلفة، وفي أماكن متعددة من الوطن العربي، لأنه في عمله اعتبر القوائم الأربع كأنها أجزاء من قائمة واحدة وأخذ المفردات الأكثر شيوعاً في كل منها واستخرج تكرار كل كلمة من هذه الكلمات في جميع القوائم وجمع التكرارات الأربعة لكل كلمة لتحديد أعلى ثلاثة آلاف كلمة تكراراً في القوائم الأربع ككل[٩].

وقد رتبت مفردات القائمة الجديدة بطريقتين، الأولى ألفبائية وإلى جانب كل كلمة عدد مرات ورودها في كل من القوائم الأربع ثم مجموع هذه المرات، والثانية تنازلية بحيث ترتب الكلمات حسب تكرارها، وتوضع أعلاها تكراراً في أعلى القائمة، مع مجموع تكراراتها.

وقد بيّن الدكتور عبده في مقدمته المفردات التي حذفها من القوائم كأسماء الأعلام، والمصطلحات النحوية والصرفية التي ورد معظمها في قائمة عاقل، والكلمات التي وردت في قائمة واحدة من القوائم ولم ترد في القوائم الثلاث الأخرى، والسوابق واللواحق كأداة التعريف وهمزة الاستفهام وحروف العطف والجر المتصلة. كما بين في مقدمته قواعد الإحصاء التي اتبعها كاعتبار الكلمة ذات المعاني المتعددة كلمة واحدة ــ وهي قاعدة لا اتفق معه بخصوصها ــ، وضم المؤنث المفرد والمثنى وجمع المذكر السالم والمؤنث السالم في الاسم واسم الفاعل واسم المفعول والصفة إلى المفرد المذكر، وكذلك ضم المثنى والجمع إلى المفرد في اسم الموصول واسم الإشارة إذا كانا يصاغان من المفرد بإضافة لاحقة دون تغيير يذكر في صيغته. ويؤسفني أن لا أتفق مرة ثانية معه على هذا الضم الذي يحرمني ــ بوصفي أحد المهتمين بتعليم العربية للناطقين بها ــ من معرفة شيوع المثنى مثلاً في اللغة العربية لتحديد موقعه في المواد التي أعدها أو أدرسها.

ولقد خرجت القائمة الجديدة بجدول يبين نسب الكلمات الشائعة إلى مجموع المفردات المحصاة، وهي نسب تقل عن النسب في القوائم الأربع منفصلة: وهذه النسب هي:

أشيع ٥٠٠ كلمة تشكل ٥٦,٥٪ تقريباً من المادة اللغوية.

أشيع ١٠٠٠ كلمة تشكل ٦٧٪ تقريباً من المادة اللغوية.

أشيع ١٥٠٠ كلمة تشكل ٧٤٪ تقريباً من المادة اللغوية.

أشيع ٢٠٠٠ كلمة تشكل ٧٨,٥٪ تقريباً من المادة اللغوية.

أشيع ٢٥٠٠ كلمة تشكل ٨١,٥٪ تقريباً من المادة اللغوية.

أشيع ٣٠٠٠ كلمة تشكل ٨٤٪ تقريباً من المادة اللغوية.

لقد أسدى الدكتور داود عبده في عمله هذا خدمة جليلة للأبحاث اللغوية واللغة العربية، يستحق عليها كل تقدير وثناء. وينبغي أن يكون عمله هذا حافزاً لنا في إعداد القائمة الشاملة للمفردات الشائعة التي ما زالت مكتبتنا العربية بحاجة صارخة لها.

---

(١) Heinz Oehler, **Grundwortschatz Deustch** (stuttgart: Ernst Klett, 1966) P.3.

(٢) موسى بريل، **قاموس الصحافة العربية** (القدس: الجامعة العربية، ١٩٤٠م).

(٣) فاخر عاقل، **المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية** (دمشق، ١٩٥٣م).

(٤) E.M.. Baily, **A List of Modern Arabic Words** (Cairo: Nile Mission Press, no date).

(٥) Mohamed Kadri Lutfi, **Changes Needed In Egyption Readers to Increase Their Value as Media for Instruction**, Ph.D. dissertation, UNIV. of Vhicago, 1948.

(٦) Landau, Jacob M., **A Word Count of Modern Arabic Prose** (New York: American Council of Learned Societies, (1959).

(٧) محمود رشدي خاطر، **قائمة المفردات الشائعة في اللغة العربية** (سرس الليان: مركز التربية الأساسية في العالم العربي، ١٩٥٥م).

(٨) **الرصيد اللغوي الوظيفي**، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط ١٩٧٥م.

(٩) **المفردات الشائعة في اللغة العربية**، ص ــ ح ــ.



★ جلالة الملك فهد رائد العلم والتعليم في المملكة العربية السعودية خلال الإحتفال بمشروع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ★

موضوع خاص

بقلم: د. عبدالحليم عويس
تصوير: سمير عزت

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بالرياض)

★ واجهة مبنى الجامعة الحالي ★



إن بناء الإنسان هو العملية الحضارية التي تعانيها كل الشعوب.. وعندما تنجح الأمم في بناء (الإنسان) عقلاً، وخلقاً، وجسداً، فإن سائر ما تطمح إليه أمراً ميسوراً.. أما بدون بناء الإنسان فإن كل شيء سرعان ما يتقوض وينهار!!.

من هنا تهتم الشعوب الحية بمعاهد العلم، وتعطي للمعرفة، في سائر جوانبها، ما تستأهله من رعاية واهتمام.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ بالرياض ـ نشأت (جامعة جامعاً) ، فدرَّس فيها المشايخ والفقهاء ، ممن أثروا حضارتنا قديماً وحديثاً . ثم درَّس فيها من نهلوا من الثقافة الإنسانية العامة ، وتعرَّفوا على أحدث المناهج . . . ولعلَّ أبرز ما سيقوله التاريخ يوماً ـ إن شاء الله ـ هو إن **هذه الجامعة ، هي الجامعة التي وضعت التحديث في وعاء الأصالة . . . وهي الجامعة التي سارت أشواطاً بعيدة في طريق «أسلمة» الاجتماع ، والاقتصاد ، والتربية ، والإعلام . . وغيرها .**

إنها جامعة تقوم بدور حضاري أساسي . . . لتحلَّ للمسلمين معادلة حضارية اعتقد بعضهم زماناً أنها صعبة الحل . . . والحقيقة أنها معادلة واضحة . . . ميسورة الحل .

إنها معادلة الجمع بين إسلامنا وحضارتنا ، وبين معطيات بقية الحضارات الإنسانية . . . بين ما هو أصيل . . وما هو حديث ، بين ما هو (خاص) لا يجوز التفريط فيه ، وما هو (عام) لا يجوز التضحية به !! .

أهداف الجامعة وكلياتها

لقد تحددت أهداف الجامعة في خمسة أهداف مستوحاة من هذا الوعي الحضاري . . . وهي :

(١) توفير أسباب التعليم الجامعي والدراسات العليا في العلوم الإسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، وما يتصل بها من علوم أخرى كالعلوم الاجتماعية والتاريخ الإسلامي .

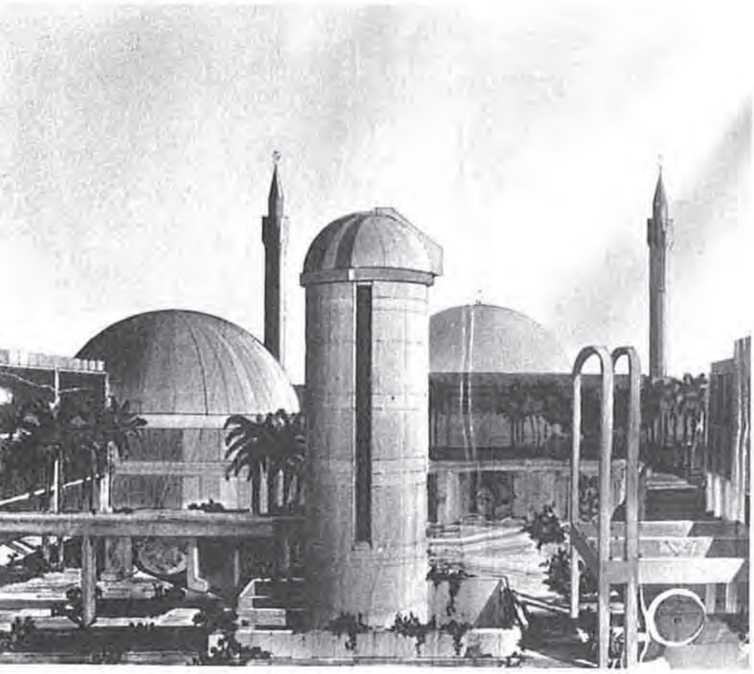
(٢) العناية بالبحوث الإسلامية ، والقيام بترجمتها ونشرها ، وتنظيم العلاقة بين هذه الجامعة وجامعات العالم لسد الفراغ في الدراسات الإسلامية .

(٣) العناية في نطاق الدراسات الشرعية بالبحوث الفقهية والقانونية المقارنة .

(٤) إعداد علماء متخصصين في العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والتاريخية وإعداد مدرِّسين في هذه الحقول ، وإعداد قضاة ودعاة مؤهلين .

(٥) المساهمة في تلبية حاجات البلاد الإسلامية إلى تخصيص طائفة من أبنائها في العلوم والمجالات المتقدم ذكرها .

وفي الثالث والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٩٤ هـ ، صدر المرسوم الملكي بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقبل ذلك كانت تسمى «**الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية**» حيث يتبعها كل من كلية الشريعة بالرياض المفتتحة عام ١٣٧٣ هـ ، وكلية اللغة العربية بالرياض المفتتحة عام ١٣٧٤ هـ ، ومجموعة من المعاهد العلمية في مستوى المرحلتين المتوسطة والثانوية التي أنشئ أولها بالرياض عام ١٣٧٠ هـ . . وفي عام ١٣٨٥ هـ ، افتتح المعهد العالي للقضاء بالرياض . . وفي عام ١٣٩٠ هـ ، افتتح بكلية اللغة العربية قسم للعلوم الاجتماعية وأصبحت تسمى فيما بعد بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية . . وفي عام ١٣٩٤ هـ ، افتتح بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية قسم لدراسة علوم المكتبات ، كما افتتح بكلية الشريعة قسم للدعوة وأصول الدين . . وفي عام ١٣٩٥ هـ ، أنشئت عمادتان إحداهما لشؤون الطلاب والأخرى لشؤون المكتبات . . وفي عام



★ نموذج للمرصد الفلكي التابع لكلية العلوم الاجتماعية ★

١٣٩٦ هـ ، **افتُتح المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض** ، وافتُتحت كلية أصول الدين ، وضم إليها قسم الدعوة وأصول الدين بكلية الشريعة ، واستقلت كلية الدراسات الاجتماعية عن كلية اللغة العربية ثم عدل اسمها إلى **كلية العلوم الاجتماعية** عام ١٣٩٧ هـ .

وفي نفس العام ١٣٩٦ هـ ، افتتحت كلية للشريعة واللغة العربية في **أبها** بالجنوب ، كما افتتحت كلية للشريعة واللغة العربية في **بريدة** بالقصيم .

وفي عام ٩٨ / ١٣٩٩ هـ ، أنشئ بالجامعة مجلس علمي للنظر في الأمور العلمية بالجامعة . كما أنشئ في العام نفسه مركز البحوث لوضع سياسة للبحوث العلمية تواكب العصر .

ويتبع الجامعة مجموعة من المعاهد العلمية بلغ عددها حتى الآن (٥٢) معهداً ، من بينها معهدان في خارج المملكة ، كما يتبعها مركز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ومركز لتعليم اللغة الإنجليزية ، ومعهد لتعليم اللغة العربية في أندونيسيا ، ومكتبة إسلامية في أميريكا ومركز إسلامي في اليابان .

نظام الجامعة

يتولى إدارة الجامعة السلطات التالية :

(١ ـ المجلس الأعلى للجامعة . . ٢ ـ مدير الجامعة . . ٣ ـ مجلس الجامعة) .

ويتولى إدارة كل كلية أو معهد :

أ ـ عميد الكلية أو المعهد . . ب ـ مجلس الكلية أو المعهد .

المسؤولون في الجامعة

● **أولا : مدير الجامعة** : يتولى الإشراف على إدارة شؤون الجامعة العلمية والإدارية والمالية ويمثلها أمام الهيئات والمراجع الأخرى ـ وله أن يفوض



★ معالي الدكتور عبد الله التركي مدير الجامعة ★



★ أول دفعة من مبتعثي الجامعة إلى الخارج ★

وكيل الجامعة في بعض اختصاصاته ـ ويكون مدير الجامعة مسؤولا أمام الرئيس الأعلى عن تنفيذ السياسة العامة الموضوعة لتحقيق أغراضها ـ ويقدم للرئيس الأعلى تقريراً عن شؤون الجامعة ونواحي نشاطها عن كل سنة دراسية ، ويرفع التقرير بعد إقراره من المجلس الأعلى عن طريق رئيسه إلى جلالة الملك المعظم .

● **ثانياً : مجلس الجامعة** : يتولى تصريف الشؤون العلمية والإدارية والمالية وتنفيذ السياسة العامة للجامعة وعلى الأخص : (اقتراح إنشاء كليات وأقسام جديدة) ، (تعيين أعضاء هيئة التدريس والبتّ في ترقياتهم وإعارتهم وندبهم) ، (نشر البحوث والدراسات التي يرى نشرها) ، (منح الدرجات العلمية والشهادات لخريجي الجامعة) ، (وضع قواعد تحديد مدة الدراسة ومدة العطلة) .

● **ثالثاً** : وللجامعة وكيلان يعينان بقرار من مجلس الوزراء وهما يساعدان مدير الجامعة في إدارة شؤونها ويقوم أحدهما مقام مدير الجامعة عند غيابه .

● **رابعاً** : أما المعاهد العلمية فلها وكيل يشرف على شؤونها ويرتبط بمدير الجامعة . وللجامعة أمين عام يعين بقرار من مجلس الوزراء من بين أعضاء هيئة التدريس ، ويتولى الأعمال الإدارية والفنية والمالية بالجامعة تحت إشراف مديرها ووكلائها ، كما يتولى أمانة المجلس الأعلى وأمانة مجلس الجامعة .

● **خامساً** : مجالس الكليات والمعاهد العليا .

أ ـ تكوينها : يؤلف مجلس الكلية أو المعهد من :

١ ـ عميد الكلية أو مدير المعهد العالي وله رئاسة المجلس .

٢ ـ وكيل الكلية أو المعهد العالي .

٣ ـ رؤوساء الأقسام .

ولمجلس الجامعة بناءً على اقتراح العميد أو مدير المعهد أن يضم إلى المجلس من يراه من أعضاء هيئة التدريس مع تحديد مدة عضويتهم .

ب ـ اختصاصاتها : يختص مجلس الكلية أو المعهد العالي بالنظر في الأمور التي تتعلق بالكلية أو المعهد ، ومن المهام التي يقوم بها ما يلي :

١ ـ وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات وقبول الطلاب في الكلية أو المعهد .

٢ ـ إقرار المناهج واقتراح الخطة الدراسية .

٣ ـ تشجيع البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية أو المعهد أو نشرها .

٤ ـ وضع قواعد الامتحانات وتحديد مواعيدها .

٥ ـ تحديد البعثات اللازمة للكلية .

٦ ـ إصدار القرارات في كل ما من شأنه النهوض بمستوى التعليم والبحث والتأليف في الكلية أو المعهد في حدود أنظمة الجامعة ولوائحها .

كليات الجامعة

تنتظم الجامعة (١١) كلية منتشرة في وسط المملكة وجنوبها وشرقها . . .

● **في الرياض** : كلية الشريعة ، كلية أصول الدين ، كلية اللغة العربية ، كلية العلوم الاجتماعية .

● **في القصيم** : كلية الشريعة وأصول الدين ، كلية العلوم العربية والاجتماعية .

● **في أبها** : كلية الشريعة وأصول الدين ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية .

● **في الأحساء** : كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

● ● ●

وقد ضمت الجامعة بالإضافة إلى الكليات ثلاثة معاهد متخصصة في الدراسات العليا هي :

- المعهد العالي للقضاء في الرياض .
- المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض .
- المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة .

وتضم جامعة الإمام عدداً من التخصصات النادرة التي قلّما توجد في جامعة أخرى وهي :

- **قسم الدعوة** : وهو يلبي الحاجة الملحة ـ على مستوى المملكة والعالم الإسلامي ـ إلى دعاة يحملون المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله دون تفريط أو غلو . . .
- **قسم الإعلام الإسلامي** : وهو يلبي الحاجة الملحة ـ على مستوى المملكة والعالم الإسلامي ـ إلى رجال إعلام إسلامي يخدمون الإسلام في هذا المجال الحيوي بمضمون إسلامي ومهارة فنية .
- **قسم الاقتصاد الإسلامي** : وهو يلبي الحاجة الملحة ـ على مستوى المملكة والعالم الإسلامي ـ إلى رجال اقتصاد إسلامي .

١٠٢ رسالة دكتوراه ، ٦٨٥ ماجستيراً

وقد منحت الجامعة رسالة الدكتوراه لـ ١٠ من أبناء الجامعة وهناك ٩٢ رسالة دكتوراه مسجلة . . كما منحت الجامعة رسالة الماجستير لـ ٣٠٨ من أبناء الجامعة وهناك ٣٧٧ رسالة ماجستير مسجلة . . وهذا العدد الكبير من المستويين ـ الدكتوراه والماجستير ـ يعبّر ـ كما يرى معالي مدير الجامعة والمسؤولون ـ عن مجموعة حقائق :

- إن سياسة « توطين العلم » قد دخلت مرحلة التطبيق بشكل موسع .
- إن الموضوعات التي ستخدم علمياً عبر هذه الرسائل ستثري الإنتاج العلمي الرصين ـ في البلاد ـ بالتعميق والتنويع والكم .
- إن لدى الجامعة قدرة استيعابية في مستوى المشرفين .
- إن الكفاية التدريبية ستتزايد ـ في المستقبل القريب إن شاء الله ـ بمعدل يبعث على الثقة والاطمئنان .

دورات المبتعثين

عهد المقام السامي إلى جامعة الإمام بتنظيم دورات للمبتعثين الذين يبتغون تنمية معلوماتهم ، وتوسيع نطاق خبرتهم في الخارج . ومدة الدورة أربعة أسابيع يجري خلالها حوار مثمر بنّاء بين المبتعثين وبين نخبة من قادة الفكر الإسلامي والذين يتمتعون بخبرة واسعة في ارتياد هذا الطريق ، ويتركز الحوار حول : أحسن الوسائل والأساليب التي تجعل مهمة المبتعث أكثر نجاحاً ، وذات نتائج طيبة .

اللغة العربية لغير الناطقين بها

أنشئ مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عام ١٣٩٧/١٣٩٨ هـ ، ملحقاً بكلية اللغة العربية بالرياض بهدف تعليم اللغة العربية للطلبة الوافدين

★ الرعاية الطبية ★



★ الأنشطة العلمية ★



من غير البلاد العربية ممن تقبلهم الجامعة على منح دراسية حتى يتمكنوا بعد ذلك من مواصلة دراستهم في المراحل المناسبة لمؤهلاتهم العلمية .

وفي المركز مختبر لغوي لتدريب الدارسين المبتدئين على الأصوات العربية ، وتدرس به إلى جانب القرآن الكريم مادة اللغويات التي تحوي تدريبات شفهية وصوتية وتنمية مهارات الاستماع والفهم والمحادثة والقراءة والكتابة باللغة العربية وتكوين جمل صحيحة منها ، وكذلك تدرس بعض المواد بغرض توسيع آفاق المعرفة بالثقافة الإسلامية .

تعليم اللغة الإنجليزية

كما أنشئ مركز تعليم اللغة الإنجليزية عام ١٣٩٦ هـ ، ملحقاً بكلية اللغة العربية بالرياض بهدف الإشراف على تدريس اللغة الإنجليزية في الجامعة وتنظيمها ويقوم بخدمات أخرى كالترجمة ومساعدة الطالب والمعيد على الاطلاع على أحدث ما كتب في تخصصه باللغة الإنجليزية ، وإتاحة الفرصة لخريجي الجامعة للاتصال بزملائهم المسلمين من غير العرب وكذلك مساعدة الطالب المسافر إلى بلاد أجنبية لإتمام دراسته أو التدريب .

المجالات العملية لخريجي الجامعة

(١) **القضاء بوزارة العدل** وهذا الميدان يعتمد أساساً على خريجي الجامعة ، ولذا حرصت الجامعة على أن تعد القاضي إعداداً يتفق مع أهمية رسالته وضخامة مسؤوليته الدينية والاجتماعية والإدارية .

(٢) **ديوان المظالم** .

(٣) **هيئة التحقيق** .

(٤) **وزارة الداخلية** : مجالات التفتيش والحقوق وإقامة الحدود والمنازعات .

(٥) **المستشارون الشرعيون** في كثير من المصالح الحكومية .

(٦) **التعليم** : التدريس والتوجيه التربوي والتخطيط التعليمي والإشراف الاجتماعي والمعالجة النفسية وإدارة التعليم .

(٧) **الشؤون الإسلامية** داخل المملكة للعمل في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقيام بالخطابة والإمامة في المساجد .

(٨) الشؤون الإسلامية خارج المملكة .

(٩) **وظائف إدارية** أخرى في كافة مرافق الدولة مثل الوزارات وأجهزة الإعلام .

المؤتمرات التي عقدتها الجامعة

تعنى الجامعة بعقد المؤتمرات والندوات بين علماء المسلمين والمشاركة فيها وفاء بحق العلم وتأدية لمسؤوليتها ومسؤولية المملكة تجاه الإسلام والمسلمين ، وقد تمكنت من تنظيم واستضافة المؤتمرات والندوات التالية :

مؤتمر الفقه الإسلامي ، أسبوع الفقه الإسلامي ، ندوة رسالة المسجد في المجتمع المعاصر ، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، ندوة علمية عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ وفي الطريق تسعى الجامعة إلى عقد مؤتمرين أحدهما

★ مكتبة الجامعة ★



★ أحد غرف سكن الطلاب بالمدينة الجامعية ★



بمناسبة القرن الخامس عشر، والثاني عن الإمام ابن قيم الجوزية.

المجلس العلمي

أنشئ بالجامعة: للنظر في الأمور العلمية، والإشراف على شؤون التأليف والترجمة والنشر، ومن اختصاصاته: وضع قواعد لتشجيع البحوث العلمية خارج الجامعة، ونشر البحوث التي يرى نشرها، واقتراح عقد المؤتمرات أو الندوات العلمية، ودراسة المناهج وخطط التدريس، وإصدار ما يلزم لتطويرها، وتقويم الشهادات، ومعادلتها، وتأليف لجان فحص الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس، والتوصية بترقية المستحق منهم للترقية.

ويتكون أعضاؤه من بعض هيئة التدريس بالجامعة، وبعض الشخصيات العلمية من خارجها.. ورغم أنه أنشئ مؤخراً إلا أنه تمكن من تحقيق كثير من الأعمال العلمية وإبرازها للناس.

مركز البحوث

أنشئ بالجامعة؛ بهدف وضع سياسة للبحوث العلمية الإسلامية تواثم العصر، وإجراء الدراسات العلمية في مختلف المجالات؛ بقصد خدمة الإسلام وقضاياه، وإبراز خصائصه الكفيلة بإسعاد البشر، وتقديم الحلول الإسلامية للمشكلات المعاصرة، ويتخذ المركز الوسائل العلمية في سبيل تحقيق أهدافه، ويتعاون مع الهيئات والمؤسسات التي تعمل في الحقل العلمي الإسلامي داخل المملكة وخارجها.

ومدير المركز ونائبه وأعضاؤه حالياً من هيئة التدريس بالجامعة.

عمادة شؤون المكتبات

تشرف على إعداد المكتبة المركزية للجامعة، وبقية المكتبات الفرعية بالكليات والمعاهد العليا، والمعاهد العلمية، وترعى كل ما يتصل بالخدمة المكتبية بحيث تكون هذه الخدمة ميسرة لطلاب الجامعة، وهيئة التدريس والباحثين.. وقد أنشئت عام ١٣٨٥ هـ.

المكتبة المركزية

أعدت في مكان مريح متوسط من مدينة الرياض مدعمة بأحدث النظم والأدوات والأجهزة المستعملة للخدمة المكتبية، ومن أبرز ملامحها وجود مجموعات نامية من الكتب بلغت مجموعاتها ١١٠ آلاف مجلد عربي و ٢٠ ألف مجلد إفرنجي بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الرسائل الجامعية والمخطوطات والدوريات العربية والإفرنجية وبها قاعات اطلاع متخصصة منها:

١ ـ قاعتان لعلوم الدين الإسلامي وتحويان خمسة وأربعين ألف مجلد.

٢ ـ قاعة الكتب المحدودة الاطلاع وتحوي خمسمائة مجلد للباحثين المتخصصين.

٣ ـ قاعة العلوم الإنسانية وتحوي خمسين ألف مجلد.

٤ ـ قاعة المراجع وتحوي خمسة آلاف مجلد.

٥ ـ قاعة الدوريات وتحوي ٥٨٠ دورية.

٦ ـ قاعة المكتبات المهداة وتحوي: مكتبة سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وفيها ستة آلاف مجلد.. مكتبة الشيخ عبد الرحمن الحميميد وفيها ألف وخمسمائة مجلد.

٧ ـ قاعات السمعيات المرئية وبها أجهزة عرض وتسجيل واستماع لخدمة الأغراض التعليمية.

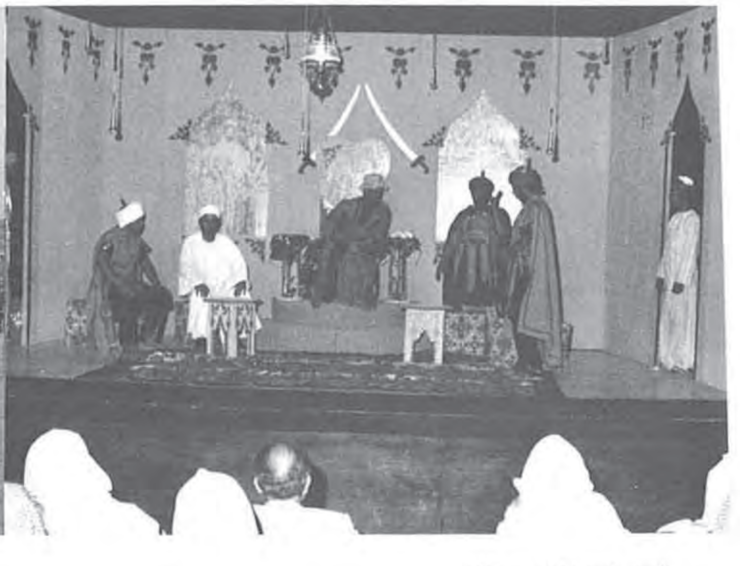
٨ ـ قاعة المخطوطات والمصورات مزوّدة بالقارئات الطابعة وتبلغ مقتنياتها من المخطوطات ٥٠٨٧ مخطوطاً ومن الميكروفيلم ٢٥٥٦.

المكتبات الفرعية

تشرف العمادة على مكتبات الكليات والمعاهد العليا التابعة للجامعة، ويبلغ ما تضمه من الكتب والمراجع ما يزيد على ربع مليون مجلد، وتغطي مجموعات كل مكتبة التخصصات الأكاديمية في الوحدة الجامعية الملحقة بها.

وهناك أيضاً مكتبات المعاهد العلمية وعددها ٥٢ معهداً منتشرة في جميع أنحاء المملكة وتضم ٣١٥ ألف مجلد وكذلك مكتبات الوحدات السكنية.

★ النشاط المسرحي ★



★ النشاط الرياضي ★



عمادة شؤون الطلاب

أنشئت عام ١٣٩٥ هـ ، وهي الجهة المسؤولة عن شؤون الطلاب الثقافية والاجتماعية والرياضية كما تقوم بمهمة التسجيل والقبول والإشراف على المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة لبعض أبناء الدول الأخرى ، وتتولى الإشراف على إسكان الطلاب ونقلهم وتوفير وسائل الراحة لهم .

جامعة الجنسيات المتعددة

تستقبل الجامعة ــ كل عام ــ عدداً من أبناء العالم الإسلامي يفدون إليها لتلقي العلم والمعرفة . وتخصص الجامعة ــ كل عام ــ مقاعد لأبناء المسلمين في العالم .

وفي الجامعة اليوم ١٥١٢ طالباً يمثلون ٦٨ جنسية . وإذ يدل هذا على أن جامعة الإمام إنما هي « جامعة الجنسيات المتعددة » يدل ــ من جانب آخر ــ على أن التضامن الإسلامي أصبح حقيقة ملموسة على هذا المستوى .

الجامعة خارج المملكة

لم تنحصر جهود الجامعة في العمل في الداخل ، بل امتدت إلى الخارج ، في ضوء عالمية الإسلام ، ومسؤولية المملكة تجاه المسلمين والعالم قامت جامعة الإمام بواجبها « فوق الإقليمي » فللجامعة وجه خارجي جميل تكونت قسماته من مجموعة أعمال صالحة مشرقة .. من أهمها :

● المعاهد التي أقامتها في أندونيسيا وموريتانيا ورأس الخيمة وجيبوتي واليابان .

● إقامة صلات وثيقة مع عدد من الدعاة ومؤسسات الدعوة في العالم ، وابتعاث وفود للدعوة . . إلى جانب تكوين صلات علمية مع الجامعات ومراكز البحث العلمي في العالم .

● إنشاء شعب وكراسي أستاذية للدراسات العربية والإسلامية في عدد من جامعات العالم .

★ معسكرات طلابية ★



● نشر الكتاب الإسلامي الموثق علمياً .

مطابع الجامعة

رأت الجامعة أن خير ما يعينها في سبيل أداء رسالتها التعليمية والثقافية وفي مجال البحث العلمي والدعوة الإسلامية هو أن تكون لها مطابعها الخاصة التي تلبي حاجاتها المتزايدة من مطبوعات ومنشورات ونشر المراجع العلمية والبحوث المتخصصة والرسائل والكتب الجامعية ، وطباعة المجلات العلمية التي تصدرها كليات ومعاهد وإدارات الجامعة والكتب والكتيبات التي يستعان بها على نشر الدعوة الإسلامية ، فضلاً عن النشرات التعريفية والكتب الإحصائية والمطبوعات الإدارية للجامعة .

مشروع المدينة الجامعية

يعتبر مشروع المدينة الجامعية من أهم المشروعات التي تسعى الجامعة لتحقيقها ؛ لما له من أثر كبير في الإنطلاقة الكبرى لها ومراحل تنفيذ هذا المشروع الضخم يتم على مرحلتين إحداهما للدراسة وإعداد التصاميم ، والأخرى للتنفيذ .

وفي مجال ما نفذ من المرحلة الأولى فقد أتمت الجامعة :

١ ــ إنجاز المخطط الأكاديمي المتوقع للجامعة مستقبلاً كعدد الوحدات التعليمية والوحدات المساعدة وإعداد الطلاب المتوقع استيعابهم ، وأعضاء هيئة التدريس والجهاز الفني والإداري وحجم الخدمات المتوقع ووحداتها من إسكان وعلاج ونشاط رياضي وثقافي .

٢ ــ إنجاز المخطط المساحي وبرنامج المواصفات التعليمية .

٣ ــ إنجاز المسح الطبوغرافي وتحليل وفحص التربة .

٤ ــ إنهاء المخططات ووثائق المناقصة الخاصة بالمرحلة الأولى من المشروع المتمثلة في إسكان غير المتزوجين .

٥ ــ طرح المرحلة الأولى من المشروع في منافسة عالمية بعد أن تمت إجراءات عملية تأهيل الشركات المتنافسة .

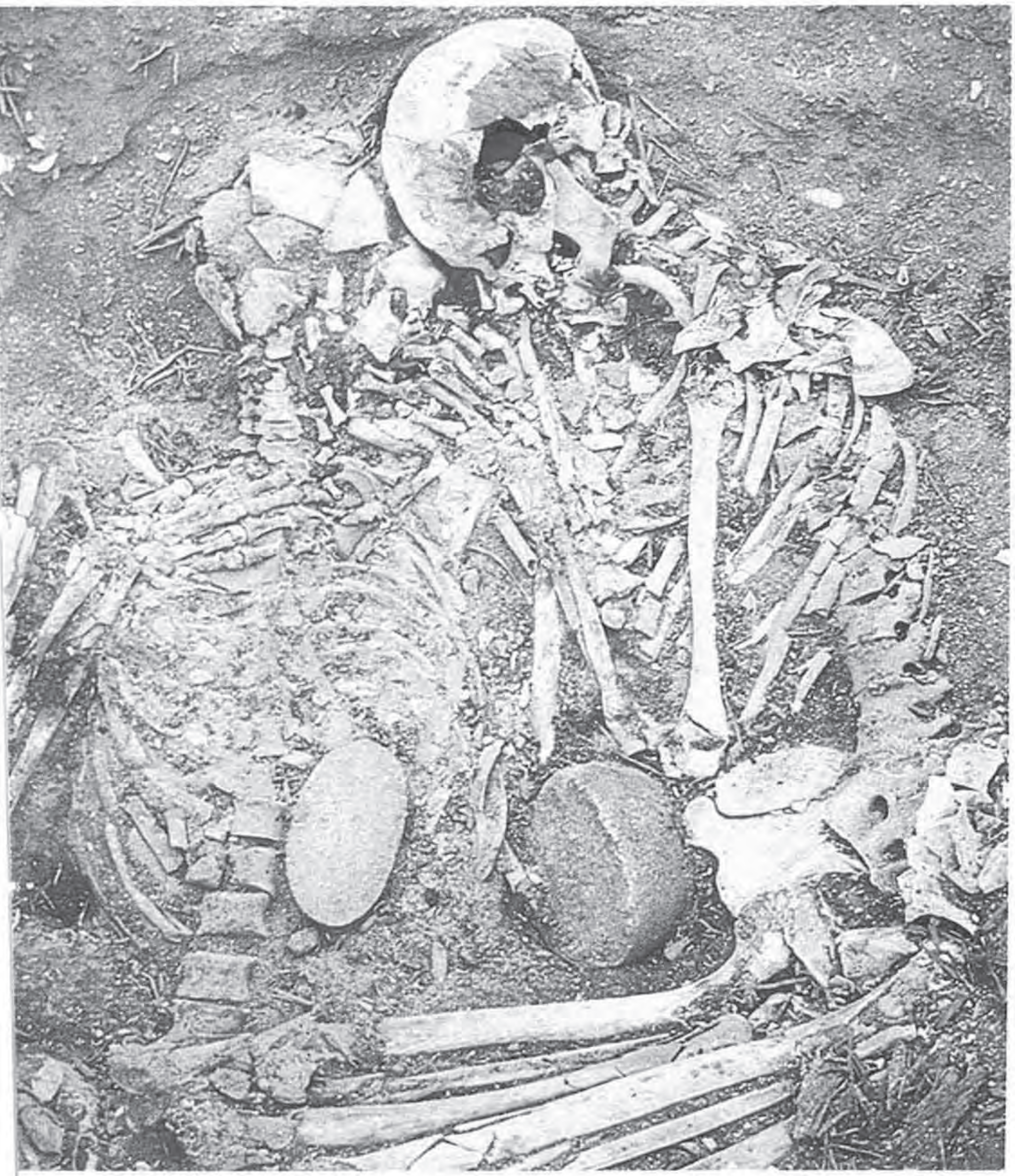
وقد بدأت الشركات بإذن الله في مرحلة التنفيذ منذ يوم ٩ ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ . ونظراً لأهمية مشروع المدينة الجامعية فقد أنشئ بإدارة الجامعة هيئة مستقلة لإدارة المشروع .

وأخيراً

فهذه ــ في عجالة ــ هي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إحدى قلاع المعارف والعلوم الإنسانية ، والإسلامية ، في المملكة العربية السعودية . إنها الجامعة التي تغرس بذور العلوم في كل مدينة ، كبيرة ، أو صغيرة ، في المملكة ، من خلال معاهدها العلمية ، وهي ــ من منظور آخر ــ الجامعة التي تخرّج أجيالا من العلماء والمربين والقضاة وأساتذة الجامعات . . إنها الجامعة الشاملة ، بالمعنى الإسلامي المعروف في حضارتنا . . أجل : إنها « الجامعة الجامعة » .

عصور قديمة

اكتشاف أقدم قرية في العالم الجديد



بالوما (بيرو) Paloma (Peru) ـ علماء الأنثروبولوجي (الإنسانيات) Anthropologists اكتشفوا آثار أقدم قرية معروفة في القارة الأميركية قرب الشاطئ الأوسط لساحل بيرو، ووجدوا في الموقع المكتشف مئات الهياكل العظمية الإنسانية ومئات من حفر مخازن الطعام وأدوات منزلية كثيرة.

فريق البحّاثة والعلماء برئاسة عالم الأنثروبولوجي (**روبرت بينيفر Robert Benfer**) قرروا بعد فحص عيّنات من الفحم المتبقّي من النيران التي كانت توقد في القرية أن هذه القرية يرجع تاريخها لأكثر من (٨٠٠٠) عام، وأنها أقدم من أي قرية معروفة في نصف الكرة الغربي بـ (٢٥٠٠) عام.. **علماً بأن أقدم قرية معروفة على الأرض في الشرق الأوسط ـ مهد الحضارات ـ يرجع تاريخها إلى (١٠٠٠٠) عام. (ولعلّها دمشق أو حلب).**

وقد وجدت في **قرية بالوما** آثار لأكواخ عديدة وصنّارات لصيد السمك و (٢٠٠) هيكل عظمي إنساني (تشاهد في الصورة هيكلين منها لرجلين عمر الأول (٤٠) عاماً وعمر الثاني (١٩) عاماً يستلقيان بجانب بعضهما وعمر الهيكلين (٦٠٠٠) عام، إضافة لعظام **حيوانات اللاما** المدجّنة، وجميعها تحتفظ بآثار الطقس الرطب الذي يسود الشواطئ.

ويقول **العالم (بينيفر)** إنه لا تشبه هذه القرية أية قرية في العالم الجديد، وقد فحصنا كل شيء حتى محتويات أمعاء الهياكل العظمية، ووجدنا آثاراً لأزهار وحيوانات الآيل وعظام أسماك وعظام أسود البحر.. وهذه الآثار إن دلت على شيء فإنما تدل على اهتمام أهالي القرية بالصيد فقط وأنهم لم يكونوا يهتمّوا بالزراعة، ولكن ثبت

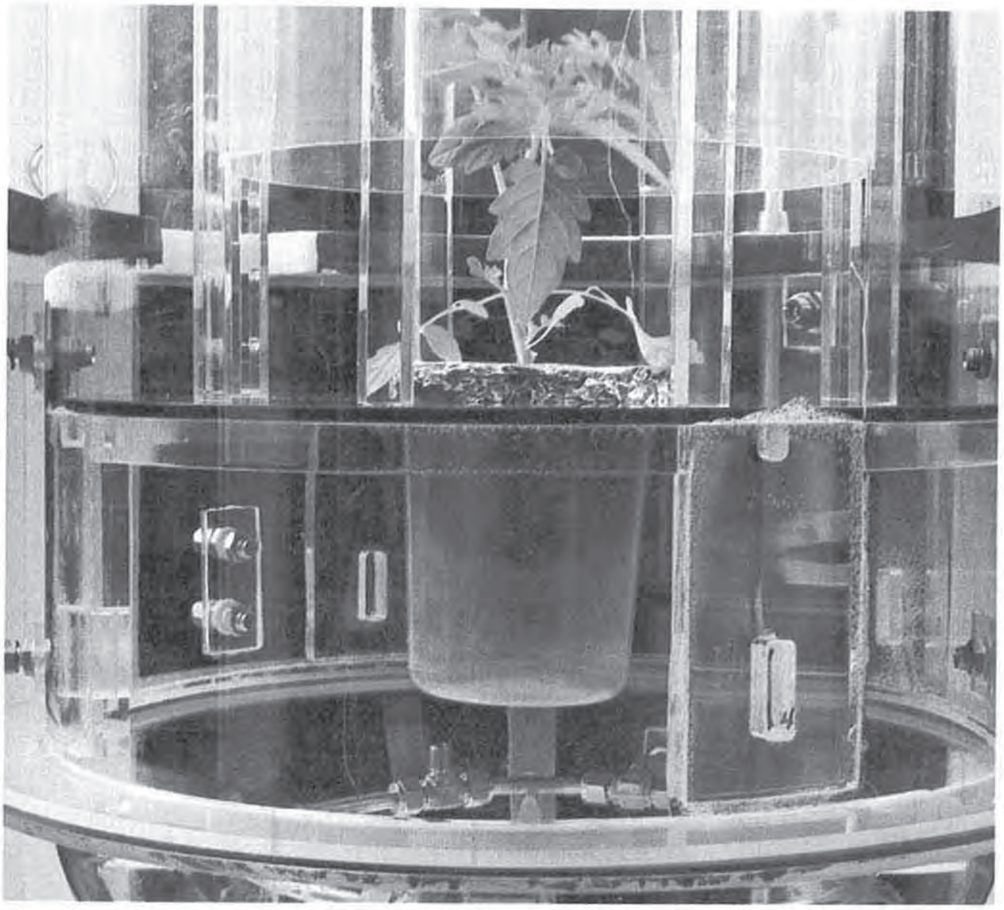
زراعة

Agriculture

مزارع طماطم وقمح وأرز في الفضاء

كاليفورنيا Californie : مختبرات مركز الأبحاث بوكالة الفضاء الأمريكية (**ناسا NASA**) في كاليفورنيا وبمشاركة أكثر من مركز أبحاث عالمي يقومون الآن بتجارب عديدة لدراسة إمكانية استزراع أصناف عديدة من البقول والخُضر والحبوب في الفضاء .

مدير المشروع **الدكتور (روبير ك . اكلروي)** المسؤول الأول عن البرنامج والمشرف على جميع الباحثين يقوم هو والعلماء بدراسة تأثيرات أحوال الفضاء من درجات حرارة وضغط ورطوبة وتأثير الماء والوزن النوعي والغازات المختلفة على نمو النبات ، وذلك بهدف السيطرة الكاملة على جميع العمليات الحيوية للنبات في هذه الأجواء .



ويقول الدكتور اكلروي : عمّا قريب سننشئ في الفضاء مزارع سمائية للبقول والحبوب ، وربما يعيش معنا الماعز والدجاج والخراف ، وفيما لو تمّ ذلك فإن هذه المزارع النموذجية ستسدّ نقص الغذاء المتوقّع على الأرض .

ونرى في الصورة نبتة طماطم (بندورة) في إحدى التجارب داخل زوج من النواقيس الزجاجية مع غطاء لاصق وماء وغذاء على شكل رذاذ في أحد مختبرات مركز (ناسا) لبحوث زراعة الفضاء .

بأنهم كانوا يزرعون **الفول السوداني** ويهرسونه ويتبّلونه بالفلفل ، وأنهم قد واجهوا سنوات قحط تغلّبوا عليها بتخزين المواد الغذائية في حفر مغطّاة بالأعشاب .. والأهم من كل هذا أنهم **مارسوا شكلاً من أشكال تحديد النسل في هذا الزمن المبكّر (والأرجح بسبب قلّة الموارد) بطريقتين : (١) بقتل البنات الإناث الصغار . (٢) بالزواج المتأخّر** . واكتشفت في القرية آثار لعمليات القتل هذه ، إضافة إلى أنه اكتشف أن عظام الحوض للإناث البالغين لم يكن يوجد أي أثر عليها يدل على حمل .. ومتوسط عمر الشاب في القرية هو (٢٥) عاماً ، وحين يموت كان يدفن في نفس البيت الذي يسكنه ، وبعد الدفن تهجر العائلة البيت وتتركه للميّت ، وهذه الهجرة من البيت تمارس إلى اليوم في بعض مناطق **حوض الأمازون** .

وعلماء الإنسان لا يعلمون بالضبط كيف استقر هذا الشعب في هذا المكان بعد أن كانوا قبائل رحّل ، ولا يعلمون أيضاً كيف هُجرت القرية بعد (٣٠٠٠) سنة وصارت أراضيها صحراء قاحلة بعد أن كانت أراضيها مشجّرة .. ويقول (**بينيفر**) : يبدو أنهم قد استهلكوا شجرهم وغاباتهم بمرور السنين ، ولما صارت أراضيهم قاحلة جرداء هجروها .. تماماً كما نفعل نحن الآن بغاباتنا .

لوحة وفنان

● رمز رقم (١) ●

● يصور الفنان فؤاد الفتيح رؤيا ميتافيزيقية لعالم غريب ربما هو عالم الفنان أو حلم من أحلامه المستقبلية .؟ أو هو تعبير عن ذاته الكامنة ، فهو يجسد ويسجل هنا لحظة من لحظات اللاشعور .

● اللوحة مشهد مصوّر من داخل أبنية ضخمة متعددة ومتتالية ومتداخلة ليس لها جدران ، لذا تظهر أعمدتها الخرسانية فقط ، وتلك الأعمدة هي أساس البناء التشكيلي في اللوحة أيضاً .. فهي تقطع اللوحة هندسياً من أسفلها إلى أعلاها وتحرك معها العين حركة رأسية بندولية ، وتبدو اللوحة وكأنها مشهد لمقطع أو لشريحة شفافة مستمدة من الذاكرة .

● يصوّر في اللوحة رجل في جلسة أشبه بجلسات اليوجا ، بجانبه حية ، ويحمل فوق رأسه خنجراً يمنياً كبيراً مزخرفاً داخله فتاة ، وخلف مقبضه طائر جميل في حالة هبوط على رجل يقف ساكناً أمام مسجد .. وفوق الخنجر يشيد الفنان قصراً كبيراً وأبنية أخرى ، ويتدلى من أعلى اللوحة عنقود كبير من العنب .

● أسلوب الفنان في هذه اللوحة مستمد من حضارات مختلفة انصهرت داخله ، وكونت تلك الرؤيا الميتافيزيقية .. فقد استمد الأسس البنائية وكيفية صياغتها من عدة مدارس غربية حديثة : مثل التجريدية في التشكيل العام للوحة ، والسيريالية والميتافيزيقية في رؤية ما وراء الواقع .. والرمزية حيث استخدم عناصر ومفردات لها دلالتها الرمزية كالطائر وعنقود العنب والحية .. بالإضافة إلى استخدام الأزياء والطرز المعمارية والأشكال الآدمية من البيئة اليمنية .. كما أنه استمد رؤية البناء من الداخل من الفنون الإسلامية ، وأستاتيكية حركة مشخصاته والتماثل « السيمترية » من الفن المصري القديم « الفرعوني » .

● فؤاد الفتيح ●

● ولد بالحجرية في اليمن عام ١٩٤٨ م .

● نال شهادة الثانوية العامة ، ثم رحل إلى ألمانيا الغربية ، ومكث بها ثمانية أعوام .

● حصل على دراسات عليا في الفنون من أكاديمية الفنون الجميلة بدسلدورف في ألمانيا الغربية عام ١٩٧٨ م ، وتخصص في الرسم والحفر .

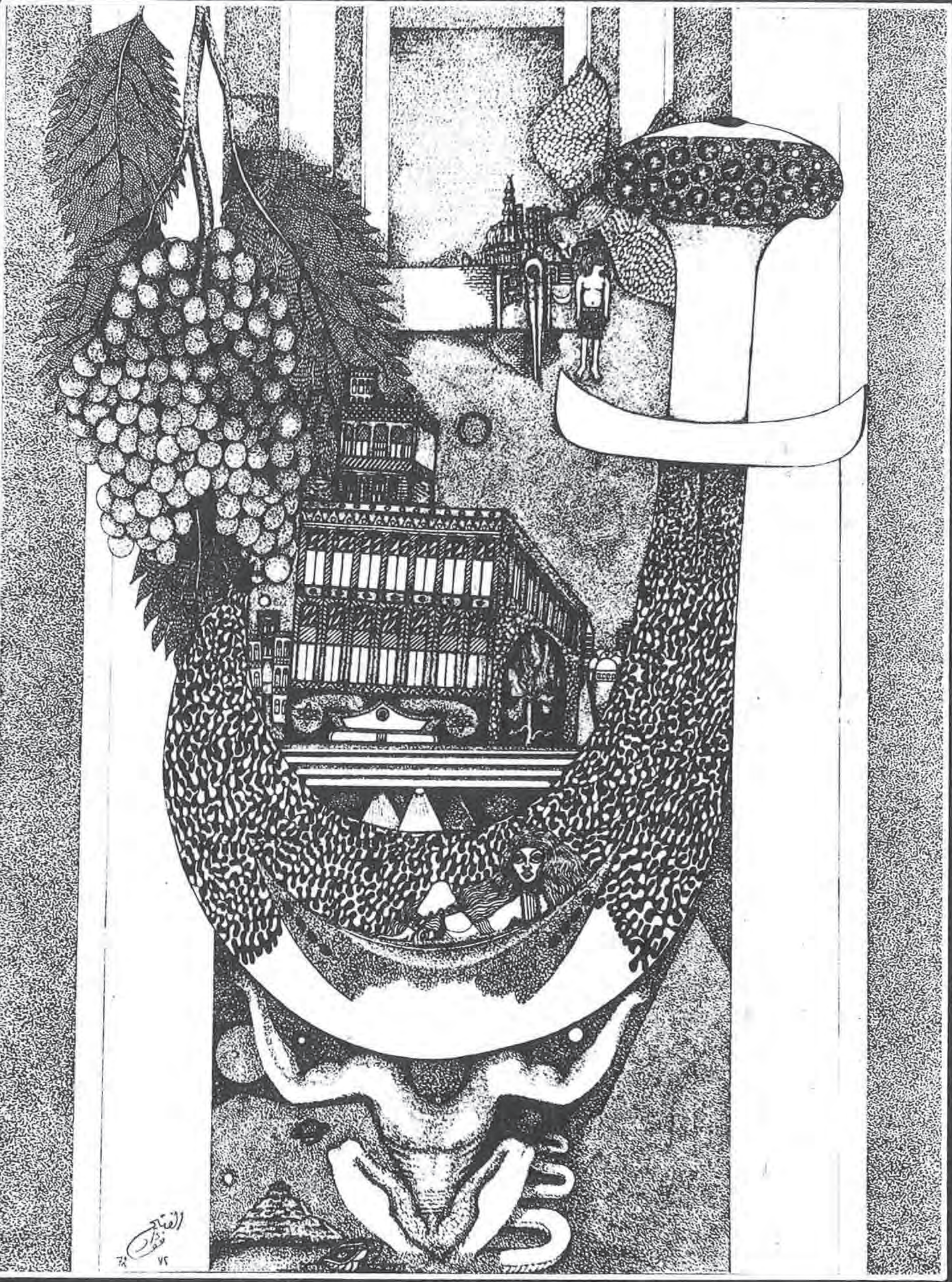
● عاد إلى وطنه « اليمن » ليشغل وظيفة مدير إدارة الفنون التشكيلية .

● رسم موضوعات متنوعة عن الأطفال ، كما رسم عدة كتب للأطفال منها خمسة كتب لدائرة ثقافة الأطفال ببغداد ، وأيضاً كتاب للورشة التجريبية العربية للأطفال بالقاهرة .

● أقام عشرة معارض شخصية معظمها بألمانيا الغربية ، وفرنسا ، وبلجيكا ، والعراق .

● اشترك في عدة معارض عامة ودولية في بلاده ، والسعودية ، ويوغوسلافيا ، والنرويج ، وألمانيا الغربية ، وأمريكا ، وبلجيكا .

● حصل على عدة جوائز وميداليات وشهادات تقديرية منها : (جائزة ثانية للشعار الدولي للمرأة عام ١٩٧٥ م) ، (ميدالية من متحف الإسكندرية للفنون) ، (شهادة تقديرية من الأمم المتحدة عن تصميم الشعار الدولي لنزع السلاح لعام ١٩٨٢ م) .





ذهب الصحراء الأبيض

بقلم :
د. مهندس : مظفر صلاح الدين شعبان
مهندس : سمير صلاح الدين شعبان

★ قافلة الملح تمخر عباب الصحراء الكبرى ★



★ عندما تصل القافلة إلى مصدر للمياه ، تشرب الجمال أولا ثم الإنسان ★

من المعروف أن هنالك ثلاثة أنواع من الذهب :

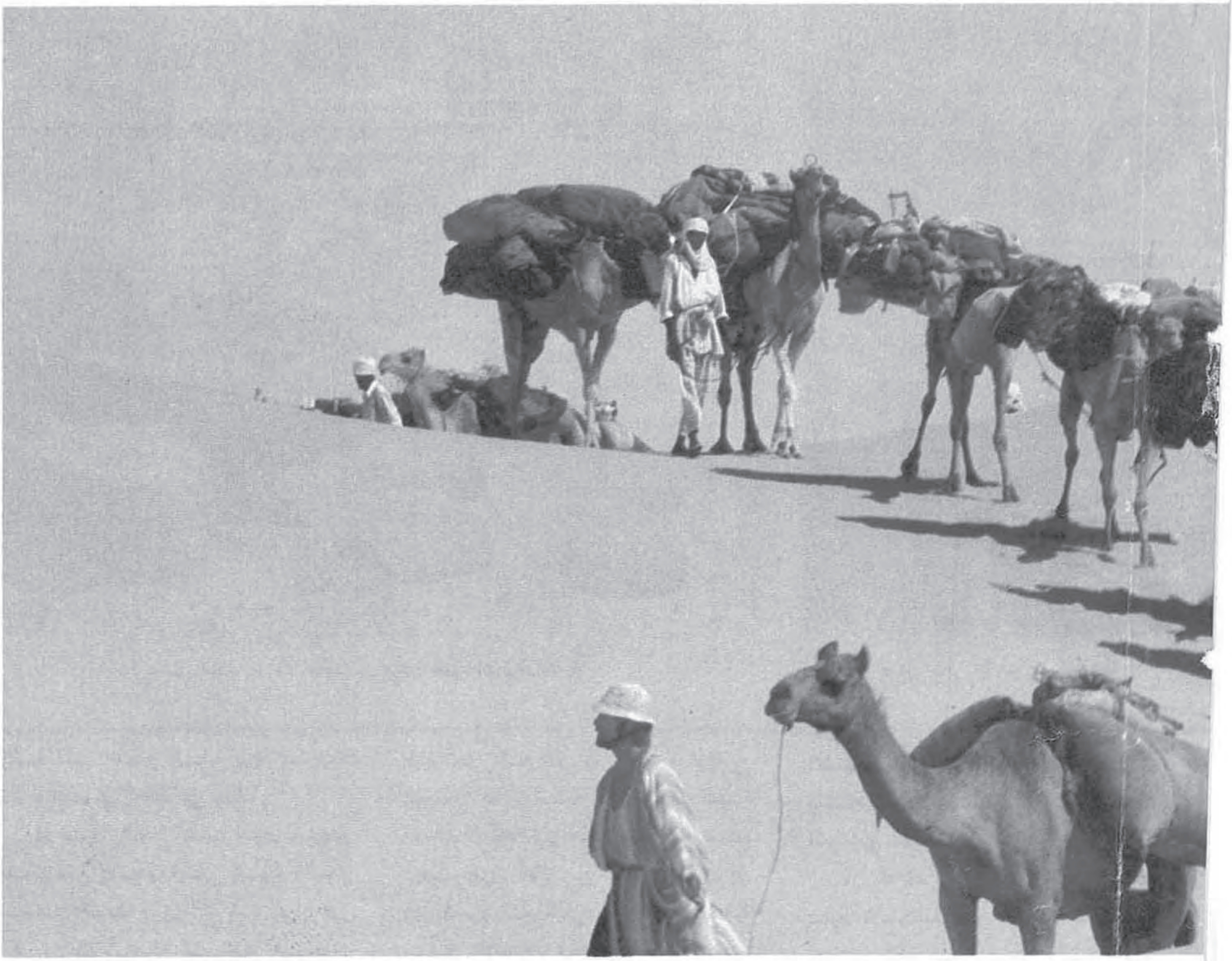
●● **الذهب الأصفر** : وهو المعدن الأصفر الرنان الذي يشكل أساس النقد العالمي ، والذي يتسابق الناس والدول على امتلاكه .

●● **الذهب الأسود** : النفط وهو أساس نظام الطاقة في العالم ومصدر معظم الصناعات البتروكيميائية .

●● **الذهب الأبيض** : القطن الذي يشكل أساس الصناعات النسيجية في كثير من الدول العربية وغيرها .

إلا أن **الكاتب الألماني كارل شتيدي** شاء أن يستعمل تعريفاً جديداً للذهب الأبيض أطلقه على « **ملح الطعام** » ، وذلك في معرض وصفه لرحلة مثيرة اشترك فيها في قلب القارة الإفريقية لنقل الملح على ظهور الجمال سيراً على الأقدام ، وفي فصل الصيف الحارق عبر مسالك طولها ٥٠٠ كم في درجة حرارة تجاوزت نهاراً حوالي ٧٠° مئوية .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل يستحق الملح هذه التسمية ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه المقالة .



★ إنهم يحملون الملح على ظهور الجمال ★



أهمية الملح

في الصحراء لا يقوم الملح بحفظ الأغذية أو تحسين نكهة الطعام فحسب (وهي الاستعمالات المألوفة لملح الطعام في المدن) بل إن ضرورته للحياة تعادل ضرورة الماء العذب. **فالإنسان يفقد يومياً أثناء عملية التعرق حوالي ١٠ ــ ١٥ غراماً من الملح ولا بد من تعويض هذه الكميات**، ولا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان. وهذا يعني أن كل ساكن في الصحراء يحتاج سنوياً إلى



★ الملح سيء النوعية ، المختلط بالتراب يحول إلى أقراص تلعقها الدواب والحيوانات ★



★ أحد حراس قافلة الملح يمسك برمحين ★

كمية من الملح تقدر بـ ٣,٥ ـ ٥,٥ كيلوغرامات كي يحافظ على حياته .

في الصيف الماضي أطلقت أسواق **مدينة نغويغمي الواقعة على بحيرة تشاد** صيحات الاستغاثة إذ إن الملح فيها أشرف على النفاد ، وكان لا بد من نقل الملح إليها من **بيلما** التي تبعد عنها مسافة ٥٠٠ كم عبر صحراء ملتهبة وبواسطة الجمال ؛ إذ إن مسار الرحلة لا يسمح لوسائل النقل الحديثة بالمرور . ومع أن الملح ينقل في العادة إلى هذه المدينة في الشتاء ، إلا أن الضرورة اقتضت أن ينقل إليها هذه المرة في فصل الصيف وسط أهوال ومخاطر عديدة أهمها احتمال جفاف الآبار الموجودة على طول الطريق ، أو انحراف الدليل عن الطريق الصحيح ، أو احتمال المباغتة من قبل قطّاع الطرق الذين يسعون فقط للحصول على الملح ؛ لأن قيمة ما تحمله الجمال على ظهورها في هذا الجزء من الصحراء أثمن من الذهب وأغلى من اللحم والقماش .

وقد فقد **كارل شتيدي** في هذه الرحلة ١٣ كغ من وزنه . فالشمس التي تبقى عمودية طيلة النهار كانت تلهب الظهور ، وتلفح الأوجه . كما أن الطعام كان ضعيف القيمة الغذائية لا يكاد يقيم الأود ، وهو غير صالح لتجديد القوى المنهكة من السير . يضاف إلى ذلك صعوبة السير البطيء على الرمال الحامية مشياً على الأقدام . فالقبائل المحلية لا تركب الجمال لأنها تعتبرها كأصدقاء لها ولا تحملها سوى البضاعة المطلوب نقلها ، علماً أن هذه القبائل لا تجهد الجمال سوى مرة واحدة في الموسم الواحد . فالجمال تحتاج عدة أشهر من الراحة كي تستعيد نشاطها بعد مثل هذه الرحلة التي تستغرق ١٣ يوماً ذهاباً و ١٣ يوماً إياباً . . . أما بالنسبة لسكان نغويغمي فإن وصول القافلة بسلام يعني منحهم حياة جديدة . فبعد وصول القافلة بعدة دقائق يباع الملح كله .

ولكن هل يحافظ الملح على أهميته في خارج الصحراء مثل داخلها تماماً ؟ .

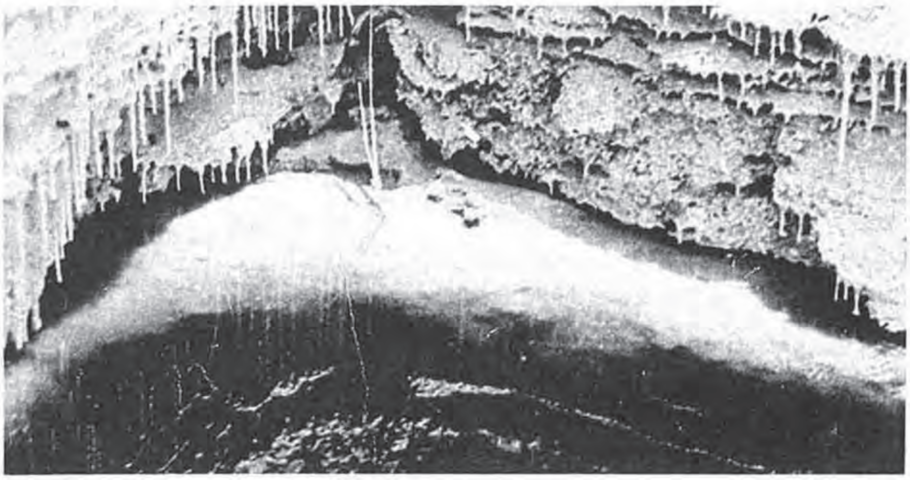
يجمع الاختصاصيون على أن الملح ضروري لاستمرار الحياة ، كما أن **انعدام الملح في الطعام يؤدي إلى الصداع ، وقلة الشهية للطعام وضعف العضلات وتشنجها** . وإذا نقصت كمياته عن حد معين فقد يؤدي ذلك إلى الوفاة .

من الملاحظ أيضاً أن كمية السوائل التي يتناولها الإنسان بعد أكل الأطعمة المالحة أكبر بكثير من الكمية التي يطرحها الإنسان (مع البول أو العرق) . وهكذا فإن **الملح يقوم بالاحتفاظ بالماء في أنسجة الجسم** ، علماً أن كل ١٠ غرامات إضافية من الملح قادرة على حجز لتر كامل من الماء . وبالعكس فإن نقص تزويد الجسم بالملح يؤدي إلى طرح كميات كبيرة من الماء التي يحتاجها الجسم البشري .

من ناحية أخرى فإن زيادة كميات الملح في الجسم لها آثار سلبية على معظم الأجهزة الرئيسية . ورغم أن الدراسات العلمية أثبتت أن الجسم البشري بحاجة إلى ٣ ـ ٨ غرامات من الملح يومياً ، إلا أن استهلاك الفرد في المجتمعات المتقدمة يزيد عن ٢٠ ـ ٢٥ غراماً . ومن المعروف أن الأطعمة المالحة تولد الشعور بالعطش فيضطر الإنسان بعد تناولها إلى شرب كميات كبيرة من الماء والسوائل الأخرى . وهذا



★ أحد الجمال مصاب بالإغماء بسبب العطش ★



★ زاوية لإحدى المالح تشاهد على جدرانه «نوازل» الملح الشبيهة بتلك المشاهدة في بعض الكهوف ★



★ حفنة من الذهب الأبيض تضمن استمرار حياة ابن الصحراء شهراً كاملاً ★

يجهد القلب والأوعية الدموية (جهاز الدوران) نظراً لأن هذه السوائل تكبر حجم **الدم**، علماً أن آثار ذلك تظهر بشكل خاص على المصابين بأمراض **القلب والكلى**. وقد يؤدي الإفراط في تناول الملح عند هؤلاء إلى عواقب وخيمة.

استعمالاته

تشير حفريات علماء الآثار أن ملح الطعام كان أول «الفلزات» التي احتلت مكانة بارزة في حياة الإنسانية. وقد تميز بهذه الأهمية نظراً لاستخدامه بالدرجة الأولى في تمليح الطعام لتحسين مذاقه، وحفظ اللحوم والخضار وسائر المأكولات.

ومع الثورة الصناعية تقدمت كذلك الصناعات الكيميائية وأصبح ملح الطعام (**كلوريد الصوديوم**) المادة الخام الرخيصة لكثير من المنتجات الهامة مثل الصود الكاوي (الذي يدخل في صناعة الصابون وجميع مساحيق التنظيف تقريباً)، حمض كلور الماء (**روح الملح**)، الصودا (التي تستخدمها ربات البيوت في الغسيل، وتدخل في تركيب الزجاج والبورسلان) **وغاز الكلور** (الذي فتح إنتاجه بكميات كبيرة من ملح الطعام إلى فتح الباب لثورة اللدائن (**البلاستيك**) التي نعيش فيها حالياً) . . . وغيرها. كذلك أصبح كلوريد الصوديوم مادة مساعدة في صناعات كل من الأصبغة، التعدين، تعليب المواد الغذائية وغيرها.

ونظراً لأهميته البالغة فقد أنتج العالم من ملح الطعام عام ١٩٦٥م، حوالي ٤٠ مليون طن. استخدم معظمه كمادة أولية في الصناعات الكيميائية (في ألمانيا مثلاً ٧٠٪).

ومن المثير القول إن إنتاج الملح وتجارته كانت تؤثر بشكل ملحوظ على **الحياة السياسية في أوروبا** في بعض فترات القرون الوسطى، كما يستدل على **الأهمية** التي كان يحظى بها في تلك العصور من إطلاق اسم الملح على العديد من المناطق والمدن. وقد كان الملح كثير التوفر في ألمانيا. فقد كان بمقدورها وحدها أن تموّن جميع دول العالم بالملح، لولا تعارض هذا الأمر مع قوانين االمكوس (**الجمارك**) والضرائب التي كانت سائدة في تلك الحقبة من الزمن.

مصادر الملح وطرق استخراجه

تعتبر **المحيطات** خزانات ضخمة للملح إذ تحتوي بشكل وسطي ٣,٥ بالمائة من وزنها ملحاً. وهذا يعني أن كل كيلوغرام واحد من ماء البحر يحتوي ـ وسطياً ـ ٣٥ غراماً من الملح الذائب فيه. لكن نسبة الملح ليست ثابتة في جميع بحار العالم، فهي تختلف من منطقة إلى أخرى في العالم ومن بحر إلى بحر كما هو مبين في الجدول التالى :

اسم البحر	كمية الملح الذائبة في كل ليتر من ماء البحر [غرام]
بحر البلطيق	٨
البحر الأسود	١٨
المحيط المتجمد الجنوبي	٣٥
البحر الأبيض المتوسط	٣٨
البحر الأحمر	٤٠

الخليج العربي	٤٠
البحر الميت	٢٤٠
بحر قزوين	٢٦٠

نستخلص من الجدول السابق أن بحار المناطق الحارة ـ بشكل عام ـ أكثر احتواء على الملح من المناطق الباردة . ويعود وجود الأملاح **في البحار والمحيطات** إلى أن مياه الأمطار التي تهطل على اليابسة تحل بعض الأملاح الموجودة في الصخور فتجرفها معها في الجداول والأنهار لتصب في البحر مثواها الأخير .

ويعتقد بعض العلماء أن المحيطات تحتوي ما يزيد على ٣٦٠٠٠ مليار طن من الملح .

وقد يحدث في بعض الحالات أن لا تصب الأنهار المحملة بالأملاح الذائبة في البحر أو المحيط وإنما تنتهي إلى **بحيرة** مغلقة . مثل هذه البحيرات تكون عادة شديدة الملوحة ؛ نظراً لأن الأملاح تبقى فيها بينما يتبخر كثير من مائها بفعل **أشعة الشمس** مما يزيد من نسبة الملح وتركيزه في البحيرة بمرور الزمن . ولهذا السبب يطلق على مثل هذه البحيرات في كثير من دول العالم اسم « **بحيرات الملح** » نظراً لغناها الكبير بالأملاح . **فالبحر الميت** مثلاً يحتوي كل ١٠٠ غرام من مائه على ٢٤ غراماً من الملح ، أي أن نسبة الملح في الماء تعادل الربع تقريباً .

في المناطق الصحراوية لا تنشأ ـ بشكل عام ـ إلا بحيرات مؤقتة أو بالأحرى « **مستنقعات ملحية** » ما تلبث أن تجف بعد انتهاء موسم هطول الأمطار بفترة قصيرة مخلفة وراءها طبقة من الأملاح الجافة .

بالإضافة إلى المصادر السابقة توجد في بعض مناطق العالم « **مناجم** » للملح الذي يطلق عليه اسم « **الملح الصخري** » . ويعتقد أن هذه المناجم والمكامن الملحية نشأت عن جفاف بعض البحار الداخلية عبر العصور التاريخية السحيقة . **ويقدر مخزون مناجم الملح الصخري في العالم بحوالي ١٠٠٠ (ألف) مليار طن ، أكبرها موجود في شمال ألمانيا ، وقرب ليفربول في إنكلترا وفي كوردونا في إسبانيا .**

كيف السبيل إلى الاستفادة من المصادر السابقة في الحصول على ملح الطعام الذي لا غنى عنه لاستمرار حياة الإنسان وكثير من الصناعات الهامة .

يتم استخراج الملح الصخري من المناجم بطرق مشابهة لاستخراج الفحم الحجري ، حيث تحفر طبقات الملح الموجودة في المنجم تحت سطح الأرض ، ثم ينقل الملح المتجمع وينقل بعربات خاصة إلى سطح الأرض استعداداً لنقله إلى منشآت تنقيته وطحنه وتغليفه .

يستخدم هذا الملح في **الدول المتقدمة** للأغراض الصناعية أو لإضافته إلى علف الحيوانات .

ومع تقدم **التكنولوجيا** ابتكر الإنسان طريقة أسهل لاستخراج الملح من هذه المناجم **كما هو مبين في الشكل .**

يتم هنا ضخ الماء إلى قعر المنجم لإذابة الملح وإخراجه إلى سطح الأرض بشكل ذائب في الماء . في البداية يغطى « **محلول الملح** » في قعر المنجم بطبقة من **الزيت** تمنع الذوبان في الاتجاه الشاقولي ، وتجعله يستمر بشكل عرضاني (أفقي) حتى يبلغ قيمة محسوبة لا يتعداها ؛ لأن التوسع العرضاني الزائد قد يؤدي إلى انهيار الطبقات الملحية الموجودة فوقه . بعد الوصول إلى العرض المطلوب تسحب طبقة الزيت ، فيبدأ ذوبان المنجم بالصعود من قعر المنجم



★ البلورات البيضاء فقط من الملح المستخرج من واحة بيلما يصلح لغذاء الإنسان . هذه الملحة هي مصدر الغنى الرئيسي لأهلها ، فكل كيس يباع بما يعادل ١٠٠ دولار ★

بالاتجاه الشاقولي (الرأسي) حتى يصل إلى سطح الأرض . عندها يحفر ثقب جديد . . . وهكذا .

محلول الملح المستخرج بهذه الطريقة إما أن يستخدم مباشرة في الصناعات الكيميائية ، أو يجفف في « **غلايات** » ترفع درجة حرارته حتى يتبخر منه الماء مخلفاً وراءه ملحاً نقياً جافاً يستخدم معظمه على موائد الطعام .

في المناطق الدافئة الفقيرة بمناجم الملح الصخري يستحصل على الملح عن طريق تبخير ماء البحر فيما يسمى « **بالمملاح** » بمساعدة حرارة الشمس (وخاصة في فرنسا ، إيطاليا ، اليونان ، إسبانيا ، والولايات المتحدة الأميركية) .

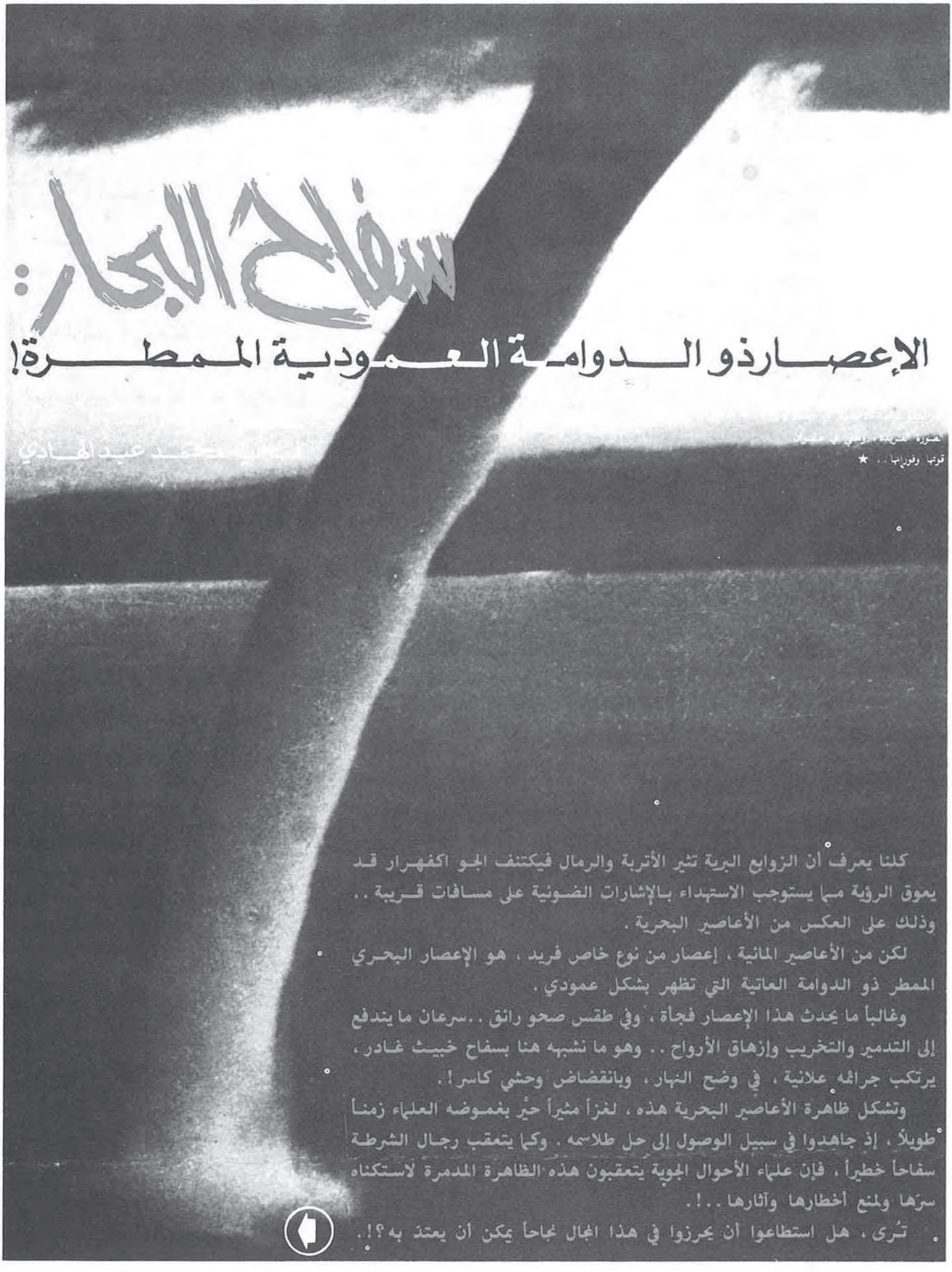
وهنا يمرر ماء البحر **في الربيع** إلى أحواض كبيرة خاصة (الممالح) . وبعد أن يتبخر قسم كبير من الماء ، حيث يترسب التراب والمواد الأخرى غير الملح ، ينقل ماء البحر المشبع بالملح إلى أحواض أخرى واسعة قليلة العمق . هنا يترك الملح ليجف تماماً ويحصل عليه بصورة نقية تقريباً ، فيجمع على شكل أكوام بواسطة الجارف .

يتراوح « محصول » المتر المربع الواحد من مثل هذه الممالح في المواسم الجيدة بين **٥٥** و ٧٠ كغ من الملح ، يتم الحصول عليها خلال ٤٠ يوماً ، بعد أن يقطع مراحل طويلة ومتعددة ينتقل بها مع مياه الأمطار ومع الأنهار والبحار إلى مستنقعات الملح وأحواضه .

وبعد

وعلى الرغم من أهمية الملح الغذائية والصناعية ، إلا أننا لم ننظر إليه يوماً على أنه عنصر يتمتع بهذا القدر من الأهمية ، لأننا كنا نرى دوماً كمياته الوفيرة محيطة بنا ، كما أننا لا نشعر بأية صعوبة في الحصول عليه وبالكميات التي نحتاجها .

ومع ذلك يجب أن لا يغيب عن بالنا أن دور الملح في حياتنا أثمن وأغلى من جميع أنواع الذهب المعروفة .



سفاح البحار:

الإعصار ذو الدوامة العمودية الممطرة!

محمد عبد الهادي

قوتها وفورانها .. ★

كلنا يعرف أن الزوابع البرية تثير الأتربة والرمال فيكتنف الجو اكفهرار قد يعوق الرؤية مما يستوجب الاستهداء بالإشارات الضوئية على مسافات قريبة .. وذلك على العكس من الأعاصير البحرية.

لكن من الأعاصير المائية، إعصار من نوع خاص فريد، هو الإعصار البحري الممطر ذو الدوامة العاتية التي تظهر بشكل عمودي.

وغالباً ما يحدث هذا الإعصار فجأة، وفي طقس صحو رائق .. سرعان ما يندفع إلى التدمير والتخريب وإزهاق الأرواح .. وهو ما نشبهه هنا بسفاح خبيث غادر، يرتكب جرائمه علانية، في وضح النهار، وبانقضاض وحشي كاسر!.

وتشكل ظاهرة الأعاصير البحرية هذه، لغزاً مثيراً حيّر بغموضه العلماء زمناً طويلاً، إذ جاهدوا في سبيل الوصول إلى حل طلاسمه. وكما يتعقب رجال الشرطة سفاحاً خطيراً، فإن علماء الأحوال الجوية يتعقبون هذه الظاهرة المدمرة لاستكناه سرّها ولمنع أخطارها وآثارها ..!.

تُرى، هل استطاعوا أن يحرزوا في هذا المجال نجاحاً يمكن أن يعتد به؟!.

سفاح البحار

أعاصير فلوريدا

عندما كان المواطن «**بيل رايت**» يدهن زورقه بالطلاء، على رصيف **شاطئ** «**بوكا جراندكي**» **في فلوريدا**، رأت زوجته سحابة في شكل قمع، هابطة من السماء متجهة صوب المحيط، ثم تمددت السحابة واتسعت على الفور، ودارت دوراناً سريعاً مندفعة نحو الشاطئ وكأنها نذير مشؤوم، فاندفع الزوجان إلى سقيفة معدنية قريبة منها بغية الاحتماء تحتها، ثم طرحا جسميهما على الأرض. وكانت السقيفة مدخلاً لمبنى يقوم على أعمدة أربعة. وفي ثوان، انقضّت السحابة على ذلك المبنى وطوقته بدوامتها الرهيبة فقوضته وطوحت به وبالزوجين على بُعد مسافة تبلغ خمسين قدماً من المكان الأصلي، ثم أسقطت الرجل وزوجته بين أشجار



★ الأعصار العمودي التوأم، حيث يثور على شاطئ «فلوريدا كيز» في شهور الصيف من كل عام ★

كثيفة، وقد عانا الأمرين من تلك التجربة المباغتة، كما تهشم زورقهما وتناثر حطامه.

وقد حيّرت تلك الحادثة العجيبة علماء الظواهر الجوية عدة سنوات، لغرابتها وسرّها الملغز!.. إن ذلك الإعصار العمودي الممطر تعصف دوامته السريعة بكل جسم يوجد على سطح المياه وتكتسحه، فإذا امتد عنفوانه إلى الشاطئ اجتاح أيضاً كل ما يصادفه على البر من منشآت وممتلكات وبشر! إذ تثور رياحه الدوّامة على سطح البحر فتزيد المياه وترتفع في شكل ربوة أو أكمة عالية ذات رشاش غزير يندفق من مركز الدوامة التي تتشكل في هيئة عمود تظل أطرافه الخارجية تدور وتبرم بسرعة ٤٥ عقدة تقريباً. أما السرعة التي تحدث في قلب الإعصار فتبلغ أضعاف ذلك، على حين يتراءى بوضوح الرذاذ الغزير المثار على سطح المياه، وكذلك البخار المتصاعد من قمع الإعصار.

في الماضي البعيد، في القرن الأول قبل الميلاد، كتب **الفيلسوف الشاعر الروماني** «**لوقريطس**» عن ظاهرة «الغليان».. غليان مياه البحر بفعل «عمود يسقط من السماء» نحو البحر. فقد استرعى انتباهه أن السفن التي تقع فريسة في قبضة الإعصار العمودي، تنقلب فتفتك بها دوّامة ذلك الإعصار وتدمرها تدميراً.

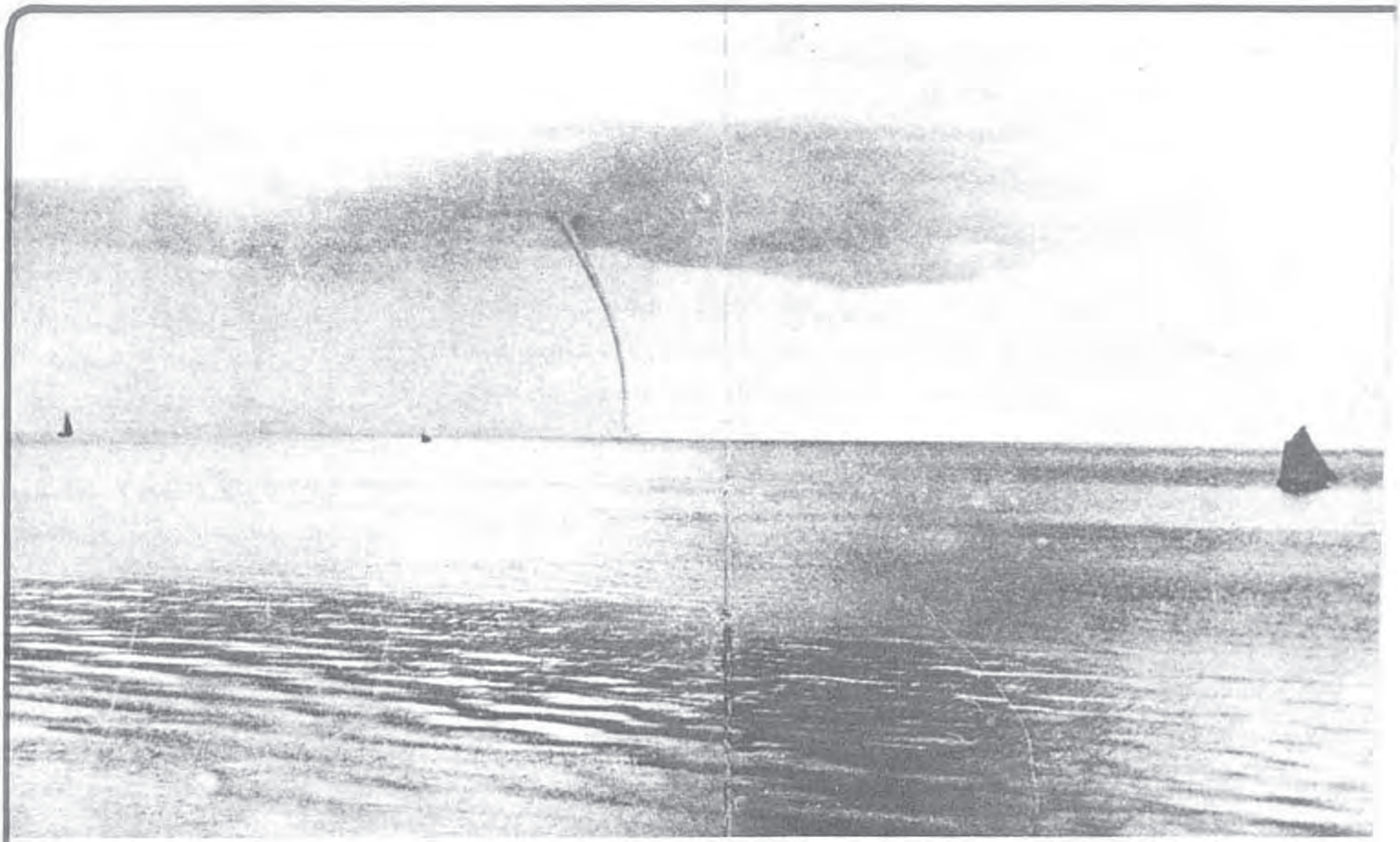
أما **الدكتور** (**روبرت هـ. سيمبسون**)، المدير السابق للمركز القومي لأبحاث الزوابع والأعاصير في «كورال جيبلز» بفلوريدا، فقد أعلن، «أن السفينة التي تقع في قبضة إعصار البحر، تشطرها دوامته وتفلقها، بل تمزقها إرباً بفعل الضغط الكاسح»، إذ إن عمود ذلك النوع من الأعاصير تبلغ مساحة قاعه حوالي ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى البحر، على حين يقاس أكبر قمع إعصاري بحوالي ٤٥٠ قدماً بالقرب من قمته. وعلى الرغم من أن قمع الإعصار قد لا يلامس سطح الماء، إلا أن دوامته تدور بقوة ضاربة ضرب السياط، فينبجس رشاش المياه ويندفع رذاذها الكثيف متصاعداً إلى ارتفاع يبلغ ٥٠٠ قدم، ويدور الإعصار المائي العمودي فوق سطح البحر بسرعة ٣٠ عقدة، ثم لا يلبث عادة أن يتشتت ويتبدد في النهاية، بعد دقائق قليلة أو بعد نصف الساعة مَن تشكله على هيئة قمع عمودي، وهو يسبّب دماراً هائلاً.. وجدير بالذكر هنا أن الأعاصير البحرية ذات الدوامات، ليس جميعها مدمراً، إذ إن كثيراً منها يسبب عادةً خسائر طفيفة، وهي التي يصيبها التقلص والوهن والتحلل.

إعصار «ميامي»

ومن الثابت، في الوثائق العلمية الحديثة، أن الإعصار السفاح المدمر، قد انقض عام ١٩٦٨م، انقضاضاً كاسراً على أحد الشواطئ الأمريكية بالقرب من «**ميامي**»، حيث كانت توجد أعداد كبيرة من السفن والزوارق. وقد رؤي هذا الإعصار يومذاك على هيئة قمع يبلغ قطره القريب من قاعدة سحابته حوالي ٣٠٠ قدماً. ويقول شهود عيان إن هذا الإعصار قد اختطف جميع صواري الزوارق، وقلب السفن رأساً على عقب. كانت دوامته قوية عاتية، وأمطاره غزيرة، ودويّه رهيباً.. بل اتضح باستقصاء تفاصيل الواقعة، أن هذا الإعصار الدوّام البارم قد اكتسح كل العوامات هناك وجرفها في عنف، مبعداً إياها عن مراسيها بمسافة تقرب من مائة قدم، ثم خلفها حطاماً صار سياجاً خشبياً بلغ ارتفاعه ٨ أقدام. ولم يستغرق وقوع هذا الحادث المروع أكثر من ٣٥ دقيقة!.

هذه الأعاصير، أين تحدث؟ ومتى؟

وقد أولى بعض علماء الظواهر الجوية اهتماماً كبيراً بدراسة ذلك الإعصار المخرّب. ولم يكن ذلك بدافع الفضول لمعرفة أسرار الطبيعة فحسب، ولكنهم شغفوا بإماطة اللثام عن سرّ هذا «السفاح» الذي يعيث في البحر فساداً وتدميراً.. ووجد أن هذا الإعصار البحري الدوّام، ليس من الضروري أن يكون مصحوباً



★ الأعصار العمودي المروع ، الذي وقع عام ١٨٩٦ م ، وشوهدت دوامته العاتية وهي ترتفع في السماء بنحو ستة أميال فوق شاطئ « مارتا فينيارد » في « ماساشوسيتس » . وهو أحد الأعاصير الجبارة التي صُورت . وتبلغ كثافته ١٤٤ قدماً تقريباً ★



★ يجتاح الأعصار العمودي الدوّام المباني والمنشآت القريبة من مركز إنبعاثه ★

بطقس سيء أو بجو مكفهر تنعدم فيه إمكانية الرؤية ، على خلاف الزوابع البرية ! مما يجعل العلماء يتفاءلون باحتمال اكتناه السر الغامض . . فهم بذلك يستطيعون رصد الظاهرة وملاحظة وقائعها .

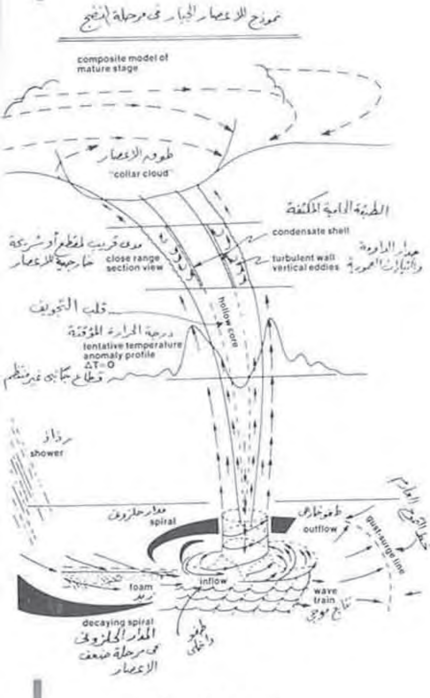
وقد شوهدت الأعاصير البحرية الدوّامة في : **المنطقة الاستوائية من المحيط الأطلنطي** ، وفي المحيط الهندي ، والبحر الأبيض المتوسط ، وخليج المكسيك ، وفي أماكن أخرى .

وإننا نستقي معرفتنا لأصول وجذور تلك الأعاصير البحرية من الدراسات التي أجريت في (فلوريدا) حيث تركزت الأبحاث المكثفة في هذا المجال ، منذ عام ١٩٦٠ م .

ويجدر بنا أن نشير إلى ملاحظة أبداها كثير ممن شاهدوا تلك الأعاصير . يقولون إنهم قد راقبوا طويلاً عدداً كبيراً منها حدث على شواطئ (فلوريدا) ، فوجدوا أن أغلب تلك الأعاصير يحدث في شهور الصيف ، بل في شهور يونيو (حزيران) وأغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) بوجه خاص .

دراسات علمية متصلة

وقد تمت إحدى الدراسات التجريبية المنظمة عن الأعاصير البحرية الدوّامة خلال صيف عام ١٩٦٧ م ، واستخدمت آنذاك



★ نموذج لتركيب الأعصار في مرحلة نضوجه ★

سفاح البحار

الطائرات تحت إشراف **عالم الطبيعيات « فيرنون ج . روسو »** ، وتعاون معه في ذلك المسؤولون بالمركز القومي لبحوث الأرصاد الجوية والإدارة المختصة بأبحاث الفضاء . وقد حاول (روسو) أن يزيح الغموض عن سرّ نشوء أو تولّد ذلك الإعصار ذي الدوامة الرهيبة ، وعن تشكله الغريب على النحو الذي ذكرناه آنفاً .

افترضت الأبحاث السابقة على « روسو » أن طاقة كهربائية تتولد طبيعياً وبدرجات مختلفة في بعض الطبقات من سحابة معينة هي التي تلعب دوراً في خلق فراغ بالقرب من مركز الدوامة العمودية ، وبذلك تقوى حركية الإعصار الذي سرعان ما يصير أشبه بمضخة تتمتع باستمرارية التدويم والدوران .

وظل البروفسور « روسو » مكبًّا هو وتلاميذه على دراسة هذا النوع من الإعصار الغريب ، الذي كثيراً ما يحدث ويتشكل في المساحات المائية من شاطئ « كيز » بفلوريدا . ووضع « روسو » ومساعدوه ، أربعة أجهزة حساسة خاصة بقياس إنحراف المغناطيسية وقوتها وذلك في إحدى الطائرات ، وعكفوا على رصد الدرجات التي تظهرها تلك الأجهزة بغية استبيان تلك الطاقة الكهربائية المحتمل وجودها في السحب التي يفترض أنها تطوي في جعبتها سرّ توليد ونشوء ذلك الإعصار المائي السفاح ! .

ولكن ، اتضح لهؤلاء الباحثين أن تلك السحب كانت تعلو وترتفع حتى تصل قممها فوق سطح البحر بارتفاع يتراوح ما بين ٨٠٠٠ و ١٢٠٠٠ قدم ، وأنه لا يوجد في تلك السحب على ذلك الارتفاع قدر من الطاقة الكهربائية يعتد به .

وبذلك استبعد البروفسور « روسو » فكرة التكهرب هذه ، التي افترض أنها تلعب دوراً تأثيرياً في تكوين الإعصار ، مما ضاعف من الحيرة بإزاء اللغز العصي المثير .

وقد اتضح من تلك الدراسة التجريبية أن بعض الأعاصير المائية يدور دوران عقارب الساعة ، وبعضها الآخر يدور في إنحناءات متداخلة وذلك من اليمين إلى اليسار وبالعكس ، وأن حركته في البدء تبدو ساكنة ظاهرياً ، ثم يتراءى في حركة شاردة ، وسرعان ما يخترق مياه البحر بسرعة تزيد عن ٣٠ عقدة . وهذا النوع من الأعاصير يأخذ في التشكل والارتفاع بطرق مختلفة ، فنرى القمع وقد التصق بالسحابة وغمرته أمطار تشتت وتبدد كيان الدوامة الذي يبدو وكأنه قد انكسر وتهشم مثل زجاج أصابته صاعقة .

وقد استنبط (روسو) من تقرير علمي وضعته **وكالة « ناسا » الأمريكية** ، أنه لا توجد علاقة بين ظهور قطر القمع وبين السرعة القصوى لدوران دوامة الإعصار أو حجم السحابة المولدة . . وإذن ، لم يصل العلماء إلى سبب يمكن على أساسه تفسير تكوين هذا الإعصار من تلك السحابة أو من سحابة أخرى مشابهة توجد في نفس المساحات المائية .

ولم يمكن « روسو » من الوصول إلى إجابات شافية عن الأسئلة التي تطرح بشأن تولّد حركة هذه الأعاصير وتشكلها . . لكننا نستطيع أن نقول إنه أضاف قيمة جديدة . . هي قيمة تجريبه الدقيق ، واقترابه من فحوى الظاهرة .

دراسات أخرى

في صيف عام ١٩٦٩ م ، استطاع **(جوزيف جولدن)** ، أحد علماء الظواهر والأحوال الجوية في المركز القومي لأبحاث الأعاصير في **« أوكلاهاما »** ، أن يضع برنامجاً لدراسة حقلية شاملة ، تستهدف استقصاء وتحري الحقيقة التي تتعلق بأعاصير **شاطئ « كيز » بفلوريدا** ، فتعقب بطريقة علمية وبأساليب تكنولوجية الدخان المنبعث من الضياء الساطعة على سطح المياه ، والذي يحيق بالإعصار الدوام هناك .

ولكي يحصل (جولدن) على بعض المعلومات عن الحركة الداخلية والخارجية لقمع هذا الإعصار فقد أطلق داخله « بالونات » ملونة وقصاصات صغيرة من الورق بدت في الجو أشبه بحفنات من التبن ــ بالإضافة إلى أنه قام بتركيب هوائي استكشافي يحدد صورة تفصيلية لمجال الإعصار ، ويتضمن أيضاً جهازاً « رادارياً » ــ كما استعان (جولدن) بمحطات الأرصاد الجوية في تسجيل ملاحظاته الخاصة بالعنصر الزمني .

نظرية المراحل الخمس

يعد تحليل (جولدن) لخمسة وتسعين إعصاراً تمّ له رصدها جوياً ، استطاع أن يستنبط أن « دورة حياة منتظمة » تستغرق عمر هذه الأعاصير ، وأن تلك الدورة تنطوي على خمس مراحل واضحة مميزة :

● **المرحلة الأولى :** تبدأ بظهور بقعة داكنة على سطح المياه ، وتتخلق هذه البقعة وتصير عموداً في هيئة دوامة . وتظهر تلك البقعة بوضوح وهي تمتد من قاعدة السحابة إلى سطح المياه .

● **المرحلة الثانية :** تتحرك البقعة خلال هذه المرحلة حركة حلزونية لولبية ، فتظهر في شكل شرائط تلمع تارة وتعتم تارة أخرى ، ثم يطرد نموها حول مكانها الأصلي الذي بدأت منه حركتها .

● **المرحلة الثالثة :** يتكون في المرحلة الثالثة رذاذ يتدفق حول البقعة الداكنة ثم ينمو ويرتفع في شكل قمع واضح .

● **المرحلة الرابعة :** وهي المرحلة التي يبلغ الإعصار فيها درجة النضج ، فنرى دوامته كثيفة الرذاذ ، قوية الاندفاع . ويتطاول القمع ويتسع قطره إلى أقصى مداه . وفي نفس الوقت ، نجد أن هذا الشكل الحلزوني لحركة الإعصار ، ينكمش ويتقلص ثم لا يلبث أن يصيبه الوهن .

● **المرحلة الخامسة :** في تلك المرحلة الأخيرة ، يتحلل الإعصار ، فيتشتت ويتفرق



★ التقط هذه الصورة أحد ضباط البحرية الأمريكية ، من فوق إحدى حاملات الطائرات أثناء عبورها المحيط « الباسفيكي » – ويرى مدى استطالة الدوامة للأعصار الغريب ! ★

كيانه ، وهو أحياناً ينقطع ويبتر فجأة تحت تأثير مجرى (مطب) هوائي ، كالذي يحدث بالقرب من رخّات المطر .

إن المرحلتين الأولى والرابعة هما أطول المراحل زمنياً ، إذ يستمر كل منهما مدة تتراوح ما بين ٢٢ دقيقة و١٧ دقيقة ، وهما يتضمنان أغلب عمر الإعصار .

واستخلص كثير من علماء الأحوال الجوية بعض النتائج ، منها أن الأعاصير المائية تتكون وفقاً لدرجات حرارة سطح البحر وارتفاع درجات الرطوبة وتوافر الضوء وانخفاض سرعة الرياح .. لكن البحث عن لغز الأعاصير البحرية ، سواء المسالمة منها أو المدمرة ، ما يزال جارياً .

ففي سبتمبر (أيلول) عام ١٩٧٤ م ، تضافرت جهود **المركز القومي لأبحاث الأعاصير « بأوكلاهاما » وجامعة « كولورادو »** ، من خلال إعداد مشروع مشترك يقوم على منهج علمي دقيق . وباختصار ، فقد اخترقت لأول مرة طائرة مجهزة بمعدات وأجهزة خاصة ، عدداً من هذه الأعاصير المائية ذات الدوامات التي تحدث على شاطئ « كيز » بفلوريدا ، ووجد العلماء أن الإعصار يتمدد قطره ويتسع من ١٠ إلى ١٥ قدماً ، وكانت الطائرة تتجه نحوه مباشرة وتجري بعض القياسات ، ابتداء من ارتفاع يبلغ ١٢٠٠٠ وحتى مستوى قاعدة السحابة المولدة .

وأدلى (جولدن) الذي شاهد الأعاصير من العلو الشاهق داخل الطائرة ، بحديث علمي **لمجلة « سورفيور » الأمريكية** ، قال فيه :

« بما أن قطر أي إعصار من تلك الأعاصير كان أصغر من الامتداد العرضي للطائرة (وهو ٤٥ قدماً) . وأيضاً ، بما أن الطائرة تمرق بسرعتها البالغة ١٣٠ عقدة ، فإن الطائرة كانت تدخل في الإعصار وتخرج منه في ثانية واحدة » .

ويقول أيضاً : من الواضح أن رجّةً عنيفة كانت تحدث أثناء مرورنا بالإعصار ، ثم لا نلبث أن نجد أنفسنا سريعاً خارجه ! .

وما يزال (جولدن) وتلميذه (**بيتر سنكلير**) يقومان بتحليل معلوماتهما ، إذ إنهما لم يصلا بعد إلى ما يؤيد نظريتهما القائمة على المراحل الخمس .

ولكن (جولدن) يختتم حديثه قائلاً : عندما تتجمع لدينا الحقائق ، فإن الجهود لا بد أن تبذل لمنع أو تعديل تولّد أو تكوّن الأعاصير . وهذا هو الهدف النهائي المأمول ، لأن النجاح في منع نشوء ونموّ تلك الأعاصير المدمرة ، يعني منع خسائر في الممتلكات تقدر بملايين الدولارات ، كما يعني إنقاذ أرواح الأبرياء الذين يقعون ضحايا في قبضة الإعصار .. السفاح الرهيب ! .

رحلات تاريخية

ماركو بولو

رحالة بندقي ولد سنة ١٢٥٤م ، شغف بالصيد ، وسافر مع والده وعمه من أجل الصيد سنة ١٢٧١م ، وكانا قد زارا كيفنج عاصمة كوبلاي خان الشرقية سنة ١٢٦٦م ، وصلت رحلتهم إلى كامبالوك « بيينج » الحالية سنة ١٢٧٥م .

التحق « ماركو » ببلاط **قوبلاي** ، وقد كان قوبلاي « ١٢١٥ ــ ١٢٩٤م » إمبراطور مغولي ، ومؤسس أسرة يوان الحاكمة في الصين ، خلف أخاه « **مانچو خان** » ، للإمبراطورية التي أسسها جدهما « **جنكيز خان** » وقد أحرز قوبلاي خان نصراً حاسماً ١٢٧٦م ، على أسرة سنج الحاكمة في الصين ، وبلغ بهذا الانتصار ، أقصى اتساع لإمبراطوريته . شن حملات على اليابان ، وجنوب شرقي آسيا وأندونيسيا ، وقد أسس عاصمته الجميلة الفخمة « **كمبالوك** » « **بيينج الآن** » ، واستقبل فيها عدداً كبيراً من الأوروبيين ، وقد أعجب بها « ماركو پولو » ووصفها وصفاً رائعاً ، وهي التي وردت إليها الإشارة في قصيدة « قوبلاي خان » **للشاعر الإنجليزي** « **كولريدج** » .

وقد قام « ماركو پولو » بعدة أعمال في الصين الوسطى والشمالية ، وجنوب شرقي آسيا ، وجنوب الهند .

ترك الصين ١٢٩٢م ، وعاد إلى البندقية سنة ١٢٩٥م ، وقد كانت **البندقية** « **فينسيا** » ــ التي تقع في شرقي إيطاليا إقليماً مستقلاً تشتهر بكل أنواع المنتجات الزراعية ، وإنتاج الحرير وهي مركز بحري وصناعي مهم أيضاً ــ قد شهدت الكثير من غزوات البرابرة منذ القرن العاشر الميلادي ، وحكمها الأساقفة ، ثم النبلاء ، وتقع فيها **جبال الألب** ذات الارتفاع الشاهق ، وكان لها دورها المهم في الصراع بين الشرق والغرب ، ومع القومات الأخرى التي تجاورها .

وعند نشوب الحرب بين البندقية وجنوة ، التحق بالجيش البندقي ، لكنه وقع أسيراً سنة ١٢٩٦م ، في أيدي جيش جنوة ، وقد كانت **جنوة** مقاطعة كبيرة تقع شمال غربي إيطاليا ، وهي ميناء رئيسي ينافس ميناء **مرسيليا** ازدهرت إبان حكم **الرومان** وأصبحت في القرن العاشر قوماناً حراً يحكمه قناصل ، وأدى نموها هذا كمركز تجاري وبحري إلى حروب متطاولة انتصرت في كثير منها ، وكانت هذه المعركة التي أسر فيها « ماركو پولو » من المعارك التي خدمت الإنسانية جمعاء ، فقد أملى « ماركو پولو » وهو في الأسر سنة ١٢٩٦م ، على أحد رفاقه وصف رحلاته وقد بدأ بالحديث عن نفسه وحياته ، ثم بالأماكن التي زارها ، وعادات المغول وتاريخهم ، ومن أشهر الأوصاف التي كتبها عن المغول ، انحراف العينين وبروز عظم الوجنتين ، واصفرار لون البشرة ، وقد ذكر « ماركو پولو » أن للمغول لغة خاصة بهم تختلف عن اللغة التركية السائدة بين شعوب وسط آسيا ، كما ذكر « پولو » أنهم من الشعوب الرعوية ومن أتباع « البوذية » ذات الطقوس المحكمة والتنظيم السياسي السلمي ، وكان نظامهم الاجتماعي الذي ذكره « ماركو پولو » يضم أمراء ونبلاء ورجال الدين وأعلى المناصب عندهم هو « **الطارخان** » أي « الحداد » ، وكان الحاكم له مستشار يعتبر هو صاحب القرار الحقيقي ، ومن أشهر التوصيات التي قالها أحد المستشارين لـ « چنكيز خان » جد « قوبلاي خان » :

« **من السهل أن تؤسس إمبراطورية من على ظهر الحصان ، ولكن من الصعب إدارتها من على ظهر ذلك الحصان** » .

وكانت هذه هي أول دعوة صريحة لتوطن المغول في المدن .

ومن أشهر العادات التي ذكرت عنهم تقديسهم للخيل وشربهم ألبانها ، وهو ما يعرف اليوم باسم « **القميز** » .

وكانت كتاباته التي ترجمت ونشرت بالعديد من اللغات الأوروبية هي المصدر الوحيد تقريباً لمعلومات الغرب عن الشرق في عصر النهضة ، وكذلك عن بعض جهات آسيا حتى القرن التاسع عشر .

منذ أن سيطر البحث العلمي على التفكير في أوروبا في القرن التاسع عشر، بدأ الأدب يفقد زعامته التي كانت له خلال العصور المختلفة، ففي هذا القرن اختلطت المعارف والعلوم اختلاطاً كبيراً، حيث اختلط العلم بالفلسفة واختلطت الفلسفة بالأدب وهكذا، وقد أدى هذا كله إلى انفلات زمام القيادة من الأدب بعد أن ظل يمتلك ناصيته حقبة طويلة من الزمن.

وقد بذل الأدب جهوداً مضنية من أجل استرداد هذه المكانة المفقودة، وكانت وسيلته إلى ذلك اصطناع مناهج العلوم، ومن ثم ظهر أثر هذه المناهج في ناحيتين: **أولاهما: النقد الأدبي**، حيث بدأ يعتمد على مقاييس مستمدة من العلم. **ثانيهما: الأدب الإبداعي**، حيث حاول أيضاً أن يصطنع هذه المناهج في نظرته إلى الظواهر الطبيعية والبيئية وغيرها.

أهمية علم النفس في دراسة الأدب ونقده

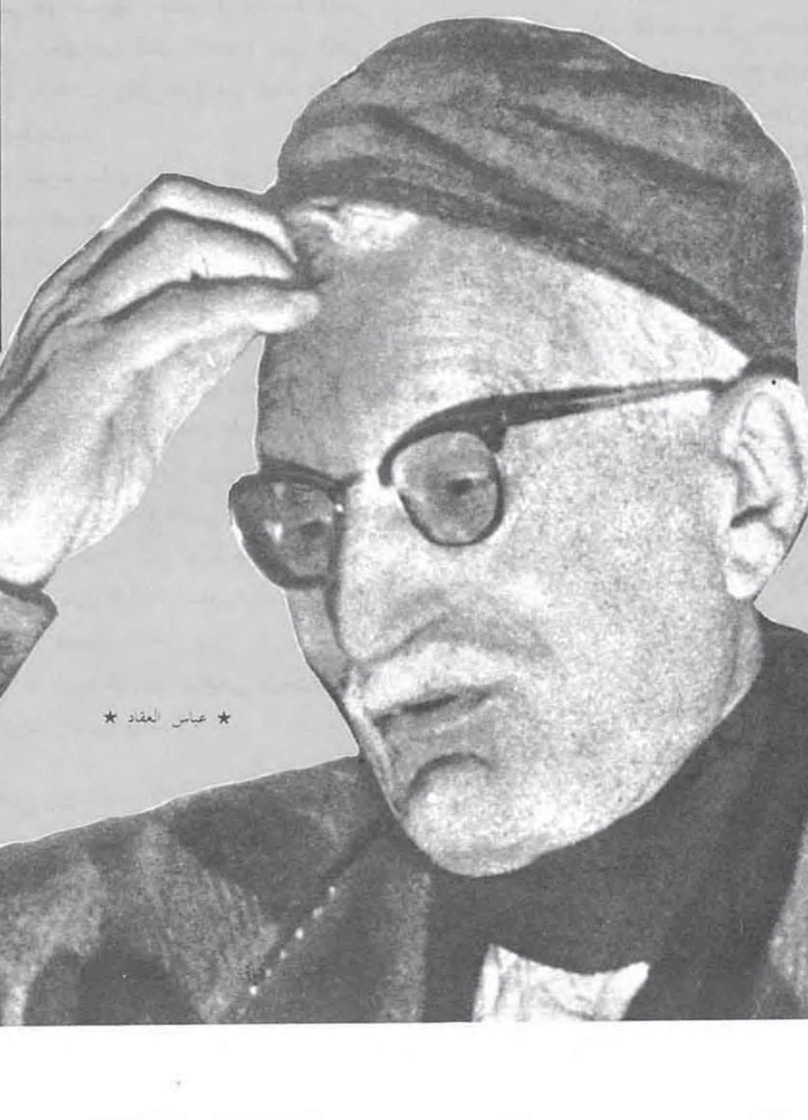
بقلم: سعد توفيق حمدي



★ ابن الرومي ★



★ أبو نواس ★



★ عباس العقاد ★



وقد تنوعت المدارس النقدية التي نحت هذا المنحى والتي اتخذت من الأدب وسيلة لاستخراج الحقيقة أو لتحصيل المعرفة[1] ، ومن أبرز هذه المدارس :

أ ـ **مدرسة النقد الطبيعي** : التي ظهرت في فرنسا في القرن التاسع عشر ، ومن أقطابها « **سانت بيف** » ، و « **تين** » ، و « **برونتيير** » ، وترى هذه المدرسة أن الإنسان نتاج لمجموعة عناصر في البيئة التي يعيش فيها ، ولكي نعرفه حق المعرفة فلا بد من معرفة هذه العناصر التي أنتجته ، ومعنى هذا أن الأدب ما هو إلا جزء من دراسة تاريخ الإنسان .

ب ـ **مدرسة النقد النفسي** : التي تتخذ من مناهج علم النفس ومقاييسه أساساً هاماً تعتمد عليه في تحليل العمل الأدبي باعتبار أن ثمة صلات قوية بين عناصر العمل الأدبي وشخصية مؤلفه[2] ، أو بتعبير آخر أن العمل الإبداعي ما هو إلا لباس فني ـ شعري أو نثري أو غير ذلك ـ لشخصية مبدعه .

ولم تقتصر مدرسة النقد النفسي على صبغة واحدة في دراسة النفس الإنسانية بل اصطبغت بألوان شتى ، فظهر علم النفس العام ، وعلم النفس التحليلي ، وعلم النفس التجريبي ، وهكذا . . ولكل فرع من هذه الفروع أنصاره ومؤيّدوه وأيضاً مخالفوه ومعارضوه .

وإلى جانب هاتين المدرستين ، ظهرت مدارس أخرى كثيرة واتجاهات نقدية متعددة ، أخذت جميعاً بأسباب المنهج العلمي وطرائقه في تناولها للنصوص الأدبية ، وإنما أشرت إلى هاتين المدرستين بالذات نظراً لما كان لهما من دور كبير وتأثير واضح ملموس على حركة النقد الأدبي العربي في مطلع هذا القرن . فقد تأثر كثير من نقادنا بالاتجاه الذي يرى في الأدب جزءاً من دراسة التاريخ الإنساني ، كما تأثر أشرت إلى هاتين المدرستين بالذات نظراً لما كان لهما من دور كبير وتأثير واضح ملموس على حركة النقد الأدبي العربي في مطلع هذا القرن . فقد تأثر كثير من نقادنا بالاتجاه الذي يرى في الأدب جزءاً من دراسة التاريخ الإنساني ، كما تأثر آخرون بالمنزع النفسي في دراسة الأدب العربي وتحليل نصوصه ، والكشف عن العلاقة التي تربط هذه النصوص بشخصيات مؤلفيها ومحاولة رسم صورة دقيقة لهذه الشخصيات من خلال دراسة هذه النصوص وتحليلها تحليلاً نفسياً .

وقد يتساءل البعض : وما علاقة المنهج النقدي الطبيعي ببحث كهذا يبحث في أهمية علم النفس في دراسة الأدب ونقده ؟

والواقع أن الصلة بين هذا المنهج وبين البحث الذي نحن بصدده صلة قوية متينة ، وتبدو هذه الصلة أوضح ما تكون إذا عرفنا أن **المنهج النقدي الطبيعي يعتمد في دراسته للنص الأدبي وسبر أغواره على أسس ثلاثة هي :**

أ ـ البيئة التي يعيش فيها المؤلف وما قد يكون لها من أثر عليه .

ب ـ الجنس الذي ينتمي إليه المؤلف وما قد يكون له من دور في عملية الإبداع .

عليه .

جـ ـ الحالة النفسية للمبدع .

وهذا الأساس الثالث هو الذي يجعل للمنهج النقدي الطبيعي مكاناً في هذا البحث ، وفضلاً عن ذلك فإن هناك من النقاد من يمزج بين الاتجاهين معاً ـ الاتجاه النقدي الطبيعي والاتجاه النفسي ـ عند دراسته للنص الأدبي . وقد حفل النقد العربي بدراسات متنوعة تأثرت في تناولها للنصوص الأدبية وفي منهجها في تحليل عناصرها بهذين التيارين النقديين ، ومن هذه الدراسات التي احتلت مكاناً بارزاً في حركة النقد العربي كتاب : (**ابن الرومي** : حياته من شعره) للأستاذ **عباس محمود العقاد** .

العقاد نظر إلى ابن الرومي من الداخل

لم يكن **العقاد** يروم من بحثه عن **ابن الرومي** أن يكشف عن علة دفينة يعاني الشاعر من ويلاتها وينقاد لا شعورياً تحت تأثيرها فتسيّره حسبما تشتهي وكيفما تريد ، كذلك لم يكن الباحث يستهدف من بحثه أن يميط اللثام عن عقدة نفسية يتلظى الشاعر بنارها ويعيش في إسارها دون أن يستطيع منها فكاكاً ، وإنما رام الباحث هدفاً غير هذا الهدف ونشد مقصداً غير ذلك المقصد ، **فقد كان شغل العقاد الشاغل أن يقدم من خلال هذا الكتاب صورة لحياة ابن الرومي الفنان الإنسان** ، فإذا كان **ابن الرومي** قد مني بسوء الحظ في حياته فقد مني بالخمول بعد مماته ، والخمول الذي يعنيه **العقاد** ليس هو الفشل وسقوط المكانة وإنما هو **خمول الطبيعة الفنية** التي يعتبرها الباحث أجمل ما في الشاعر إذ هي المزية الكبرى فيه ، ومع ذلك فلم يحاول أحد استجلاء محاسن هذه الطبيعة الفنية والكشف عن جوهرها الأصيل ، وذلك هو الحيف الذي وقع على **ابن الرومي** وأراد **العقاد** أن يرفعه عنه فكان كتابه هذا محاولة منه لتحقيق هذا الغرض .

فالعقاد ـ إذن ـ لم يقصد أن يترجم لحياة **ابن الرومي** بمعنى أن يتتبع أطوار حياته المختلفة وإنما رام **العقاد** ـ كما قلت ـ **أن يقدم صورة حية نابضة لحياة ابن الرومي الفنان الإنسان ، صورة ترى فيها ما كان يدور في أعماق الشاعر من مشاعر وأحاسيس كما ترى فيها قسمات وجهه ولون بشرته وشتان بين الهدفين .**

ولنتساءل الآن : ما المنهج الذي اتبعه الباحث للوصول إلى هذا الهدف ؟ لقد اتخذ **العقاد** من شخصية الشاعر أساساً لبحثه إذ راح يحللها تحليلاً نفسياً بغرض الكشف عن غوامض الإحساس وكوامن الشعور ، وبيان تأثير هذه المشاعر وتلك الأحاسيس على نفسية صاحبها والدور الذي لعبته فيما أبدعه من قصائد وأشعار ، معنى هذا أن **العقاد** قد نظر إلى **ابن الرومي من الداخل** وكانت وسيلته إلى هذا النظر ديوان شعره ، فشعره مرآة صافية انعكست عليها أحداث حياته فما من خاطرة ولا بادرة إلا ونجد لها ذكراً في الديوان .



فديوان شعره ــ إذن ــ (ترجمة باطنية لنفسه يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان ولا يخفى فيها ذكر خالجة ولا هاجسة مما تتألف منه حياة الإنسان)[٣] . فلم يكن **لابن الرومي** (من همٌ إلا أن يحصي خطرات ذهنهَ وخلجات فؤاده)[٤] ، **والعقاد** وهو ينظر إلى داخل **ابن الرومي** ويحلل نفسيته مبيناً دورها في شحذ ملكته الفنية ، لم ينس أن يبين أثر عاملين آخرَيْن يرى الباحث أنهما قد لعبا أيضاً دوراً هاماً في شحذ الملكة وساعدا على إخراج صورته بتلك الملامح التي عرف بها **ابن الرومي ، وهذان العاملان هما** :

أ ــ الجنس الذي ينتمي إليه الشاعر .

ب ــ البيئة التي نشأ فيها وعاش .

أما الصورة التي رسمها **العقاد لابن الرومي** من خلال شعره ، فتتلخص في أننا بإزاء **رجل رقيق الحس نقي السريرة ، لا يحمل في قلبه غلاً لأحد ، ولا يشعر تجاه أي إنسان بأي شعور من مشاعر الحقد والكراهية** ، ومما يدل على صفاء طويّته ونقاء سريرته أن ما في قلبه على طرف لسانه ، وهذه خلّة الرجل المحب الودود الذي قد يغضب ممن يعاشرهم أو يثور عليهم لكنه أبداً لا يستطيع الاستغناء عنهم ، وقد اتخذ **ابن الرومي** من الشعر مصدر رزق له فكان يمدح الولاة والوزراء والقواد أملاً في عطاياهم أو عساه أن يظفر منهم بوظيفة تجنّبه ذل السؤال وتكفيه اضطراب الأحوال .

وفضلاً عن هذا لم يكن ابن الرومي **يجيد فنون المراوغة والدهاء ، ولا يتقن أساليب الاحتيال أو غير ذلك من وسائل الوصولية التي كانت سائدة في عصره** والتي كانت معرفتها تُعَدُّ ضرورية لتحقيق الأغراض والوصول إلى الأهداف ، ولعل عدم إتقان **ابن الرومي** لفنون المراوغة وأساليب الاحتيال كان سبباً جوهرياً في فشله في الوصول إلى ما كان يبتغيه ويرنو إليه ، كذلك كان **ابن الرومي** يعاني معاناة مضنية من اختلال أعصابه ، وزاد من اختلالها وشدة معاناته من ويلاتها أنه كان شديد التّطيّر ، يتفاءل ويتشاءم ، كما زاد من ويلاتها أيضاً فقده الأهل والأحباب ، فقد فَقَدَ على التوالي أمه وزوجته وأولاده الثلاثة .

ويرى الباحث أن مفتاح شخصية ابن الرومي يكمن في اختلال أعصابه ، فإلى هذه العلة التي خلق بها يمكن أن ترد معظم ما صدر عنه من تصرفات ، فمثلاً هذا الاختلال هو الذي دفعه إلى :

أ ــ أن يكون مُوسْوساً وعلى الرغم مما يكون في الوسواس من عذاب ومتاعب يشق بها صاحبه ، إلا أن **وسواس ابن الرومي** كان ذا فضل كبير عليه إذ هو الذي دفعه إلى استقصاء المعاني الشعرية (والإلحاح في تفريغها وتقليب جوانبها)[٥] فقد كان هذا الوسواس (يشككه ويتقاضاه التثبت والاستدراك فيمعن ثم يمعن حتى لا يجد سبيلاً إلى الإمعان)[٦] .

ب ــ أن يكون متطيّراً فقد كان **ابن الرومي إذا رأى شيئاً جميلاً سُرّ واستبشر وإذا رأى شيئاً قبيحاً اجفل وتهيّب** حتى انه في حالات كثيرة كان إذا رأى أحدباً أو سمع اسماً منكراً تشاءم فلا يغادر بيته سحابة يومه ، وقد أظهر هذا التطير بصورة أكثر وضوحاً اهتزاز أعصابه واختلالها مما جرّه إلى أن يكون عرضة لسخرية الساخرين أحياناً ، وأحياناً أخرى لتجنب ذوي الحظوظ السعيدة ، **مخافة أن يمتد إليهم سوء حظه فيصيبهم بما لا يشتهون ويحيق بهم نحسه فلا يقوون على دفعه ولا يقدرون.**

جـ ــ إحساسه المستمر **بالخوف** مما يخبّئه له المتسقبل وما قد تحمله إليه الأيام من **فقر واحتياج إلى المال** ، وقد يأتي إليه الزمن بأحداث جسام تحول بينه وبين القدرة على الكسب ، وهذا هو سبب إلحاحه المستمر في طلب العطايا من ممدوحيه وعتابه لهم إذا ما تأخروا في أدائها إليه ، **فهو الخوف من المستقبل ، وهو الخوف من مرارة العيش وذل الفقر .**

د ــ هجاء أولئك الذين مدحهم **فبخلوا عليه بالثناء الجميل والعطاء الجزيل** ، ويرى الباحث أن الهجاء كان يمليه عليه : (**الغيظ وقلة الصبر على خلائق الناس**)[٧] ، والغيظ وقلة الصبر ما هما إلا مظهران من مظاهر اختلال الأعصاب وعدم القدرة على ضبط النفس إزاء الحوادث وتصاريف الأقدار .

أصدق شعره

على أن هناك أسباباً أخرى ــ غير اختلال الأعصاب ــ جعلت **ابن الرومي** يولع بالهجاء ، ومن هذه الأسباب :

أ ــ «**الشهوانية والتهالك على اللذات**»[٨] .

ب ــ «أبناء عصره الذين عاش بينهم فقد كانوا **يستبيحون إيذاءه ويستسهلون الكذب عليه لغرابة أطواره**»[٩] .

جـ ــ **فشله في الوصول إلى ما كان يصبو إليه من آمال** مثل تولي الوزارة أو غيرها من المناصب التي كان يتولاها آنذاك الكُتّاب والرواة في الوقت الذي كان يرى فيه من هم أقل منه شأناً يتولون مثل هذه المناصب التي عجز عن الارتقاء إلى إحداها .

ولكن يجب الا ننسى أن **ابن الرومي** كان يتخذ من الهجاء **سلاح دفاع لا سلاح هجوم** ، وما كان هجاؤه يشفّ عن الكيد والنكاية وما شابهها من ضروب الشر المستقر في الغريزة ، كما كان يشفّ عن الحرج أو التبرم والشعور بالظلم الذي لا طاقة له باحتماله ولا باتقائه[١٠] .

ويذهب الباحث إلى أن أصدق شعر **ابن الرومي هو شعره في رثاء أمه وزوجه وأولاده وغيرهم من الأهل والأحباب** ، فمن قرأ مراثيه هذه (علم منها أنها مراثي رجل مفطور على الحنان ورعاية الرحم والأنس بالأصدقاء والإخوان ، فمراثيه هي التي تدل عليه حق الدلالة المنصفة)[١١] .

ولا يغيب عن **العقاد** أن يحدثنا عن سر عبقرية **ابن الرومي** ، فيرجع سبب هذه العبقرية إلى أصله اليوناني ، فقد أمدّه هذا الأصل العريق بمعين لا ينضب من الصور والأخيلة ، كما لعب هذا الأصل العريق دوراً كبيراً في تكوين طبيعته الفنية من حب للحياة إلى حد العبادة وعشق للطبيعة إلى أبعد مدى وشغف لا يجارى بالتقاط الصور والأشكال والتعبّد في محراب الجمال



وتشخيص المعاني ، وبفضل هذه العبقرية أيضاً **كان ابن الرومي ينظر إلى الدنيا نظرته (إلى المعرض المنصوب للتملي والمتعة)**[١٢] لا (نظرته إلى الحصن المغلق أو الصومعة الموحشة أو غير ذلك من نظرات الأجيال والأديان)[١٣] .

هل معلومات العقاد عن شعره .. مشكوك فيها؟

تلك هي الصورة التي رسمها **العقاد لابن الرومي** من خلال دراسته لشعره ، ولا شك في أن الدراسة في مجموعها دراسة جيدة ، وواضح فيها تأثر **العقاد** بمنهج مدرسة النقد الطبيعي أكثر من تأثره بمنهج النقد النفسي ، **فالعقاد** يحدثنا في هذه الدراسة عن البيئة التي نشأ فيها **ابن الرومي** ودورها في تكوين شخصيته ، كما يحدثنا عن الجنس الذي انحدر منه الشاعر مشيراً بصفة خاصة إلى **أثر هذا الجنس في صياغة عبقريته الفنية** ، ثم يحدثنا **العقاد** أيضاً عن نفسية **ابن الرومي** وما كان لها من دور كبير في شحذ شاعريته وتكوين طبيعته الفنية ، ويحاول **العقاد** أن يربط بين هذه النواحي الثلاث ربطاً محكماً مكوناً من نسيجها صورة للشاعر .

والسؤال الآن : هل ما قدمه **العقاد** في كتابه يمكن اعتباره صورة دقيقة لحياة **ابن الرومي**؟ وبتعبير آخر **إلى أي مدى يستطيع الباحث أن يقدم صورة لحياة الشاعر من خلال الاعتماد على شعره مع النزر اليسير من أخباره**؟ في رأيي أن ما قدمه **العقاد** في كتابه **لا يمكن اعتباره صورة حقيقية لابن الرومي** لا تقبل المناقشة ولا يرقى إليها الشك بحيث يحق للباحث أن يقول في تأكيد :

ها هو ذا **ابن الرومي** قد ألبسته ثوب الحياة الذي كان يرتديه منذ أحد عشر قرناً وقد نسجت له هذا الثوب من شعره ، إنه من التعسف ولا شك أن يقول الباحث ذلك مؤكداً أن هذه فعلاً هي حياته .

فمن الممكن لأي إنسان أن يرسم صورة لشاعر ما من خلال شعره دون أن يقتضي ذلك بالضرورة أن تكون هذه الصورة مطابقة لحياته تمام المطابقة ، قد تحمل هذه الصورة بعض سمات حياته لكنها بكل تأكيد لا تحمل كل ملامح هذه الحياة .. فمثلاً يذهب **العقاد** إلى أن سبب استقصاء **ابن الرومي** للمعاني والتعمق فيها راجع إلى أنه كان مُوسْوساً ، ومعنى هذا أن **العقاد** قد أرجع هذه المزية إلى سبب عصبي ، **فهل لا بد من أن يعاني الشاعر اختلالاً في أعصابه حتى يكون موسوساً ومن ثم يكون غواصاً على المعاني دقيقاً في استيفاء حظها من الجودة والإتقان؟** .

لقد كان **أبو تمام** ، هو الآخر ، يتمتع بنفس هذه المزية ومع ذلك فلم يقل أحد إنه كان يعاني من اختلال أعصابه ، أو إنه كان موسوساً ، فكيف نرجع هذه الظاهرة عند شاعر إلى اختلال أعصابه وعند آخر إلى رجاحة عقله؟ .

أليس هذا مما يدعو إلى الشك في كثير من المعلومات التي استنبطها العقاد من شعر ابن الرومي؟ .. فمثلاً لماذا لا تكون هذه المزية التي اتسم بها فن **ابن الرومي** والتي تمثلت في غوصه على المعاني واستقصائها والإمعان في هذا إمعاناً لا مزيد عليه ، أقول ، لماذا لا تكون هذه المزية راجعة إلى إحاطته بالعلوم التي شاعت وانتشرت في عصره مثل **العلوم الفلسفية والتاريخية وعلم الفلك والنجوم** وغير ذلك من العلوم التي تضفي على من يتعلمها عمقاً وأصالة ، وتشحذ ملكة التفكير عنده وتجعله يؤثر دائماً الدقة والاستقصاء وتتبع الأفكار وتنظيمها وحسن عرضها .

ولقد عرف عن **ابن الرومي** أنه كان محيطاً بهذه العلوم واسع الاطلاع عليها ملماً بالكثير من جوانبها ، فأيّة غرابة - إذن - إن وجدنا ابن الرومي يميل إلى الغوْص على المعاني فيتتبعها حتى يستوفيها؟ أليس من المعقول أن تكون هذه المزية ثمرة من ثمار هذا الاطلاع الواسع العميق على العلوم الفلسفية والفلكية وغيرها؟ ثم أليس هذا التفسير أكثر منطقية وأكثر اتفاقاً مع طبيعة الأشياء؟

لكنه التعسف الذي يقود الباحث إلى هذه التفسيرات ، وهو الذي يجعله يلوي عنق بحثه إلى الوجهة التي تتفق والنظرية المسبقة التي وضعها وراح يبحث عن الفروض التي تدعمها وتؤيدها .

معيار عبقرية الفنان .. موهبته ومدى خصوبتها

كذلك يذهب الباحث إلى أن سبب عبقرية **ابن الرومي** الشعرية يرجع إلى **أصله اليوناني** ، فهذا الأصل - من وجهة نظر الباحث - هو سبب حبه للحياة إلى حد العبادة وشغفه بالجمال ، وتعبده في محراب الطبيعة وافتتانه بسحرها الخلاب . وإني لأتساءل : أليست هذه الظواهر من خصائص كل ذي موهبة؟ حقاً قد يختلف نصيب كل شاعر منها لكن لا بد من وجودها بقدر مّا عند كل شاعر ذي موهبة حقيقية يتساوى في هذا أن يكون الشاعر ذا أصل يوناني أو عربي أو فارسي أو نحو ذلك .

فمثلاً كان **البحتري شاعراً جذلا طروباً ، يحب الطبيعة ويعشق الحياة** وكم أبدع من آيات رائعات في وصف الطبيعة والتغنّي بالجمال ومعروف من هو **البحتري** ، ومعروف أيضاً أصله العربي الأصيل ، ومن منا يستطيع أن يزعم أن **أبا تمام** لم يكن محباً للحياة عاشقاً للجمال متعبداً في محراب الطبيعة الفتّان ، ولم يقل أحد قط بأن **أبا تمام** قد انحدر عن أصل يوناني فأصله العربي ثابت ومعروف ، وإذن فهذه الخصائص التي عدّها **العقاد** من نتاج الأصل اليوناني هي في الحقيقة من أخص خصائص الموهبة الشعرية وهي ترتبط بالموهبة وجوداً وعدماً بغض النظر عن الأصل يتساوى في هذا أن يكون الشاعر يونانياً أو عربياً أو غير ذلك .

إن المعيار الحقيقي الذي تقاس به عبقرية الفنان هو **موهبته ومدى خصوبتها وقدرتها على أن تمد الشاعر برؤية شاملة صافية للأمور** سواء أكانت أموراً في الحياة أم في الطبيعة أم في الحب والجمال ، فقدرة الموهبة إذن على اسكتناه ما في الكون من أسرار هي - في رأيي - السرّ الذي يكمن وراء كل عبقرية شعرية .

وتبقى بعد ذلك ملاحظة أخيرة هي : ما المانع في أن يكون الشاعر قد عاش حياة تختلف تماماً عن تلك التي صوّرها في شعره ، ومن ثم ينبغي في



حالة كحالة **ابن الرومي** أن تتوفر بين يدي الباحث مصادر أخرى بجانب شعره حتى يستطيع أن يقول وهو بمأمن من الخطأ أو الزلل : هذه هي حياة الشاعر مستقاة من شعره ومدعمة بمصادر أخرى موثوق بصحتها ومجمع على دقتها ، أما أن يقول الباحث ـ وليس بين يديه سوى شعر الشاعر ـ إن هذه هي حياته فهذا ما لا يوافق عليه أحد لأنه لا ينبغي بالضرورة أن يكون الشعر معبّراً عن قائله أو مصوّراً لمشاعره الحقيقية .

الحياة الفنية .. مفتاح شخصية الشاعر

وفضلاً عن ذلك ، فإنه يتعين على الناقد عندما يتناول شعر شاعراً ما بالعرض والتحليل بغية الكشف عن شخصية الشاعر وإماطة اللثام عن جوانب حياته ، **يتعين على الناقد في هذه الحالة أن يفرق بين نوعين من الحياة :**

أ ـ حياة الشاعر الشخصية التي يعيشها كغيره من البشر .

ب ـ حياته الفنية وهي تلك التي تتصل بعمله الإبداعي .

وليس ثمة شك في أن **الحياة الأولى تؤثر في الثانية** تأثيراً قد يكون قوياً وقد يكون ضعيفاً ، كما تؤثر فيها تأثيراً قد يكون عميقاً وقد يكون سطحياً عابراً وأيا ما كان هذا التأثير فإنه يترك بصماته على حياة الشاعر الفنية ، أما ما تضمّه هذه الحياة الشخصية من دقائق وتفاصيل فينبغي ألا تكون محل اهتمام من الناقد الذي يتعين عليه أن يجعل من حياة الشاعر الفنية محور اهتمامه وأن يعوّل عليها تعويلاً كبيراً سيّما وأن ما تزخر به حياة الشاعر الشخصية من خبرات وتجارب في مختلف النواحي تنتقل إلى هذه الحياة الفنية وتلعب دورها الكبير في التأثير عليها .

إذن فعندما يهتم الناقد بحياة الشاعر الفنية فإنما يهتم بحياة استقبلت عن طريق روافدها المتعددة خبرات الشاعر وتجاربه مما يزيدها خصباً ونماءً أو يقف بها عند مرحلة معينة ، وكل هذا متوقف على درجة أصالتها وقدرتها على الأخذ والعطاء أو عجزها عن التطور والارتقاء .

وصفوة القول إن هذه الحياة الفنية هي التي ينبغي أن تحظى بعناية الناقد وأن تنال اهتمامه ، **فهي المفتاح الذي يستطيع به الناقد أن يلج إلى شخصية الشاعر** فيكشف عن جوانبها المتعددة ، ويضع إصبعه على أبعادها ويلقي ضوءاً ساطعاً على أعماقها ويظهر علاقتها ـ كشخصية مبدعة ـ في المجتمع الذي نعيش فيه وفي الناس الذين نتعامل معهم . كذلك يستطيع الناقد عن طريق دراسة حياة الشاعر الفنية أن يمضي مع موهبة الشاعر في تطورها ونموّها وصعودها إلى أعلى أو جمودها وتوقفها وانحدارها إلى أسفل .

العقاد .. وأبو نؤاس

ولم تكن دراسة **العقاد** عن **ابن الرومي** هي الدراسة الوحيدة التي قام بها مستفيداً من طرائق البحث العلمي ومن النتائج التي توصل إليها علم النفس .. بل لقد قام بدراسات أخرى مماثلة مثل دراسته عن **أبي نؤاس** .

لقد جعل **العقاد** من قلمه مبضعاً راح يشرّح به شخصية **أبي نؤاس** محاولا أن يسبر أعماقها البعيدة كما يكشف عن طواياها ويميط اللثام عن مكنوناتها ، لماذا فعل **العقاد** من أجل الوصول إلى هذه الغاية ؟ لا شك في أن الباحث الذي يدخل ميداناً كهذا الميدان ـ أعني ميدان تحليل الشخصية تحليلاً نفسياً ـ تكون مهمته أكثر يسراً ، ونتائج بحثه أعظم دقة إذا توفرت له مثلاً :

أ ـ مسودات بخط الشاعر يستطيع أن يستشف من خلالها مراحل تطور الموضوع في ذهن الشاعر وكيفية تعبيره عن المعاني ، وما إذا كان يكتب الأفكار منظمة مرة واحدة أم إنه يكتبها كيفما تفيض على ذهنه ، ثم يتولى بعد ذلك ترتيبها بما يتناسب مع عرض الموضوع .

ب ـ أن يجمع الباحث والشاعر عصر واحد في هذه الحالة يستطيع الباحث أن يجري معه اختباراً يتعرف من خلاله على حقيقة التجارب التي عبّر عنها ، وطريقته في التعبير وعاداته عند الكتابة إلى غير ذلك من الأمور التي تؤثر تأثيراً قوياً في إبداع الشاعر والتي تشكل مادة خصبة تساعد الباحث مساعدة فعّالة في الكشف عن طوية نفس الشاعر وسبر أغوارها العميقة ، أو أن يبعث إليه الباحث بمجموعة من الأسئلة التي تتصل بعملية الإبداع الفني ويطلب إليه الإجابة عن هذه الأسئلة بأمانة ووضوح كيما يصل الباحث إلى الهدف الذي ينشده .

جـ ـ أن يكون للشاعر أصدقاء على قيد الحياة يمكن للباحث أن يتعرف منهم على خصال الشاعر وسجاياه وأن يقف على مكنوناته وخباياه وأن يلم إلماماً شاملاً بطباعه وخلائقه .

لكن شيئاً مما تقدم لم يكن بين يدي **العقاد** عندما أمسك بمبضعه وراح يشرّح شخصية **أبي نؤاس** لماذا فعل؟ لقد اعتمد **العقاد** في تحليله لشخصية الشاعر على مصدرين اثنين هما :

أ ـ ديوان الشاعر : فقد اعتمد الباحث اعتماداً أساسياً على شعر الشاعر تطبيقاً للمبدأ الذي أعلنه قبل ذلك مراراً من أن (**ديوان الشاعر أصدق ترجمة لحياته الباطنية**)(١٤) **والعقاد** في هذا الرأي يذهب مذهب **شوبنهور** حيث يرى أن (**الشعر أصدق تصويراً للطبيعة البشرية من التاريخ**)(١٥) ، وقد سبق **للعقاد أن طبّق هذه الطريقة** ـ طريقة الكشف عن شخصية الشاعر من خلال شعره على **ابن الرومي** .

ب ـ الأخبار المروية عن هذا الشاعر والتي حفظتها لنا كتب الأدب والتراجم ومهما قيل عن هذه الكتب فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد بطريقة حاسمة أن كل ما حملته بين صفحاتها من أخبار **أبي نؤاس** صحيح كله ولا يتطرق إليه الشك .

هذان هما المصدران اللذان اعتمد عليهما العقاد في تحليله لشخصية الشاعر ، فهل استطاع حقاً أن يحلّل شخصيته وأن يكشف عن طوايا نفسيته ؟ .



أبو نؤاس.. هل يعاني من عقدة نفسية؟

إن المنهج الذي اتبعه **العقاد** في تحليله لشخصية **أبي نؤاس** شبيه إلى حد بعيد بذلك المنهج الذي اتبعه «**فرويد**» في بحثه عن «**ليوناردو دافنشي**» أي أن **العقاد** لم يبدأ بوضع فرض «ثم يحاول أن يختبره بالتجربة فإذا ثبت للاختبار فقد تحول إلى نظرية»[16] بل بدأ **العقاد** بحثه الذي نحن بصدده بنظرية راسخة لديه ثم راح يورد من الأدلة ما يؤكد هذه النظرية ويدعمها تماماً كما فعل «**فرويد**».

فأبو نؤاس رجل يعاني من عقدة نفسية ترسبت في أعماقه منذ أمد بعيد وهذه العقدة هي «خسة النسب» وعلى الرغم من أن **أبا نؤاس** لم يكن من أولئك الذين يمكن أن يصابوا بالعقد النفسية وذلك بحكم حبه للعلانية والمصارحة وميله الشديد إلى المكاشفة والمجاهرة، وشخص من هذا الطراز يصعب على العقد النفسية أن تغزوه إلا هذه العقدة فقد كانت هي الاستثناء من هذه القاعدة فلم يكن ينفع في علاجها المجاهرة والصراحة وذلك لمساسها بحياة الشاعر، ومن ثمّ تمكنت هذه العقدة من نفس **أبي نؤاس** تمكّناً لا سبيل إلى الفرار منه، وهناك عاملان لعبا دوراً كبيراً في تضخيم حجم هذه العقدة:

● **أولاهما: العصر الذي عاش فيه الشاعر**[17] فقد كان عصره عصر التفاخر بالأنساب والأحساب ومن ثمّ بحث **أبو نؤاس** عمّن يتفاخر بهم **فلم يجد له نسباً يباهي به ويفاخر علية القوم وسادتهم** وكانت مهانة النسب هي كل ما وجده الشاعر.

● **ثانيهما: إنه كان ذا طبيعة نرجسية** تعشق التيه والخيلاء وتحب السمو والارتقاء ولكن أنّى لها هذا وصاحبها يعاني ما يعاني من خسة النسب ووضاعة الأصل؟ لقد وقع صدام عنيف **بين طبيعة أبي نؤاس النرجسية وبين عقدته النفسية** وانعكست آثار هذا الصدام على سلوك الشاعر فجاء معبّراً تعبيراً صادقاً عن:

أ ـ طبيعته النرجسية.

ب ـ عقدته النفسية.

ولا أعني بذلك أن سلوك **أبي نؤاس** كان ذا اتجاهين يسير أحدهما موازياً الآخر ولكن ما أعنيه هو أن أحد الاتجاهين كان يؤدي إلى الآخر، أو بتعبير أكثر وضوحاً **كان أحد الاتجاهين يسبح في «اللاشعور»، ويدفع بطريقة خفية الاتجاه الآخر للظهور في دائرة الشعور**، بمعنى أن عقدته النفسية التي ترسّبت في أعماق نفسه كانت دائمة الطواف تحت طيّات «اللاشعور» وكانت تدفع **أبا نؤاس** إلى أن ينهج نهجاً معيّناً في سلوكه يرضي نزعته النرجسية الغلابة، وقد تتبع **العقاد** تطور هذه العقدة عند **أبي نؤاس**:

أ ـ لقد غلبت عقدة خسة النسب أبا نؤاس على أمره وسيطرت عليه فلم يستطع منها فكاكاً، وقد حاول جاهداً أن يخفف من وطأتها على نفسه ومن جثومها فوق صدره وذلك عن طريق الزج بنفسه بين العرب فتارة (في هذه القبيلة وتارة في غيرها من اليمانية أو النزارية حيثما اتفق مقامه وتفتحت له أبواب الدعوة والانتماء)[18] **لكن لا هؤلاء ولا أولئك قبلوا انتسابه إليهم فلم يعترفوا له قط بعراقة أصل ولا أصالة نسب** الأمر الذي أورثه الحيرة والقلق، وجعل عقدته النفسية تزداد سيطرة عليه وامتلاكاً لأمره.

ب ـ وهذا الفشل الذي لحق **بأبي نؤاس** والذي تمثل في عجزه عن أن يثبت لنفسه نسباً عربياً أصيلاً يفاخر به كما يفاخر المفاخرون دفعه **إلى الارتماء بين أحضان الخمر** حيث وجد في معاقرتها وإدمان شرابها ما ينسيه همومه. والحق أن **أبا نؤاس** لم يجد في الخمر سلوى يهرب إليها من عقدته فحسب وإنما وجد فيها أيضاً إرضاء لنزعته النرجسية التي تهوى الظهور وتعشق العرض، فهو بين جلسائه من الندامى لا يجد من يفاخر بنسبه أو يباهي بأصله دون أن يستطيع مجاراته فيما يفعل، وإنما هو بين هؤلاء الندامى سيد مطاع فالجميع يتقربون زلفى إليه ويبذلون كل ما في وسعهم لإرضائه ونيل صداقته.

وهكذا كانت الخمر مجالا من المجالات التي وجد فيها أبو نؤاس بغيته وعثر على ضالته وهي المباهاة بشيء ــ أي شيء ــ يستطيع أن يمدّ به قامته إلى أعلى علّه يستطيع أن يبلغ قامة هؤلاء العرب المفاخرين الذين طردوه من ساحة فخرهم عندما رفضوا أن ينتسب إلى أي من القبائل العربية الأصيلة، فلا عجب إذن إن أدمن **أبو نؤاس** الخمر حيث كان يجد بين الندامى ورنين الكؤوس ما يرضي طبيعته النرجسية الغلابة فلا مكابرة ولا مفاخرة من أولئك الذين يشاركونه الشراب بكل تبجيل واحترام وهذا غاية ما تصبو إليه نفسه وتتمناه.

جـ ـ لكن إذا كان **أبو نؤاس** قد عاقر الخمر فراراً من مرارة الواقع وتلمُّساً لحياة أكثر ملاءمة لطبيعته فإن إدمانه الخمر لم يكن هو المسلك الوحيد الذي سلكه إرضاء لنزعته النرجسية، **بل لقد سلك مسالك أخرى كثيرة كانت جميعها تعبر عن تلك العقدة التي ترسبت في أعماقه وملكت عليه زمام أمره** فلم يكن **أبو نؤاس** ممن يرضى المذلة والهوان ولا ممن يقبل سوى التعظيم والتمجيد ولكن أنّى السبيل إلى تحقيق هذا والوصول إلى ما يبتغيه وهو الضئيل الشأن، القليل القدر، الخسيس النسب؟ كيف يستطيع وهو المغمور الأصل المثلوم النسب أن يرتفع من الحضيض ليسابق هؤلاء العرب الأصلاء؟

لا جرم أن **أبا نؤاس** كان يعاني من هذه العقدة أشد المعاناة لكنه كان يكبت عذابه في أعماق نفسه فيحاول جاهداً ألا يظهر منه شيء لكن كان ثمة أتون يغلي في داخله، يقوم بتضخيم هذه العقدة، فتحت طيّات اللاشعور كانت هذه العقدة تروح وتغدو وتدفع صاحبها دفعاً حثيثاً إلى أن يسلك سلوكاً يرضي طبيعته ويتلاقى مع حبه للظهور وعشقه للعرض.

لماذا فعل أبو نؤاس؟ لقد أتى بما عدّ بدعة في ذلك الزمان، **إذ أبدع من الشعر ما اعتبر خروجاً عن المألوف** ولما هو شائع معروف، فقد كان الشائع المعروف أنه إذا التفت الشاعر إلى الوراء وأراد أن يقتفي أثر



الغابرين فيما تركوه من قصائد، وما خلفوه من فرائد، فلا بد من أن يفتتح قصائده بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار، أما **أبو نؤاس** فقد خالف هذه العادة فبدلا من أن يقف على الأطلال ويبكي الديار افتتح كل خمرية من خمرياته (بالنعي على الطلول والرسوم ومن يذكر الطلول والرسوم)[19]، ومن ذلك قوله:

عدِّ عن رسْمٍ وعن كُثُبِ
والْهُ عنه بابنةِ العِنَبِ

ويبدو أن اتجاه **أبي نؤاس** هذا أوضح ما يكون في هذه الأبيات التي يقول فيها:

دع الأطلال تسفيها الجنوبُ
وتبكي عَهْدَ جدَّتها الخطوبُ
وخلِّ لراكب الوجْناء أرضاً
تَخُبُّ بها النَّجيبةُ والنَّجيبُ
ولا تأخذ عن الأعراب أرضاً
ولا عيشاً فعيْشُهمُ جديبُ
فأين البدْوُ من إيوان كسْرى
وأين من الميادين الدُّروبُ

ويرى الباحث أن بيت (القصيد من هذا الهوس بالنعي على الرسوم والطلول إنما هو الازدراء بأهلها وبعيشهم وفخارهم الذي عز عليه أن يجاريهم فيه)[20].

د ـ **وهذا الهجوم الذي شنه أبو نؤاس على الرسوم والأطلال وعلى الواقفين بها** لم يكن نهاية المطاف في محاولة إرضاء نزعته النرجسية الغلابة بل لقد ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، **فقد تغزل في الغلمان** واتصل بهم ولم يكن ذلك بسبب عجزه عن تكوين علاقة طبيعية مع النساء **فأبو نؤاس** ـ في نظر **العقاد** ـ لم يكن عاجزاً عن مباشرة النساء وإنما دفعه إلى هذا التغزل في الغلمان والاتصال بهم حبه للعرض والظهور، فقد كان **الولع بالغلمان، والتغزل فيهم بدعة جديدة** نشأت في (زمانه ولم تكن لها سابقة في الأدب العربي قبله)[21]، وهكذا أفرط أبو نؤاس في غزله بالمذكر إرضاء لطبيعته النرجسية (لما كان من خيم **أبي نؤاس** ـ وهو المطبوع على العلانية والتحدي ـ أن يشهد البدعة ولا يتمادى فيها حتى يسبق مبتدعها)[22].

هـ ـ ولم يكتف **أبو نؤاس** بهذا بل ظل سادراً في غيّه لا يريد أن يرعوي فها هو ذا في **إبليسياته** ينحو هذا المنحى أيضاً الذي يرضي طبيعته النرجسية المحبة للعرض والظهور **فيرسم لإبليس صورة تختلف عن تلك الصور المألوفة التي رسمها غيره من الشعراء** والتي تظهره بمظهر صاحب الحيل والألاعيب التي يحتال بها على فريسته حتى يوقعه في شراك الغواية والضلال، فقد صوّره **أبو نؤاس** عبداً ذليلاً يتفانى في خدمته ويبذل قصارى جهده من أجل راحته أملاً في الحصول على محبته ورضاه، لكن **أبا نؤاس** يتدلل عليه ويتمادى إلى أبعد حد في هذا الدلال حتى إنه ليهدده أحياناً بترك الغواية والضلال وسلك سبل الهداية والصلاح.

وكأني بأبي نؤاس في تصويره لإبليس على هذا النحو يخرج لسانه لأولئك الذين تطاولوا عليه بالحسب وبزّوه بأصالة النسب فيقول لهم ساخراً متهكماً: يا من تفاخرتم بأنسابكم وتباهيتم بعراقة أصولكم **ها هو ذا إبليس الذي أبى أن يسجد لأبيكم آدم، ها هو ذا يسجد لي ويقدم القرابين إليّ فهو ألعوبة في يدي، بل هو طوع بناني آمره فيأتمر بأمري وإن شئت سقاني كؤوس خمري**. وغني عن البيان أن الشاعر لم يسلك هذا المسلك في تصويره لإبليس إلا إرضاء لطبيعته النرجسية وما يتعلق بها من حب للعرض والظهور.

تعسف في التحليل.. لا يرتضيه المنهج العلمي

أ ـ يخيّل لقارئ كتاب **العقاد** أن **أبا نؤاس** لم يكن له من شاغل سوى التنفيس عن عقدته النفسية بكل وسيلة ممكنة إرضاء لطبيعته النرجسية، فقد أرجع الباحث كل ظاهرة من ظواهر حياته وكل خاطرة من خواطر ذهنه وكل مسلك من سلوكه إلى هذه العقدة، فكأنه قد فرغ من هموم الحياة كلها ولم يعد له من همّ سوى الدفاع عن ذاته وكيانه، وحسبه بهذا الدفاع شرفاً ومجداً.

وبديهي أن تحليل شخصية الشاعر على هذا النحو وذلك بإخضاعها في جميع تصرفاتها إلى ظاهرة واحدة من الظواهر النفسية ألا وهي طبيعته النرجسية وصراعها مع المجتمع من أجل السمو والارتقاء؛ هذا التحليل يعد تعسفاً لا مبرر له.. فنحن نسلم بأن **أبا نؤاس** كان يعاني من عقدة نفسية، ونحن نسلم كذلك بأن هذه العقدة كانت سبباً في بعض ما أبدعه من شعر ذي اتجاه معين يحاول به أن يثبت وجوده في مجتمع يميل إلى التفاخر بالأنساب، ولكن الشيء الذي لا نسلم به إطلاقاً ولا نرضاه هو أن تكون هذه العقدة هي السبب في كل ما أبدعه أبو نؤاس من شعر، **فهذا تعسف في التحليل لا يرتضيه المنهج العلمي الدقيق**.

فطبقاً لمنهج **علم النفس التجريبي** يلاحظ أن كل ما يبدعه الشاعر من شعر يرجع إلى التقاء تجربة حديثة يمر بها الشاعر وتتشابه إلى حد كبير مع آثار تجربة قديمة يكون قد مر بها الشاعر منذ أمد بعيد **فإذا مست التجربة الحديثة نفس الأعماق التي سبق للتجربة القديمة أن مستها يحدث التقاء بين التجربتين وينتج عن هذا الالتقاء «بعض المواقف الماضية وتختلط بآثار الموقف الحاضر»**[23].

وعندما تشرق في وجدان الشاعر هذه الانفعالات التي هي مزيج من آثار تجربة جديدة وآثار تجربة قديمة يحدث عند الشاعر ما يسمى بالتوتر الذي يفقد الشاعر اتزانه ويدفعه إلى إبداع قصيدته داخل الإطار الذي يناسبها ولا يعود الشاعر إلى حالة الاتزان إلا بعد أن يفرغ من صياغة انفعالاته، وإذا فرغ الشاعر من التعبير عن انفعالاته بأية صورة من صور التعبير، فإنه لا يستطيع أن يعود إلى النظر فيها مرة أخرى.

أما قارئ كتاب **العقاد** فإنه يخرج منه بانطباع واحد هو أن الشاعر كان



يواتيه دائماً فعل واحد وعلى نسق واحد وكأن هذا الفصل يلتقي على الدوام **بتجربة نفسية مترسبة في اللاشعور** فتثمر ثمرات مختلفة الألوان لكنها في الحقيقة ذات مذاق واحد لأنها جميعاً صادرة عن معين واحد ومعبرة عن فعل واحد ولكن من زوايا مختلفة ، وليس صحيحاً أن هذا يمكن أن يحدث لدى شخص واحد فيواتيه فعل واحد باستمرار وأن يلتقي هذا الفعل بآثار تجربة واحدة باستمرار وأن يثمر هذا الالتقاء قصائد متعددة الأغراض لكنها جميعاً ذات هدف واحد .

فمن المستحيل أن يعبّر الشاعر عن فعل سبق أن عبّر عنه لأن لحظات التوتر لا تواتيه إلا مرة واحدة خلال انفعاله بالفعل وبحيث يزول هذا التوتر ويعود الشاعر إلى حالة الاتزان بمجرد فراغه من التعبير عن هذا الفعل . فإذا ذهب **العقاد** بعد ذلك إلى القول بأن كل ما أبدعه **أبو نؤاس** من قصائد إنما يرجع إلى عقدته النفسية قلنا إن قوله هذا يحمل من التعسف أكثر مما يحمل من الدقة وهذا ما لا نوافقه عليه .

صحيح أن **أبا نؤاس قد آلمه كثيراً أن ينشأ مهين الأصل وضيع النسب** ، وصحيح أيضاً أنه قد تأذّى عندما فشل في الانتماء إلى قبيلة من القبائل العربية ذات العراقة في الحسب والأصالة في النسب وقد أدى التقاء هاتين التجربتين المريرتين في نفس الشاعر إلى الوصول به إلى **حالة من التوتر أحس معها بضرورة التعبير عما يشعر به من ألم ومرارة** لكن من المستحيل أن تعاود الشاعر حالة التوتر من نفس الفعل مرة أخرى .

لكن الباحث اعتبر أن مفتاح شخصية أبي نؤاس يكمن في «**خسّة نسبه**» ومن ثم راح يفتح بهذا المفتاح جميع جوانب حياته كما راح يدلل بكل الطرق الممكنة على صحة هذا الاعتقاد .

أبو نؤاس وابن الرومي .. وجوانب حياتها

ب ــ من مظاهر التعسف أيضاً في تحليل العقاد لشخصية أبي نؤاس ما ذهب إليه من أن **إدمانه الخمر راجع إلى رغبته في الفرار من الواقع والتحليق في عالم وهمي يرى فيه نفسه وقد حقق كل ما يصبو إليه وقد كان هذا الفرار إرضاء لطبيعته النرجسية الغلابة ، ولنتساءل الآن : هل صحيح أن أبا نؤاس أدمن الخمر فراراً من الواقع** ؟ ولم لا يكون سبب إدمانه لها راجعاً إلى أنها كانت **هي العرف السائد في ذلك الزمان ، فلم يكن أبو نؤاس هو وحده الذي يشرب الخمر** على هذاالنحو ، وإنما شربها على غراره وأكثر منه كثيرون غيره فلم التركيز ــ كل التركيز ــ على **أبي نؤاس** ؟ وهل كل الذين شربوها مثله في ذلك العصر كانوا هم أيضاً يعانون عقداً نفسية ويرغبون في الفرار من الواقع ؟ .

جـ ــ ثمة بديهية ينبغي أن تكون أمام عيني الناقد عندما يتناول نصاً أدبياً ويحاول أن يطبق عليه مناهج علم النفس ومقاييسه ، هذه البديهية هي أنه طالما كان في الإمكان إلقاء الضوء على العمل الأدبي دون الاستعانة بعلم النفس فلا حاجة إذن إلى تطبيق مقاييسه ما دام في الإمكان تحليل النص من نواح أخرى غير الناحية النفسية .

فمثلاً عندما يتناول الناقد قصيدة (المساء)[٢٤] أو قصيدة (الضحية)[٢٥] ويحاول أن يطبق عليها منهج التحليل النفسي فيقول إن الشاعر عندما أبدع هذه القصيدة كان عليلاً أو كان يعاني من أزمة نفسية حادة ومن ثم جاءت قصيدته مغلّفة بالحزن والأسى . فالناقد ــ عندئذ ــ لا يضيف إليّ جديداً ، إذ إنني أعرف هذا من أخبار الشاعر نفسه بحكم كونه معاصراً فإذا حدث وقدّر لهذه القصيدة أو تلك أن تنتقل عبر العصور دون أن تنتقل أخبار قائلها وعنّ لباحث من الباحثين في عصر من تلك العصور أن يتناول هذه القصيدة بالنقد والتحليل من زاوية نفسية واستطاع أن يتوصل إلى أن هذه القصيدة حينما أبدعها الشاعر كان عليلاً أو كان يعاني من أزمة مّا فإنه في هذه الحالة يكون قد أصاب ووفّق ولا بأس في هذه الحالة من استخدام منهج التحليل النفسي ، إذ إنه يكون ضرورياً وهاماً لإلقاء الضوء على جوانب العمل الفني لانعدام أخبار مبدعه أو ندرتها .

إن هذا تماماً هو ما فعله **العقاد** عندما تناول **ابن الرومي** بالنقد والتحليل ، فعندما كان هذا الشاعر يعيش في عصره وبين أهله ومعارفه كانوا يعرفونه حق المعرفة فلم يكن بهم حاجة إلى تناول شعره بالتحليل كيما يعرفوا أخباره ، وعندما قدّر لهذا الشعر أن يرحل عبر الزمن حتى وصل إلينا ألفينا أنفسنا إزاء شعر لا نعرف عن قائله سوى النذر اليسير **فقد ضاع الكثير من أخباره في رحلة الانتقال عبر الأجيال** وهذا بالضبط هو الموقف الذي وجد **العقاد** نفسه فيه فليس بين يديه من أخبار **ابن الرومي** سوى قدر ضئيل وهذا القدر لا يمكن بحال أن يفي بمقتضيات البحث ومن ثم كان لا بد من أن ييمّم وجهه شطر ديوانه محاولاً أن يجد فيه ما يبتغيه .

وهكذا استطاع العقاد من خلال استقرائه لهذا الديوان أن يرسم صورة لحياة **ابن الرومي** وإذا كنا لا نستطيع أن نقول إن هذه الصورة مطابقة تماماً لحياة الشاعر إلا أنها على أية حال محاولة طيبة من الباحث ، لكن الأمر مع **أبي نؤاس** مختلف للغاية ، **فأخبار هذا الشاعر كثيرة غزيرة** ، ونحن نستطيع أن نعرف كثيراً من جوانب حياته من خلال هذه الأخبار دون ما حاجة إلى الاستعانة بشعره للوصول إلى هذه الغاية ، فنحن نعرف من أخباره أنه كان **شاذاً ماجناً محباً للخمر ذا ولع ظاهر بالغلمان** ، كل هذه المعلومات نعرفها من أخباره ونستطيع أن نفسرها من خلال ظروف العصر الذي عاش فيه والبيئة التي نشأ في كنفها ، ومن ثم فإن الخدمة التي يؤديها علم النفس في هذه الحالة **خدمة ضئيلة بل ومن الممكن الاستغناء عنها .**

بين الصيد والقنص

د ــ ومن تعسف العقاد في إرجاع ظواهر حياة **أبي نؤاس** إلى طبيعته النرجسية وما يلازمها من حب للعرض وتشوّق إلى الظهور أنه أرجع منظومات الشاعر في باب **الصيد والقنص** إلى هذه الطبيعة فجعلها نتيجة من نتائجها . ففي رأي **العقاد** أنه عندما نظم **أبو نؤاس** طردياته الحافلة بشتى ضروب الغريب كان يهدف من وراء ذلك إلى :

أ ــ أن يبز زملاءه من الشعراء الذين طرقوا هذا الميدان وعلى الأخص



رؤبة بن العجاج .

ب ــ أن يثبت أنه لا يقل شأناً عن أولئك العرب الذين نظموا في هذا الباب وكأنه يريد أن يشعرهم بالندم لأنهم رفضوا انتسابه إليهم وأنزلوا به من الظلم ما لم يكن يستحقه .

وإذا كان العقاد قد أرجع طرديات أبي نؤاس إلى طبيعته النرجسية هذه فإن للباحث نفسه رأياً آخر بالنسبة لطرديات **ابن الرومي** . فهو يذهب إلى أنه عندما نظم **ابن الرومي** في الطرديات كان (**يحكي أبناء عصره في تصعيب اللفظ وتعمد الغريب**)[٢٦] وذلك لأن (الشعراء العباسيين جعلوا الطرد خاصة معرضاً للبداوة الشعرية والفحولة العربية فكانوا في ذلك على حد ما يقال عرباً أكثر من العرب وجاهليين أكثر من الجاهليين)[٢٧] .

وهكذا نجد العقاد يرجع ظاهرة الطرد في شعر **ابن الرومي** إلى رغبة الشاعر في **محاكاة عصره** دون أن يربط هذه الظاهرة بعقدة نفسية كان يعانيها على حين أنه يربط هذه الظاهرة نفسها عند **أبي نؤاس** بطبيعته النرجسية التي كانت تتطلع دائماً إلى الظهور والتي كانت تجد من خسة النسب دافعاً قوياً يدفعها إلى كل ما من شأنه أن يثبت وجودها بين هؤلاء الذين يجعلون لعراقة النسب أعلى مكان .

وهذا بلا شك **تعسف واضح من العقاد** فلماذا لا يكون الدافع الذي دفع **ابن الرومي** إلى نظم الطرديات هو نفسه الدافع الذي دفع **أبو نؤاس** دون أن يكون ثمة صلة بين هذا الدافع وبين طبيعته النرجسية سيما وأن العصر الذي عاش فيه **أبو نؤاس** لم يكن يختلف كثيراً في تقاليده عن العصر الذي عاش فيه **ابن الرومي** .

فقد كان القرن الثاني الهجري هو القرن الذي عاش فيه **أبو نؤاس** بينما عاش ابن الرومي في كنف القرن الثالث الهجري وكلا القرنين أظلّتها الدولة العباسية بظلالها الوارفة وطبيعي أن تتشابه التقاليد في كلا القرنين فليس بمستغرب ــ إذن ــ أن ينظم **أبو نؤاس** في الطرد والصيد لنفس السبب الذي نظم من أجله بعد ذلك **ابن الرومي** دون أن نتعسّف في إرجاع الظاهرة عند **أبي نؤاس** إلى أسباب وهمية أو غير منطقية لا لشيء إلا لكي تتفق مع النظرية المسبقة التي وضعها وراح يحاول أن يخضع كل ظاهرة من ظواهر حياته لمعطياتها كما تتفق النتيجة في النهاية مع النظرية ، فظاهرة الطرد واحدة والعصران متشابهان فلماذا الجري واللهث وراء أسباب وتعلات لا وجود لها ما دام التعليل الأدق والأكثر منطقية في إمكاننا ؟ .

ولكنه التعسف الذي يدفع الباحث إلى ركوب كل مركب صعب بغية الوصول إلى الهدف الذي ينشده وهذا من عيوب تطبيق المنهج النفسي على الأدب ، لأن هذا المنهج كما قلت ينبغي ألا يطبق إلا في أضيق الحدود وعند الضرورة القصوى ، فإذا كانت الظاهرة موضوع الدراسة يمكن أن تفسر من نواح أخرى فلا حاجة بنا إلى علم النفس ولا إلى مقاييسه التي تدفع الباحث إلى التعسف واختلاق التعلات من أجل الوصول إلى نتائج تتفق مع النظريات التي سبق أن وضعها .

الهوامش

(١) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده تأليف **محمد خلف الله أحمد** ، الفصل الأول ، ص ١٥ ، من منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٧ م .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) **ابن الرومي** : حياته من شعره **للعقاد** ، ص ٥ ، والنسخة التي بين يدي مفقودة الغلاف وهي تحمل رقم ١٤٧٨ ــ مكتبة كلية دار العلوم رقم مسلسل ١٥٨٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(٥) المصدر السابق ــ الفصل الثالث ، ص ١٢٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(١٢) المصدر السابق ، الفصل الرابع ، ص ٢٦٥ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

(١٤) **أبو نؤاس «الحسن بن هانئ»** تأليف **عباس العقاد** ، ص ١٤٠ ، من كتاب الهلال ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٠ م .

(١٥) الأسس النفسية للإبداع الفني **للدكتور مصطفى سويف** ، ط ٣ ، الفصل الأول من الباب الأول ، ص ٣٥ ، دار المعارف ، ١٩٧٠ م .

(١٦) المصدر السابق ، الفصل الثالث من الباب الأول ، ص ٧٨ .

(١٧) ولد **أبو نواس** حوالي سنة ١٤٦ هـ/ ٧٦٢ م ، وتوفي حوالي سنة ١٩٨ هـ ــ ٨١٤ م .

(١٨) أبو نؤاس للعقاد ، ص ١٣٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

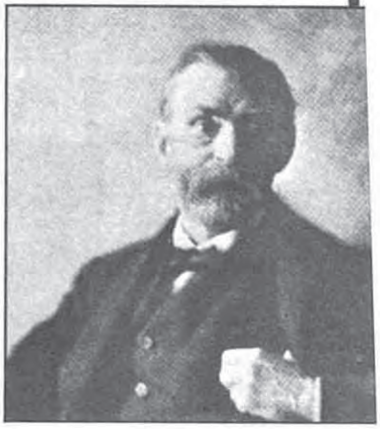
(٢٣) الأسس النفسية للإبداع الفني ، الفصل الرابع من الباب الثاني ، ص ٢٨١ .

(٢٤) للشاعر **خليل مطران** .

(٢٥) للشاعر **خليل مردم** .

(٢٦) **ابن الرومي للعقاد** ، الفصل السادس ، ص ٣٢٢ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .



★ ألفريد نوبل ★



★ بول فاليري ★

إن سعة تأثير أدب أميريكا اللاتينية في الآونة الأخيرة أصبحت مدهشة ، «وقد وضع الناقد الأدبي : (أمير رودريكز مونيكال EMIR RODRIGUEZ MONEGAL)[1] من الأورغواي إصبعه على عام ١٩٤٠م ، أي العام الذي وجدت فيه القارة الأميريكية اللاتينية نفسها في عزلة ثقافية من جراء الحرب الأهلية الإسبانية ، واندلاع الحرب العالمية الثانية بعد ذلك ، مما تحتم عليها أن تنهمك بمشاكل كيانها القومي .



ميغيل الأديـ

(١٨٩٩-١٩٧٤م)

بقلم:
محمد القاضي



ومنذ ذلك الحين تطور بسرعة الريح جمهور قراء وبرز فجأة ما بين عشية وضحاها كما يقال كتّاب لامعون ، ويبدو أن هناك أمداً بعيداً مضى منذ أن شوهدت الروايات الأميريكية الكبيرة في الولايات المتحدة الأميريكية ، في حين أن كتّاب أميريكا اللاتينية لا يألون جهداً في أن يمتلكوا مثل هذه الرواية . فقد أدركوا بوعي أن قارتهم تمتلك تاريخاً ما يزال غير مدون ، وكنوزاً أدبية ما تزال غير مكتشفة . فهناك السكان الهنود الحمر الأصليون ، والاحتلال الإسباني ، وحركات الاستقلال ، وأنظمة السيطرة الديكتاتورية التي أعقبت الاحتلال ، ومختلف الجماعات النازحة إلى القارة ، والاعتماد الاقتصادي على أوروبا وأميريكا الشمالية ، والاختلاط العنصري ، وتناقضات الخصائص القومية » .

يحظى أدب أميريكا اللاتينية باهتمام عالمي واسع في السنوات الأخيرة ، كما أن الحركة الأدبية والثقافية في أميريكا اللاتينية قد تبوأت مكانة هامة في إطار الحركة الأدبية العالمية عبر عشرات السنين الأخيرة ، لأنها وبدون استثناء ، قد عبّرت عن مصالح وطموحات وأوضاع شعبها ، بأشكال وطرق وأساليب فنية متميزة ، وصاغت من خلالها هويتها المتميزة .

« وأميريكا اللاتينية تنفض عنها اليوم غبار خمسة قرون من السبات كانت خلالها تشاهد العالم وهو يبني حضارات أثارت الكثير من النزاع . إنها وريثة ثقافات يونانية – لاتينية زاد من غناها مساهمات الهنود والأفارقة ... أجل سوف نرى ذلك . فأميريكا اللاتينية تخبئ مفاجآت كبيرة »[٢] .

إن الشعراء والكتّاب في أميريكا اللاتينية لا يمكن نفي دورهم الطليعي اليوم مهما كانت إمكانية إيصال صوتهم صعبة ومتعسرة ، ويعتبر أدبهم من أكثر الآداب العالمية روعة وحيوية في العصر الحاضر ، ولا سيما الرواية ، لأنها مركبة من عدة عناصر ومستوحاة من الواقع ، وغنية بالخيال والخرافة والعقائد العمياء والأيديولوجيات .

أنخيل أستورياس المناضل

★ أستورياس مع مجموعة من الهنود الحمر ★



إن كتب **ميغيل أنخيل أستورياس ، وغابرييل غارسيا ماركيز ، وخوان رولفو ، وماريو فارغاس لوسا ، وخوليو كوزتثار ، وخورخي لويس بورجيس ، وأليخو كاربينتر ، وخوان كارلوس أونيتي** مملوءة حياة ، والقارئ يحس في هذه المؤلفات بالنفس الحقيقي للحياة ، يحس بحقيقة الأبطال .

ميغيل أنخيل أستورياس

أديب ، صحفي ، جوالة ، دبلوماسي ، **ولد في مدينة غواتيمالا عاصمة جمهورية غواتيمالا** في ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٨٩٩ م ، أي بعد عام من وصول « **استرادا كابريرا E. CABRERA** » إلى السلطة ، فكانت ذكرياته الأولى ذكريات رحيل واضطهاد ودماء . يقول أستورياس : « لقد ولدت في الوقت الذي ولدت فيه الامبريالية ، وبدأت في غواتيمالا واحدة من أكثر الديكتاتوريات طولا ووحشية . إن سنواتي الأولى أتذكرها بكل دقة »[٣] .

كانت غواتيمالا في تلك الفترة ، تعيش صراعاً وطنياً خطيراً ضد ديكتاتور جبار يسمى « إسْتَرَادَا كابْريرا » الذي حكم البلاد بيد من حديد ، عزلها عن العالم تماماً ، وأغلق أبوابها على الحرية ، فلا صحافة ولا كتب ولا فن ولا فكر إلا ما أجازه الديكتاتور ؛ ولكن الشعب الغواتيمالي لم يقف إزاء هذه الحالة موقف المتفرج بل واصل نضاله وكفاحه من أجل الحرية ومحاربة الفساد على الرغم من بشاعة أساليب القمع التي ميزت نظام الحكم العسكري ، والتي فاقت بشاعة ووحشية أساليب الاستعمار الإسباني القديم ، (١٥٢٤ – ١٨٢١ م) ، ولم تسترح البلاد من هذا الديكتاتور العنيد إلا بثورة عسكرية أطاحت به سنة ١٩٢١ م . ولكن

الحالة ازدادت سوءً لأن النظام العسكري الجديد لم يكن خيراً من النظام السابق ؛ فاستمر الشعب المقهور في كفاحه ونضاله إلى أن نجح في إقامة نظام ديمقراطي سنة ١٩٣٤ م .

من خلال هذا الشعب برز الشاب الطموح ـ وهو طالب جامعي ـ ميغيل أنخيل أستورياس ، وخوفاً على مصيره المفاجئ طلبت عائلته من **الدكتور « خُويسي أنطونيو إنتيناس »** أن يصحبه معه إلى أوروبا ، فاستقر به المقام في **باريس** حيث انقطع للدراسات الأنثروبولوجية وخاصة ما يتعلق منها بحضارة « **المايا** » واهتم بالجذور العميقة لشعوب وسطى وجنوب أمريكا ، اهتماماً انعكس بوضوح في أعماله الأدبية . وكانت أطروحته بعد أن انتهى من دراسة الحقوق عن مشكلة الهنود الحمر الاجتماعية مما دفعه إلى اتصال أدق وأكثر علمية بأبناء الشعب وبمعضلاتهم . وفي سنة ١٩٢٨ م ، رجع إلى وطنه معرجاً على **كوبا** حيث ألقى فيها محاضرات عن حضارة الهنود الحمر مبشراً بالمجتمع الأمريكي اللاتيني الجديد .

وفي بلاده اشتغل بالصحافة والأدب إلى أن عيّن سنة ١٩٤٧ م ، وزيراً مفوضاً ممثلاً لبلاده في الأرجنتين .

وفي سنة ١٩٥٤ م ، صدر مرسوم يحرمه من حقوق المواطنة نظراً لمواقفه السياسية .

حصل على جائزة نوبل ١٩٦٧ م ، حاضر في جامعات روما وكويا وباريس وكامبردج .

أهم أعماله الأدبية رواية « السيد الرئيس » و « عيون المقبورين » و « بشر الذرة » . . . ترجمت أعماله إلى لغات عديدة . توفي في مدريد سنة ١٩٧٤ م .

أستورياس .. الأديب وعالم الهنود الحمر

كان أول ما كتب ميغيل أنخيل أستورياس مجموعة من أساطير غواتيمالا نشرها أولا بالفرنسية ثم بالإسبانية (نشرت في إسبانيا سنة ١٩٣٠ م) . كتب له المقدمة **الأديب الفرنسي الشهير « بول فاليري »** قال : « هذا الكتاب يشرب أكثر مما يقرأ . كانت قراءته بالنسبة لي وكأنها منحدر رأيت بعد أن تناولته حلماً ثقيلاً أحسست له مع ذلك بلذة فريدة . . . أما كاتبه فشاب ضخم ذو وجه عريض داكن اللون يحسب الناظر إليه أنه يتأمل قطعة نحت من تماثيل هنود (المايا) . تحت القابه الإسبانية ترقد جذور هندية ، وهو يحمل في كيانه بفخر كبير أثقال الهندي المستعبد . . . »[٤] .

إن جميع بلدان أمريكا اللاتينية لها ماض مشترك ، كما أن طريق تطورها واحد بسماته الرئيسية ، فمنذ الاستعمار الإسباني لأمريكا اللاتينية في القرن السادس عشر « كان الهندي موضوع جدال جاد ، بحيث كان مفكرو الإسبان يتساءلون عما إذا كانت له روحاً أم لا !! »[٥] .

لقد ناضلت شعوب أمريكا اللاتينية وحصلت على استقلالها في القرن الماضي مع العلم أن الذين حصلوا على الاستقلال هم فئات اجتماعية جديدة تختلف تماماً عن تلك التي كانت موجودة قبل الغزو . إن وضعية الهندي في ظل هذا الاستقلال لم تتغير رغم تلك الروح الليبرالية السائدة .

« وأستورياس هذا بفضل عبقريته وحساسيته وثقافته الهندية استطاع أن يعطي لهذه الكلمة شحناتها السحرية والأسطورية والكونية ولقحها بطابع أخلاقي مقدس ، وبالخصوص في روايته العظيمة « رجال الذرة » فحاول أن يبيّن التناقض الموجود بين الهندي والأبيض ، بين نوعين من التفكير ، بين تصورين لتفسير وفهم العالم ، بين ثقافتين متصارعين في حضن واحد : نوع يؤمن بقدرة وقدسية وفتنة الطبيعة والكلمة ، ونوع آخر سجين العقل ، يؤمن بمنطق نفعي استغلالي ، يعكس الحضارة والثقافة الأوروبية ، وبفضل هذين العملاقين خرجت الرواية الأهلية من أزمتها ومن محيطها المحلي الضيق لتعانق آفاقاً شاسعة ، ولتكتسي أخيراً صبغة عالمية واسعة »[٦] .

إن الكتابة في أمريكا اللاتينية نوع من التحدي ، والكتابة الراهنة تتوجه إلى المستقبل انطلاقاً من الحاضر ، ولفهم الحالة الراهنة للأدب في أمريكا اللاتينية يجب عدم إهمال مراحله التاريخية والحالة الراهنة لتطوره ، فقد فرض في الحياة الثقافية مؤخراً نوعاً من الوجود المتميز ، خاصة على صعيد الرواية .

« ويتضمن النص الروائي أن الإنسان لا يحيا أبداً وحده وأن له ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . **ويدل ظهور الفن الروائي بشكل أساسي أنه لا يوجد مجتمع دون تاريخ ، وأنه لا يوجد تاريخ دون مجتمع .** فالرواية هي الفن الأول الذي عبر عن الإنسان بطريقة تاريخية ـ اجتماعية مباشرة ، ففي النمط الأسطوري للقصة يبرز الإنسان اجتماعياً ، الا أن تاريخه لا يخطو إلا مقنعاً بالآلهة والأبطال ، وأشكال السحر . أما في النمط الروائي للقصة ، فإن المجتمع يدخل في التاريخ وفي الوقت نفسه يدخل هذا بدوره في المجتمع »[٧] .

ويقول الروائي غابرييل غارسيا ماركيز : « **على الكاتب أن يكتب معتمداً على واقعه الخاص ، وليس ثمة مناص من هذا ، فالكاتب الذي لا يستلهم واقعه الخاص وتجاربه الخاصة فهو كاتب سيئ ويسير في طريق خاطئ** »[٨] .

لقد بحث ميغيل أنخيل أستورياس عن عالم الهنود الحمر ، ووقف دائماً مدافعاً عن هذا الشعب المسحوق المتميز بتراثه الفريد ، والذي يحاول تأكيد وحدته المشتتة ، وتعزيز استقلاله الحضاري ، فكان أدبه عبارة عن أدب إنساني خالص .

أستورياس .. والرواية السياسية

إن موضوع الديكتاتورية ، أو الزعيم السياسي ، نجده بكثرة في أدب

القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن. وتشكل رواية «تيرانو بانديراس TIRANO BANDERAS» للكاتب الإسباني «رامون دي فالي إنسكلان INCLAN» انعطافة تاريخية مهمة في تطور تناول هذا الموضوع[9]. لقد كانت الروايات السابقة تعتبر الكتابة أسلوباً خاصاً بتقديم الشهادات المباشرة تقريباً والوثائق التي لم تكتشف كلياً أو الشخصيات التي يشار إليها بالاسم أو المتخفية تحت أسماء مستعارة.

وتعتبر رواية «السيد الرئيس» لميغيل أنخيل أستورياس أعظم رواية سياسية كتبها أديب من أميركا اللاتينية، وأحب كتبه لديه والذي لم يتيسر له طبعه إلا عام ١٩٤٦م، رغم أنه فرغ من هذه الرواية حوالي سنة ١٩٤٠م.

وتندرج ضمن تيار الأدب الملتزم، لأن الالتزام يحمل الكاتب على الاحتفاظ بصلة وثيقة مع الواقع الحي والتجربة المشتركة للناس.

«في هذه الرواية كل أخطاء أستورياس وكل بيانه. الأبطال ليسوا بشراً عاديين كمن نرى من البشر، لأنه كان يأخذ البطل من أبطاله من زاوية انطباعه عنه، فليس الإنسان وليست الأشياء عنده ما ترى بالعين المجردة بل عين الباطل. وليست الأحداث بتلك التي تندرج في تعاقب ملموس محسوب وإنما في وجود آخر، هو الوجود الحقيقي. يرى فيما يظنه الناس صدفة منطق الحوادث العميق. وهنا يظهر مرة أخرى الأثر الهندي الأحمر فيه. النصوص الهندية الحمراء تتحرك في مستويين: الحلم والواقع، الكائن البشري والنهوال. الناس ناس وطنه نجدهم على درج كاتدرائية «سيدنا». بشر من عالم مقهور فقدوا إنسانيتهم. ليس بينهم من هو سوي الجسم أو العقل، كلهم كسيح أو أعمى أو أصم أو مبتور اليد أو الرجل. باتوا خارج حدود الإجهاد والتعب. إنهيار مطلق. اللغة التي يتحدثون بها سريالية لأن عالمهم سريالي يكاد يكون وهماً. لكنه غواتيمالا التي في خيال أستورياس.

هذه الصورة المظلمة هي أبلغ ما في الكتاب، فيها أجمل بيان أستورياس، أمتن كلماته وأحلاها جرساً. لكنك لا تملك أن تحس بالقشعريرة وأنت تقرأها. إنهم أهل وطنه وصورتهم في عين منفاه»[10].

عندما قرأتها الأديبة التشيلية «**غابرييلا ميسترال**» (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧م) (نوبل للآداب ١٩٤٥م) كتبت تقول: «لا أدري من أين طلعت علينا هذه الرواية التي كُتبت بسهولة التنفس، وجرت سطورها مجرى الدم في الجسد... لقد أتحفتنا غواتيمالا ذات الأسرار، بلد الهنود الخلصاء، بهذا العمل الأدبي الذي سيظل خالداً أبداً، لقد كشفت غواتيمالا به عن نفاقنا الذي نسميه وطنية»[11].

إن الإلهام النهائي لميغيل أنخيل أستورياس ككاتب بدأ بظهور رواية السيد الرئيس التي تجسد كل تجاربه في الطفولة والمراهقة والشباب التي عاشها طوال مدة حكم الديكتاتور «كابريرا» والتي تحولت من واقع معاش إلى واقع روائي رائع، وهي بذلك تمثل قمة الأدب السياسي في أميركا اللاتينية.

هل كان أستورياس يستحق جائزة نوبل للآداب؟.

عندما حصل أستورياس على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٦٧م، علّق أحد نقاد الإذاعة الإيطالية قائلاً: «إن الأكاديمية السويدية تلجأ أحياناً إلى منح الجائزة إلى أديب وسط في أخريات أيامه لتستنقذ بذلك اسمه من الضياع المحتوم، وضرب الناقد لذلك مثلين: خوان رامون خيمينث الإسباني وميغيل أنخيل أستورياس الغواتيمالي»[12].

أما أستورياس فقد رد على أحد الصحفيين عندما سأله عن رأيه في اختياره من بين المرشحين لجائزة نوبل قائلاً: «أعتقد أن السبب هو ما قمت به من الجهد في سبيل ترويج الرواية الإسبانية الأميركية عن طريق المحاضرات التي ألقيتها في نواحي الدنيا كلها»[13].

ربما لا يستطيع أحد أن يطعن في القيمة الأدبية لأستورياس فهو الكاتب والأديب والشاعر والصحفي، تعددت وتنوعت النواحي العبقرية في شخصيته، وخلد اسمه ضمن الأسماء اللامعة في عالم الأدب والنضال. بعدما أظهر طابع الكفاح في رواياته، وجسد طابع الدراما السياسية في أميركا اللاتينية، فاستحق جائزة نوبل كما استحقها غيره من الأدباء في العالم.

الهوامش

١ ـ مجلة (الأقلام العراقية) العدد ١٢ (١٩٨٠م) ص ١٢٢.

٢ ـ مجلة (الأقلام العراقية) العدد ٤ (١٩٨٠م) ص ١٨٠.

٣ ـ انظر كتاب بالإسبانية: CONVERSACIONES CON MIGUEL ANGEL ASTURIAS - LUIS LOPEZ ALVAREZ P: 40

٤ ـ مجلة (المجلة المصرية) العدد ١٣٢ (١٩٦٧م) ص ٢٠.

٥ ـ جريدة (المحرر المغربية) العدد ٢٠ غشت ١٩٧٨م.

٦ ـ نفس المرجع ونفس العدد.

٧ ـ مجلة (الآداب الأجنبية السورية) العدد ٣ (السنة الأولى) ص ٣٧.

٨ ـ مجلة (المسيرة) اللبنانية، العدد ١، المجلد ١ (١٩٨٠م) ص ١٥٣.

٩ ـ انظر كتاب بالإسبانية: DON RAMON MARIA DEL VALLE INCLAN - RAMON GOMEZ DE LA SERENA COLECCION AUSTRAL - N 427

وانظر كذلك: مجلة (آفاق عربية) العراقية العدد ٦ (١٩٧٩م) ص ٧٨.

١٠ ـ مجلة (آفاق عربية) العراقية العدد ١٢ (١٩٧٧م) ص ١٠٤.

١١ ـ مجلة (المجلة المصرية) العدد ١٣٢ (١٩٦٧م) ص ٢٤.

١٢ ـ نفس المرجع ونفس العدد، ص ١٨.

١٣ ـ مندوب شركة الأوروفيزيون، باريس، ١٩٦٧م.

التراث العربي الإسلامي ... والغرب

وجد ، خلال القرن التاسع عشر ، طبيب فرنسي انخرط في الجيش وذهب معه إلى الجزائر .. وهناك استهوته الأجواء العربية فعشقها وتعلم اللغة العربية فأحبها . وانكب على دراسة التراث العربي (الطب) ، وألف أفضل كتاب حتى اليوم عن « تاريخ الطب العربي » ، وصدر الكتاب على نفقة المؤلف عام ١٨٧٨ م .

وعندما توفي ترك كتباً كثيرة عن تاريخ العلوم العربية مخطوطة لم تطبع فأودعها أصدقاؤه في **المكتبة الوطنية بباريس .**

بقلم : د. سليمان قطاية

ومنذ عامين استحضر **معهد التراث العلمي العربي** ، بناء على اقتراحي ، ميكروفيلماً لكل هذه المخطوطات .

ثم عهدت إدارة المعهد إلى **السيدة سيمون لافلوريل ذاكري** ، بدراسة هذه المخطوطات تمهيداً لنشرها .

هذا الطبيب هو : لوسيان لوكلير .

وكتابه يقع في جزءين من القطع المتوسط كل منهما يجاوز الخمسماية صفحة بدون صور أو رسوم .

وأعتقد أن أخلص أبناء العروبة ، لو ودّ كتابة تاريخ الطب العربي لما فعل أفضل مما فعل هذا المستشرق .

والمؤسف حقاً أنه لم يترجم حتى الآن .. بل ترجم كتاب **أ . ج . براون** مرتين عن الإنجليزية ونشر ، مع أنه ضد العرب ، وضد تراثهم .

ونلحظ في مقدمة الكتاب ، وقفته ودهشته لولادة الحضارة العربية .

فيقول : « **إن نشوء العلوم وتطورها ظهرت على مسرح التاريخ ، وعند كل الشعوب ، ضمن القوانين نفسها تقريباً ، وبشكل متشابه .**

إلا أن الحال ليس هكذا عند العرب ، ومبادرتهم إلى العلم ، حادثة فريدة في التاريخ » .

ويضيف شارحاً فكرته هذه :

« في شبه الجزيرة العربية ، ومحمياً بالرمال والبحر ، كان يعيش تحت سقف الخيام شعب من الرعاة والتجار ، شعب يتعشق الحرية والحرب والمغامرات والكلام والشعر ... شعب ذكي ، وغريب على التحليل ، يعتمد على ذاكرته في أشعاره وأيامه الكبرى ، وحسبه ، ونسبه . ولم يعرف الكتابة إلا متأخراً ، وحصل على معلومات قليلة وغامضة عن الطب بسبب اتصاله ببلاد فارس .

إلا أن صحوة مفاجئة غيّرت مجرى مصيره ، وفتحت الأبواب على مصاريعها لحيويته . كان العرب وثنيين ، فجعلهم محمد (صلى الله عليه وسلم) يؤمنون بوحدة الإله ، وأعطاهم عنها أعلى فكرة وأنقاها . بل فعل أكثر من ذلك ، فلقد جعل من شعب ظل غريباً عن الأحداث الخارجية حتى ذلك الزمن ، شعباً آخر يضم جيشاً من المؤمنين المتحمسين الذين انطلقوا لفتح العالم . **ولما يمض قرن على وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى أصبحت بلاد العرب تمتد من نهر السند إلى المحيط الأطلسي .**

ما هي نتائج هذا الهجوم الجديد لشعب متدين ، بعد كل الهجمات التي تقاسمت بقايا العالم الروماني ، وداست على الأنوار والحضارة التي كانت لا تزال باقية في بيزنطة المستضعفة ، باقية هزيلة ومريضة ؟

إن هذه الصدمة الوشيكة بين التدين والهمجية ، كان من الممكن أن ينجم عنها زلزال أكثر أذى من الزلزال السابق . هل كان من الممكن الظن بأن العلم اليوناني الذي هوى سيصبح إرث هؤلاء المؤمنين الجدد ؟

ولكن هذه المعجزة قد حدثت .

هذا الشعب العربي الذي جعل منه الإيمان فاتح نصف العالم جعل سريعاً ، من المسيحيين المغلوبين معلمين له ، وبدأ يهضم علمهم بحماسة وسرعة عجيبة ، مظهراً استعداداً ، كان يبدو غريباً على جنسه ، بصورة أنه لم يلبث بعد فترة وجيزة أن سبقهم . وظل حاملاً مشعل الحضارة طيلة خمسة أو ستة قرون » ...

ومضت الأيام على كتاب لوكلير هذا ...

★ ابن زهر ★



★ ابن النفيس ★



★ ابن رشد ★



★ جاك بيرك ★



وبدأت **الحركة الصهيونية** في بداية هذا القرن ، عملها التخريبي المقصود على التراث العربي ، وتأثر العلماء الغربيون بها وبتوجيهاتها ، حتى غدا وجود عالم موضوعي أمر نادر .

وكثر الدس والتشويه ، ليس فقط في ميدان الطب والعلوم ، بل في الفنون ، والتاريخ نفسه ، . . . حتى في اللغة ، إذ وجد من دافع عن القول بأن النحو العربي نفسه مصدره النحو اليوناني . ؟

وراح هؤلاء العلماء يوزعون التراث يمنة ويسرة على كل من يريد من الشعوب : **كالفرس ، والهنود ، والديلم ، والأتراك ، واليونان** . . .

بل حتى أنكروا على العلم العربي هويته : فهو تارة فارسي ، وأخرى هندي أو يوناني ، وتارة أخرى هو : صابئي ومجوسي ويهودي ومسيحي . . .

والعرب غارقون في مشكلاتهم وتخلفهم .

ولكن ومنذ فترة بدأت حركة الاهتمام بالتراث : كتأسيس **معهد المخطوطات العربية في القاهرة** ضمن أعمال **منظمة الثقافة والتربية والعلوم التابعة للجامعة العربية** ، فراحت ترسل البعثات فتجوب البلاد ، تصور المخطوطات وتحتفظ بها في المعهد وترسل صوراً عنها لكل من يريد من الباحثين ، وأصدرت مجلتها المتخصصة والأولى في العالم العربي في أواخر الخمسينات .

ثم أسس **معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب** وافتتح رسمياً عام ١٩٧٦ م ، وتلاه **معهد الدراسات الإسلامية في مكة المكرمة** .

ومعهد إحياء التراث العلمي العربي في بغداد . . الذي توقف عن العمل وهو لما يبدأ بعد .

وراحت المجلات والدوريات تكرس الدراسات والمقالات عن التراث . ولكن من المحزن أننا لا زلنا نسمع ونرى من آن إلى آخر أناساً يعتقدون أنهم مثقفون ، وبعضهم يحمل شهادات علمية عالية ، وقضى سنين طويلة في الغرب ، نرى هؤلاء يحملون بشدة ولؤم على هذه المؤسسات ، ويطعنون في جدواها وصلاحيتها .

وفي خضم الكتب والنشرات التي تطعن في العلم العربي ، والتي تزداد يوماً بعد يوم بسبب تشجيع الصهاينة من ناحية ، وعداء للدين الإسلامي والمؤمنين بالعرقية من ناحية أخرى ، وخاصة ثالثة الأثافي إهمال العرب للتراث ، أو فلنقل اهتمامهم القليل والمحدود بحدود البلاد العربية ، في كل هذا الخضم الصاخب ظهر كتاب في أواخر العام الماضي ، أي بعد مضي قرن كامل على كتاب لوكلير .

كتاب تاريخ الطب

يحمل هذا الكتاب اسم «**تاريخ الطب**» ، ويقع في (٦٥٠) صفحة من القطع الكبير ، بدون صور أو رسوم ، وباللغة الفرنسية . . مترجماً عن الأصل المكتوب بالألمانية والصادر عام ١٩٧٥ م .

مؤلف الكتاب هو الدكتور (طبيب) **شارل ليشتانتيلر ، أستاذ تاريخ الطب في جامعتي لوزان بسويسرا ، وهامبورغ في ألمانيا الاتحادية** .

والكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الأستاذ المذكور كل عام على طلابه في الجامعتين .

ومنذ أن قرأت الصفحات الأولى للكتاب شعرت أنني أمام إنسان يختلف عما عهدناه عن الآخرين .

فعدا عن الثقافة الواسعة والعميقة والمتنوعة ، التي يتمتع بها المؤلف ،

والتي تنضح من كل صفحة من صفحات الكتاب ، فهو يتمتع بروح موضوعية مدهشة .

ولقد كرس ليشتانتيلر المحاضرة العاشرة بأكملها للطب العربي .

يقول في بداية بحثه : « ولكن وبينما كان الغرب واعياً للخطر المحدق به من الغرب ، قام جميع أباطرة روما تقريباً بالحرب ضد القبائل الجرمانية ، ولكن خطر الشرق كان غير معروف قطعاً ، وفجائي بحيث أنه نزل عليه كالصاعقة . رجل واحد « مرسل » زعيم ديني وسياسي ، ذو همة لا تقهر ، أسس الإسلام وجعل منه قوة عالمية : إنه محمد (صلى الله عليه وسلم) .

إن منابع وجذور الإسلام جعلت منه ديناً جديداً ، وظهر له ، كما ظهر لليهود والمسيحيين من قبل . إسلام يعني « الخضوع لله » . فالمسلم يرى في الله ، الإله الوحيد القادر بحيث يمضي حياته كلها وعيناه مثبتتان على العالم الآخر . ومبادؤه الأخلاقية بسيطة كمعتقداته الدينية : كل المؤمنون إخوة ، بدون تمييز للجنس والعرق ، والقبيلة والمستوى الاجتماعي . فالوصية الأولى هي : **التعاضد** . ثم يأتي الترفع عن أمور الدنيا ، والرحمة . الشيء الوحيد الموصوف بتفاصيل دقيقة هي الطقوس :

الصلوات اليومية ، وقراءة القرآن (الكريم) ، والصوم ، والحج إلى مكة (المكرمة) ، حماسة دينية عجيبة ، إيمان بالعالم الآخر ، بساطة تقية ، أخوة ، روح التضحية . هذه هي الأخلاق التي كانت سبباً لنجاح الإسلام الهائل من الناحية السياسية والعسكرية . كان كل واحد منجذباً ، منخلعاً من مكانه بالحركة الجديدة هذه . فتوقفت العداوات المحلية في الحال ، وتنظمت الفتوحات وانطلقت في كل الاتجاهات . وبعد فترة قصيرة بدا العالم المسيحي ميكروسكوبياً إلى جانب العالم الذي يسيطر عليه الإسلام . إنها لأعجوبة أننا لم نصبح جميعاً مسلمين » .

ويقول أيضاً :

« بعد مضي ثلاثة قرون على تأسيس **القسطنطينية** ، نجد أنفسنا أمام وضع لا يمكن تصديقه . **إن شعلة العلم اليوناني (بمعناها العريض) أخذت من قبل العرب . ووريث الغرب اليوناني هو أولا وقبل كل شيء : المشرق الإسلامي** . . . ولكن خلف هذه الأحداث الهامة ، تختفي مشكلة : كيف استطاع هذا المشرق أن يستقبل ويهضم هذا العلم ؟ بحماس أم بتردد ، كلياً أم جزئياً ؟

نلمس هنا نقطة هامة من محاضرتنا . إذ يبدو في الواقع أن توتراً خطيراً ظهر بين العقلية اليونانية وبين العقلية الإسلامية » .

وبعد أن يستعرض مراحل تطور الطب العربي الثلاث يقول :

« ولكن هذه الدول سقطت شيئاً فشيئاً في نوم عميق ، يستيقظ العرب منه اليوم فقط فإذا بهم في عالم مختلف تماماً . . . . والتوتر بين العلم والثقافة بالنسبة لعرب اليوم ، هو أقل بقليل جداً مما كان عليه بالنسبة لأجدادهم عام ١٠٠٠ م . والبنية التحتية الميتافيزيقية للعلوم الطبيعية ، لا يمكن أن تتفق مع القرآن ، كما لم تتفق المبادئ الأرسطالية الأفلوطونية مع الجالينوسية العربية . وبين المحافظين على التقاليد وخصومهم ، وقعت معارضات عنيفة » .

والمحاضرة مليئة بالأفكار الثمينة التي تستحق المناقشة بالتفصيل ، وسنتعرض لها في مقالات قادمة .

وخلاصة الكلمات التي اقتطفتها من المحاضرة : أنه بعد مضي قرن كامل من الزمان ، لا يزال بعض العلماء في الغرب يطرح السؤال نفسه :

ـ كيف استطاع العرب أن يأخذوا ويتمثلوا العلم اليوناني ، رغم التضاد والتنافر بينهما على الأقل ظاهرياً ؟ . .

وأمام إعجابي بالكتاب لم أتمالك من الكتابة إلى مؤلفه مقرظاً مؤلفه مادحاً ، ومخبراً إياه أننا أسسنا معهداً لتاريخ العلوم العربية ، وأننا نقيم في نيسان (أبريل) القادم مؤتمراً عالمياً هو الثاني . . . إلخ . .

أرسلته إليه باللغة الألمانية ، إلى **جامعة هامبورغ** ، وسرعان ما جاءني الرد ، وكان على غاية من الرقة واللطف ، والتواضع .

وكان من جملة ما قاله :

« عندما كتبت محاضرتي العاشرة عن الطب العربي ، والتي حسنتها باستمرار ، كنت أسائل نفسي دوماً : ماذا سيقول عنها زملائي في العالم العربي . وبفرح عظيم أعلم منكم أن هذه المحاضرة لم تبتعد كثيراً عن الموضوع الذي أردت أن أنبّه إليه . فالعرب ، بشكل عام ، هم ورثة اليونانيين في طريقتهم في التفكير والمنوعة كثيراً ، والتي باستطاعتها أن تلتقط الحقيقة ضمن أوجهها المختلفة ، بعكس نوع من العقلانية الأوروبية الذي يلجم الحقيقة التاريخية ، ويحبسها ضمن نماذج منطقية جامدة جداً . . .

إن لدي ، من ناحية أخرى ومنذ فترة طويلة صداقة حارة للعالم العربي ، وهي تبدو من خلال شعور محاضرتي رغم كل الموضوعية التي حاولت التقيد بها . وليس من المستحيل قطعاً أن أكون في العالم العربي مفهوماً أكثر من باقي العوالم بسبب القرابة الفكرية التي تحدثت عنها سابقاً .

ماذا كنا نعرف عن النفس العربية قبل دخول الخلفاء إلى الأرض الهيانيستية ؟ كيف يمكن تفسير الاتصال بين الفكر العربي واليوناني ؟ هل طرحت هذه المشكلات بين مثقفيكم ؟ » .

وكان رده بالفرنسية ، إذ إنه سويسري ، أمه تتكلم الفرنسية .

ثم طرح عليّ السؤال نفسه الذي طرحه لوكلير في كتابه .

لقد وقع بعض الغربيين في خطأ كبير ، إذ قارنوا الفتح العربي ، بالفتوح الأخرى : كهجوم التتار ، وقبائل الهون ،

وقبائل التوتون الجرمانية ، وهجوم الأتراك العثمانيين . . .

لقد استطاعت هذه الأقوام أن تسيطر على بلاد شاسعة وأن تقيم إمبراطوريات ، ولكنها عجزت عن إقامة حضارة .

إلا أن هجوم العرب كان مخالفاً ، كما شرحه ليشتانتيلر نفسه . كان هجوماً مدفوعاً بعقيدة قوية راسخة ، وإيمان لا يتزعزع لنشر هذه العقيدة . عقيدة تدعو إلى الأخاء والمساواة والعدالة والخير والحق بين جميع البشر دون تمييز .

هذه هي المعجزة التي لم تكن لتلك الأقوام .

ثم ظهرت عوامل أخرى ، جعلت من عربي الصحراء والرمال رجل متعطش للعلم أينما كان .

لم تعرف العقائد قبلاً عقيدة دفعت مؤمنيها نحو العلم كما فعل الإسلام ، فعلاوة على الآيات القرآنية العديدة ، كثيرة هي الأحاديث التي تحض على العلم نسرد منها للذكرى لا للحصر :

قوله (صلى الله عليه وسلم) :

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

واطلبوا العلم من المهد إلى اللحد .

واطلبوا العلم ولو في الصين .

والناس عالم ومتعلم والباقي همج

والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان . . إلخ . . .

لم تعرف الأديان ديناً يحترم الأديان الأخرى ، بل ويؤمن برسلها كالإسلام لأنه لا يفرق بين أحد من رسله ، ويمتدح أهل الكتاب ويدعوهم للتآخي .

والتسامح العربي مع الأديان الأخرى أشهر من أن يذكر . فمواقف المسلمين من المسيحيين أثناء الحروب الصليبية والفتوحات معروفة ، يكفي مقارنتها مع **ما فعل المسيحيون في إسبانيا** مثلاً حين استعادتها من العرب . ولولا هذا التسامح لما بقي مسيحي واحد في لبنان ولا غيره من البلاد التي خضعت للحكم الإسلامي ، ولما كان **ابن ميمون الإسرائيلي** طبيباً لصلاح الدين نفسه .

هذا التسامح هو الذي ترك أهل الذمة من العلماء يستمرون في عملهم مكرّمين ، وهو الذي سمح **لإسحق بن حنين** أن يقدم للعرب وللإنسانية جمعاء ، تلك الخدمات الكبيرة في ميدان العلم .

وبعد أن أسست الدولة العربية كان ولا بد من تنظيمها وبنائها على أسس سليمة الشيء الذي استدعى الاعتماد على تنظيم الدواوين وما يلحقها من علوم .

أما الطب فبديهي أنه كان من ألزم العلوم للحياة اليومية . فكان أن استقدم العلماء المسيحيون من جنديسابور ، ولم ينظر إلى مؤلفاتهم وعلمهم على أنها « كفر » لأنها صادرة عن أناس اعترف برسولهم القرآن نفسه .

ولكن العرب لم يأخذوا الشعر اليوناني ، ولا ملاحمه ، ولا مسرحياته . . . لأنها مليئة بالتعاليم الوثنية ، بل بالكفر نفسه .

لم يأت العلم اليوناني إلى العرب إذن عن اليونان الوثنيين ، بل عن طريق المسيحيين واليهود أهل الذمة .

من هنا جاء قبول المسلمين لهذا العلم .

وعندما تغلغل الفكر اليوناني ظهرت فئة تشعبت بتعاليمه العقلانية ، وهي فئة **المعتزلة** .

وربما كان من حسن طالع العرب أن كان **المأمون** منهم . وهو الذي أسس **دار الحكمة** ودفع بالعلم تلك الدفعة التي استمرت زمناً طويلاً . حتى بعده وخلال حكم من جاء من بعده .

ولكن ذلك سبّب أيضاً ردود فعل من قبل الطرف الآخر الذي تزعمه **الأشعري والغزالي** .

أما بالنسبة للطب فقد كان الأطباء يعملون بكل حرية ويكتبون ما يريدون ، بل ويقومون بتشريح الجثث خفية ، وأمهات الكتب العربية لا تزال باقية تنضح بالفكر المنطقي العقلاني الذي لا يقل إطلاقاً على أي فكر علمي يوناني سبقهم أو أوروبي غربي معاصر .

لم يتعرض هؤلاء لأي أذى : أمثال **ابن زهر ، وابن النفيس ، والرازي ، وابن رضوان ، والبغدادي** . . . وغيرهم .

أما الأطباء الفلاسفة أمثال **ابن سينا** فقد تعرضوا بسبب أفكارهم وكتبهم الفلسفية إلى نقد مرير كما فعل **الغزالي** بابن سينا في كتابه « **تهافت الفلاسفة** » ، ولكن سرعان ما رد **ابن رشد** عليه في كتابه « **تهافت التهافت** » وإن لقي ابن رشد نهاية حزينة ، فسببها عصر الانحطاط الذي كان يعيش فيه .

لقد سيطر العرب على إمبراطورية عظيمة ليس بالسيف وحده وإلا لكانت دالت دولتهم منه ، إنما سيطروا عليه بالفكر وقوته .

وإذا حدث صدام أحياناً بين العلم الدنيوي والديني ، فقد حدث هذا أيضاً في كل الديانات بما فيها الديانة اليونانية الوثنية (موت سقراط) .

وإذا كان العرب اليوم قد استيقظوا ليجدوا أنفسهم أمام المشكلة ذاتها فهذا غير صحيح .

صحيح أن ثمة فريقان : أحدهما متمسك بالتقاليد القديمة لا يحيد عنها ظناً منه أنه إذا فعل فلسوف يفقد هويته . ولكن الفريق الثاني يمضي في طريقه متطوراً وتدريجياً يحاول إعادة التجربة من جديد : عبّ العلم الحديث والتكنولوجيا ، والتطور بشكل جيد متوازن : يكفل له التقدم ، ويحفظ له الشخصية . وهي النظرية التي قدمها **جاك بيرك المستشرق الفرنسي** والتي أسماها : **العالمية** . وهي التي يراها تتبدّى في الأجيال الجديدة في البلاد العربية .

فالتطور قانون لا يخيب ، ونهر قوي متدفق الأمواج ومن يحاول منعه لا بد له أن يجرفه معه . . . إلى الأعماق .

فرص تدريبية للسعوديين في الداخل والخارج



سابك تدعوك إلى عالم الطموح والتحدى

فـــرص تدريبية بالتعاون مع معهد الادارة العــامة بالمملكــة

نظرا للإقبال المشجع من قبل الشباب السعودى فى البرامج التدريبية التى نظمتها - سابك. والذى نتج عنه مضاعفة البرامج لإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن فإنه يسرها أن تبدأ فى تنظيم البرنامج التدريبى الجديد للشباب السعودى الطموح من حملة الثانوية العامه قسم علمى، أدبى والثانوية التجارية. والذين تتراوح أعمارهم من ١٧-٢٥ سنة وذلك فى داخل المملكة وخارجها ومن ثم العمل فى إحدى الشركات والمصانع التابعة لسابك فى كل من الجبيل أو ينبع، هذا وسيتمتع الملتحق بتلك البرامج بمزايا عديدة أثناء وبعد التدريب.

هذا وستجرى المقابلات الشخصية للمتقدمين إبتداء من يوم السبت ١١ شوال ١٤٠٢هـ الموافق ٣١ يوليو ١٩٨٢م وذلك فى الجهات التالية:

١. الشركة السعودية للصناعات الأساسية. سابك بالرياض. شمال شرق مستشفى الملك عبدالعزيز الجامعى المبنى السابق ص.ب ٥٠١٠١ - ت ٤٧٦٩٩٥٤
٢. الشركة السعودية للصناعات الأساسية. سابك فرع الدمام. ت: ٨٣٣٤٢٦١١، ٨٣٣٤٠٣٣ - ٨٣٣٤٠٣٣. مبنى الشركة السعودية العقارية بشارع الملك أمام محطة السكك الحديدية.
٣. سكن متدربى سابك بجدة - شارع الستين خلف أسواق العريفى المركزية ت: ٦٧١٩٧٨٣
٤. مقر المدارس الثانوية المهنية فى كل من أبها، الطائف، المدينة، عنيزة. مع العلم بأن البرامج التدريبية سوف تبدأ فى ١٦ ذو الحجة ١٤٠٢هـ الموافق ٤ أكتوبر ١٩٨٢م

فعلى الراغبين فى الالتحاق بتلك البرامج التدريبية التقدم إلى إحدى الجهات المذكورة آنفا مصطحبا معه ملف يحتوى على التالى: ثلاث صور من كل من: الشهادة العلمية وشهادة حسن سيرة وسلوك وحفيظة النفوس أو شهادة الميلاد وثلاث صور شمسية.

فأيها الشاب السعودى لا تدع هذه الفرصة الثمينة تفوتك

والله الموفق...

صرح الصناعة الوطنية **سابك**
الشركة السعودية للصناعات الأساسية

مع تحيات ادارة القوى العاملة والتدريب - سابك.

غربة

بقلم: أحمد عردات



●●● **كان محمود خليل** يشعر بارتياح يبعث على السعادة في صباح ذلك الأربعاء. كان المشروع الذي قدمه إلى **مجلس إدارة الشركة** مساء الاثنين الماضي، قد أصبح حديث الساعة.. سيدر **المشروع** أرباحاً كبيرة على الشركة، وفي نفس الوقت سيكون ذا خدمة جليلة لذوي الدخل المحدود في **مدينة ونستن سالم**. لقد اتصل به صحفيون محليون وأجانب من أجل مقابلات يتحدث فيها عن هذا المشروع الضخم.

كان محمود يشعر وكأنه في إجازة. فقد أخذ المشروع من أعصابه الكثير، ولأول مرة من مدة طويلة، شعر وكان حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله. لقد أراد أن يرجع مبكراً إلى زوجته في ذلك اليوم، فأخبر سكرتيره بأنه سيمر على مكتب الشركة في **شارع ميبيل**، ومن بعدها سيذهب إلى البيت.

كانت الساعة الثانية عشرة وأربعون دقيقة عندما وصل شقته، ولم يكن بحاجة أن يدق الجرس الكهربائي في المدخل الخارجي، فقد كان باب الشقة مفتوحاً. كان يحمل بعض الحاجيات التي طلبتها زوجته. كعادته مرّ بحذائه جيئة وذهاباً عدة مرات على ممسحة الأحذية على عتبة الباب، ودخل إلى غرفة الجلوس، ومن ثم إلى المطبخ، حيث كانت زوجته بشعرها المنكوش وملابسها المتسخة.

ـ «هل جئت؟».

كان من عادته أن يقبل زوجته قبل خروجه إلى عمله وعند العودة منه، لا يعرف لماذا كان شعوره اليوم بأن زوجته ستكون في استقباله في كامل زينتها. فقد أخبرها ليلة أمس بنجاح مشروعه والمقابلات الصحفية التي سيجريها مع الصحف والمجلات. لقد شعر بأن السؤال: «هل جئت؟» واستهتار زوجته بنفسها هما إهانة له، واستهتار به. لم يستطع عندها أن يجبر نفسه على تقبيل زوجته. وناولها الحاجيات التي أحضرها لها بنوع من خيبة الأمل.

● **«يظهر أنك متعبة اليوم. يظهر أنه لم يتسن لك حتى تغيير ملابسك».**

سار محمود إلى غرفة مكتبه حيث يضع حقيبته وحذاءه، فقد كانت خزانة الأحذية في مكتبه. بعدها سار إلى غرفة النوم لخلع ملابسه ولارتداء بذلة وعباءة نومه. وبعد أن وضع كل شيء في مكانه: البذلة على علاقتها، وربطة العنق والقميص على مشاجب أخرى، والكنزة على رف شقته من الخزانة، غسل يديه، وسار إلى طاولة الطعام ينتظر حتى تعود زوجته بعد أن خرجت إلى الحديقة لأمر ما.

ـ **«أنا اريد أن أعرف ما بك؟ ماذا بك، قل، في شيء؟ في شيء؟ أخبرني».**

كانت كلمات **سالي** تقطر سماً.

كانت نظراتها إليه زائغة، وفيها شيء من عدم التركيز. ثم إنه قد خيل إليه بأن في نظراتها إليه نوع من التعالي. في الواقع، لقد أوجس في نفسه خيفة، إذ بدا له فجأة وكأنه قد أخطأ خطأ كبيراً بحق زوجته.

كان في نظراتها نفس ذلك البريق التائه الذي حاولت أن تخفيه قبل أسبوع عندما شكّت بنوع من اليقين بأن زوجها قد وضع يده على سر دفين لها.

* * *

● **«اريد أن أسألك عن شيء صعب جداً بالنسبة لي، وأنا متأكد من أنه سيكون صعباً جداً بالنسبة لك أيضاً. ارجوك أن تفهميني جيداً، فلو لم يعذبني هذا الموضوع على مدى أسبوع لما فاتحتك بالأمر. أنت تعلمين بأننا اتفقنا على أن نقول الصراحة، لأن الصراحة وحدها هي التي تضمن لكل**

غُربة

زوجين حياة ملئها الحب والاتفاق».

وبصوت خافت مخنوق أخبرت زوجها بأنها ستحاول.

● «**هل كانت لك علاقة بإدوارد سميث؟ لا تسأليني لماذا أسأل الآن أو كيف عرفت ذلك. سأخبرك في حينه».**

ـ «لا. أريدك أن تخبرني الآن».

● «**حسناً. لقد وقعت يدي بالصدفة على إحدى رسائلك له».**

ـ «لا. قل إنك تتجسس علي. أنا أعرف أنك لا تريدني. إنك تبحث عن وسيلة للخلاص مني. غير أن ذلك بعيد عليك بعد الشمس. سوف لن يكون لك ذلك».

● «**لم تجيبيني على سؤالي. هل لك علاقة بإدوارد سميث».**

ـ «كانت لي علاقة، وليست لي به علاقة الآن».

● «**إن ما لدي من أخبار تبين عكس ما تقولين».**

وأخرج محمود رسالتين من جيبه، الأولى مرسلة إلى إدوارد والثانية إلى ليندا مان.

ـ «**لقد كتبت له كشقيق».**

كانت الرسالة تقول بأنه بعدم إرسال رسائل إليها فهو يعذبها جداً. إذا كان يظن بأنه بذلك يستطيع أن يجعلها تنساه فهو مخطئ. إنها تراه في نومها. قبل أيام رأته في ساحة «**أ و ث سوبرماركت**». كان يرتدي بذلة «جينز» جديدة. مر من أمامها ولم يكلمها فركضت وراءه. عندها التفت إليها قائلاً: «**لا أريد أن أكلمك**». إنه يعذبها لذلك فهي تناشده، وتركع عند قدميه حتى يكتب لها.

● «**أهكذا تكتب الشقيقة لشقيقها؟».**

ـ «وماذا في الأمر؟ لماذا هذا النفاق؟ إنكم (أي الرجال) تسمحون لأنفسكم ما لا تسمحون به لزوجاتكم. إنه يحق لي ما يحق لك».

في الرسالة الثانية كتبت لليندا تقول بأن الزواج «لا بأس به. غير أنه ليس كأيام العزوبية. ليس هناك حرية. فهناك تحديد للتصرفات وهناك شخص آخر غير أنه أمانة للمستقبل، وأريد أن أقول بأنه شر لا بد منه».

كان **إدوارد سميث** شاباً يصغرها بأكثر من اثنتي عشرة سنة لا يمكن أن يقال بأنه يملك من الوسامة شيئاً. كان منقطعاً عن الدراسة. كان قبل سنة على منحه رياضة بدنية في **جامعة نورث كارولينا** غير أنه فشل في معظم المقررات التي كان يدرسها.

ـ «أنا أعرف بأنك تريد أن تعرف كيف أتعلق بشخص كإدوارد. كنت بحاجة إلى الحنان، ولم أجد شخصاً يقدمه إلي غيره. لقد كان لي الصديق الوفي، والأخ الحنون، والأب الرؤوف، والأم الحنونة».

* * *

وبحدة وعصبية جديدين على شخصية محمود أخبرها بأن لا تكلمه بمثل تلك اللهجة إطلاقاً. مهما كانت الأسباب فإنه لا يحق لها كزوجة أن تكلم زوجها بذلك النوع من الصلف الأجوف اللئيم.

لقد شعر محمود بما يشبه الشلل المفاجئ، وكأن كل أعضاء جسمه قد توقفت عن الحركة. شعر بثقل مفاجئ في النطق. ثم إن حركاته قد أصبحت بطيئة. وبكل عناء أفرغ في صحنه الصغير الموضوع في صحن أكبر شيئاً من سلطة الخس والبندورة والخيار. تناول الشوكة، وحاول أن يرفع إلى صحنه شيئاً من ذلك الصحن، غير أن فمه وحلقه كانا جافين، كما أنه لم يستطع تحريك فكه الأسفل، أو هكذا خُيّل إليه.

وضع الشوكة في الصحن، ونهض وهو يقول لسالي:

● «**سآكل فيما بعد».**

ماذا كان عليه أن يفعل؟ يجب أن يسرحها بمعروف قبل أن يفوت الأوان. لقد كذبت عليه وخانت ثقته فيها. لقد وعدته بأن تصارحه في كل كبيرة وصغيرة، ومما حدث فقد كانت كاذبة. وعدته أن تقطع صلاتها بالماضي وقد تبين أن ذلك غير صحيح أيضاً. إضافة إلى ذلك ألم تقل هي نفسها بأنها قد تزوجته «كأمان للمستقبل». إذا كان الزواج لها «شر لا بد منه»، فهل تستطيع سالي أن تعيش غير خطيئة مستديمة.

لكن ماذا عن **فادي الطفل** البريء الذي لم يتجاوز عمره السنتين؟ ما ذنبه؟ ثم إنه إذا تركها فسوف تحكم لها المحكمة بحضانة الطفل. لا! إنه لا يستطيع الذهاب إلى المحكمة. إنه يعرف بأن «**بطاقته الخضراء**» ـ كما تسميها **الحكومة الأميريكية** ـ مرهونة بعلاقته بزوجته. لقد كان من شروط المنحة الدراسية التي حصل عليها أن يغادر البلاد الأميركية فور تخرجه من الجامعة، وكان زواجه من سالي هو الذي منحه «البطاقة الخضراء» وهو الذي هيأ له الحصول على العمل في «**شركة المقاولات عبر العالم**».

● «دعني أتناسى ما حدث. سأخبرها بأنني سوف أسامحها شريطة أن تطوي صفحة الماضي ونبدأ من جديد، أقله من أجل فادي. سأجعلها تعد من جديد أن لا تقوم بمثل هذه الأشياء. يا إلهي، إنني لا أدري ماذا أقول. لقد تكلمت مع سالي الكثير غير أن الكلمات قد فقدت مفهومها بالنسبة لها. الكلمات بالنسبة لها تقال ليس لمعناها بل لوجودها. كم من مرة قد وعدتني بأنها ستبدأ من جديد؟ وكم من جديد كنا قد طويناه».

بدأت سالي بالهمهمة التي تحولت إلى حشرجة والتي بدورها قد تحولت إلى بكاء، ثم إلى نحيب، وبعدها إلى عويل. وبعد أن ترك محمود غرفة الطعام، تركت سالي الطعام على الطاولة وذهبت إلى غرفة النوم. كان سلوكها مزيجاً من الرواقية والسادية والمازوخية. كانت مغرمة في خلق المشاكل لنفسها ولغيرها، لتتعذب

هي ولتعذب غيرها.

لقد كانت سالي في الواقع ضعيفة الشخصية، لا جمال ولا ثقافة ولا ذكاء. لذلك فقد كانت دائماً تبحث عن طريق تثبت بها ذاتها. وطالما أنها خالية من الداخل، فقد كانت كل تصرفاتها عشوائية عدوانية هوجاء. لقد فقدت استقرار الأمان وهي طفلة صغيرة، إذ انفصل والداها وهي في الخامسة من العمر. كانت سالي تخاف الرجال، وتشك فيهم، وفي نفس الوقت تريدهم. لقد كانت دائماً بحاجة إلى حنان الأب الذي أدار ظهره لها وهي صغيرة، وفي نفس الوقت كانت تبحث عن صورة له في زوجها. كان عقلها الباطن يريدها دائماً أن تغضب زوجها ليستعمل العنف معها لتصرخ في وجهه لتثبت ذاتها. لقد كان زوجها يعرف ما تريد غير أن مشكلته هي أنه يكره العنف حتى لو كان علاجاً.

كان محمود يشعر بدوار وألم رأس حادين. كان على وشك أن يصرخ من الألم. أخذ يضغط على جبهته وصدغيه بكلتا يديه، غير أن الألم كان يزداد أكثر وأكثر. لقد ساعد على وضعه المؤلم ذاك معدته الخاوية. فهو لم يتناول الإفطار في الصباح. لقد توقفت سالي عن صنع الإفطار له بحجة أن فادي يبقيها مستيقظة طوال الليل. إضافة إلى ذلك فهي لا تحب النهوض مبكراً.

ذهب إلى المطبخ لصنع فنجان من الشاي، علّ ذلك يخفف من حدة الدوار، وألم الرأس، اللذين كانا يشتدان حدة، غير أنه غيّر رأيه وذهب إلى غرفة النوم عسى إغماضة عين قصيرة تريحه من ذلك الألم الحاد.

لكنه سمع عويل سالي من جديد في غرفة العائلة هذه المرة. كانت تندب حظها التعيس:

ـ «**يا إلهي، لماذا خلقتني؟ لماذا تعذبني هكذا؟ هل هو مقدر عليّ أن أعيش كوالدتي في العذاب الدائم؟ يا إلهي خلصني من هذه الحياة. إنني أتعذب. يا إلهي أرجوك، خلصني**».

لم يصدق محمود ما كانت تسمع أذناه. أبَعْدَ كل ما فعله من أجلها تندب سالي حظها؟ لقد استأجر لها شقة بستة آلاف دولار في أرقى أحياء مدينة ونستن سالم، وفرش لها تلك الشقة بآخر مبتكرات المصانع الأميركية. ورغم أنها لم تطلب منه شيئاً أيام خطبتها، غير أنه قد اشترى لها مجوهرات بحوالي خمسة عشر ألف دولار. بعد أن تزوجها طلب منها أن تستقيل من عملها، فقد كانت تشتغل كاتبة في «**كروجرز سوبر ماركت**».

● «**لا! هذا مستحيل. يجب أن تذهب سالي. إن هذا جحيم لا يطاق. لتذهب إلى الجحيم وليذهب فـ..**».

جلس على حافة السرير، وهو يضع رأسه بين يديه، والألم يكاد يجره إلى حافة الجنون. إنه لا يستطيع أن يأتمنها على ابنه. أين سيعيش إذا طلب منها أن تغادر المنزل؟ ولكن لماذا لا يغادر هو نفسه المنزل؟ ولكن فادي؟

أخذ يرتدي البنطلون، غير أنه عندما حاول أن يلبس القميص أدرك أنه ما زال يرتدي «البيجاما»، خلع القميص والبنطلون، وبصورة لا واعية رجع ليجلس على حافة السرير. رجع فوقف وتذكر أنه كان يود الخروج. سار إلى الباب، ثم رجع ليخلع «**البيجاما**». «يجب أن أترك المنزل». ولم يدر أنه قال ذلك بصوت عال.

بدأ عويل سالي يرتفع، وبدأ النحيب يفرق الكلمات التي كانت تفلت بين حلقات النشيج التي أصبحت سالي ماهرة في اتقان إخراجها.

ـ «**تعال... انظر... لماذا... أصرخ. إنني... أموت... ولا تسأل عني. تعال انظر، إن يداي قد شلتا. لقد نشفت الغسيل في النشافة اليوم، وأحضرت لك الطعام. هذا ظلم، ظلم. أنا لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا**».

● «يجب أن أترك المنزل. إنني سأصاب بالجنون إذا بقيت هنا».

وهددته سالي بأنه سوف لن يكون سعيداً إذا خرج. ستسبب له فضيحة... ستقتل نفسها:

ـ «**أنا أعرف أن لديك امرأة أخرى تريد أن تذهب إليها. لن تخرج. لن تخرج أبداً**».

● «وهل سيكون هذا حل لمشكلتنا؟ دعينا نفكر بواقعية. أنت وأنا نبتعد عن بعض يوماً بعد يوم. كلما أعطينا أنفسنا فرصة أكبر ازدادت الهوة بيننا اتساعاً. يجب أن ننفصل، يا سالي».

ـ «**تعني يجب أن نطلق. ماذا حدث؟ أنا أعرف بأنك ذكي في اختيار الكلمة الدقيقة، يا محمود. الطلاق وليس الانفصال هو ما تريد**».

● «سالي، دعينا نتكلم بموضوعية. أنت تعتقدين أنكِ مظلومة، وأنا أعتقد عكس ذلك. أنتِ تعتقدين بأنك مهانة، وأنا أعتقد عكس ذلك. ألا ترين بأننا بحاجة إلى طرف ثالث؟ لقد اقترحتُ عليكِ اطلاع بعض الأصدقاء على مشاكلنا فرفضت. اقترحت عليك أن نذهب إلى مشرف اجتماعي فرفضت. حتى أمكِ رفضتِ أن تطلعينها على الموضوع. سالي، يجب أن نواجه الواقع. لقد وصلنا إلى طريق مسدود».

ـ «**الشمس أقرب لك من ذلك**».

كاد أن يسألها إذا ما كانا يستطيعان العيش كأصدقاء غير أنه تذكر بأنه يقص على نفسه قصة «**إبريق الزيت**» من جديد. ستسير الأمور على ما يرام أسبوعاً أو أسبوعين على الأكثر، ثم ما تلبث أن تعود إلى ما هي عليه اليوم. إضافة إلى ذلك، فأي صداقة يمكن أن تقوم بين **شايلوك اليهودي المرابي وخصمه التاجر الإيطالي***، بسمات وحب في الظاهر، وخداع ورياء وحقد في الداخل من الأول للثاني. ولكن ماذا سيفعل؟ لقد أصبح كبالع الصنارة: فهو يتألم إذا حاول أن يخرجها، ويتألم إذا ما أبقاها. ولكن مما لا شك فيه أن إخراجها يؤلم مؤقتاً والإبقاء عليها حتماً سيميت.

إن كل خوفه كان على ابنه. كان لديه شعور غريب بأن سالي لن تتورع في إيذاء ابنها حتى تغيظ زوجها. إن القصة التي رافقته دائماً هي ما جاء في **قصة «المسخ» للشاعر الروماني الكبير اوفيد**، والتي تقول بأن **بروكني** زوجة **تيريس** قد قتلت ابنها **آيتس** وقطعته إرباً لتصنع من لحمه طعاماً تقدمه إلى زوجها كي تنتقم منه، أي من زوجها.

● «**لا! يستحيل! إنها لن تستطيع أن تفعل ذلك**.

غربة

إن قصة بروكني خرافة لا يمكن أن تكون قد حدثت فعلاً . ولكن سالي لا يمكن إلا أن تكون امرأة أسطورية . إنها ليست من دم ولحم وشعور ، بل من حديد وفولاذ ، من طينة السيدة ماكبث وبروكني والكترا . وامرأة من هذا النوع لا تتردد في فعل أي شيء من أجل أهوائها » .

ذهبت سالي إلى المطبخ ، فوجدها محمود فرصة أن يذهب لإلقاء نظرة على ابنه الذي كان يلعب في غرفته ، فوجده نائماً على السجادة ، ولعبته في حضنه ، كانت لعبة ضخمة تسمى **« دب تدي »** . كان للدب فرو جميل ، وعينان عسليتان واسعتان جميلتان ، كانت عينا الدب سائبتان ، تفتحان وتغمضان عند هز الدب إلى الأمام وإلى الوراء . كانت العينان أكثر جاذبية من سائر الأعضاء لفادي . أكثر ما كان يسره هو أن يفتح ويغلق عيني اللعبة بيده الصغيرة التي لم تتعود بعد على التمييز بين الأشياء الحقيقية والأخرى المصطنعة .

حمل محمود ابنه وضمه إلى صدره ، وشده إليه وكأنه يحميه من العالم الخارجي . قبّله طويلاً وأخذ ينظر إليه ثانية . ثم ضمه إليه من جديد . بعد ذلك سار به نحو السرير ، فوضعه في فراشه ، وسحب الغطاء عليه حتى أسفل عنقه ، وجلس على حافة السرير يمرر بيده على شعره الكستنائي الناعم ، وهو يقبله ولا يشبع من تقبيله .

تمنى في تلك اللحظة لو أنه في بلده بين أصحابه وأهله ، لو أنه ما عرف سالي أو تزوجها . لقد شعر بحنين جارف إلى وفاء الشرق وروحانيته . تذكر شقيقه وزوجته وأولاده . ماذا كان يضيره لو أنه قد تزوج فتاة مثل **هند** زوجة شقيقه ؟ ألم تقل له **السيدة شعبان** أن لا يتزوج من أميركية ؟ كذلك **سميحة مطلق** ، ألم تقل له « ستتعب يا محمود إذا ما تزوجت من أجنبية » .

كم هي رائعة ومخلصة تلك الفتاة ؟ كانت تتمنى من كل قلبها أن تصبح زوجة له . كانت جميلة ، خلوقة ، عالية الثقافة . لقد حصلت على شهادة الماجستير في اللغة الإنجليزية من الجامعة الأميركية في بيروت السنة الماضية . رغم أنها عرفت أن محموداً قد تزوج من سالي غير أنها لم تتوقف عن مراسلته . لقد كتبت إليه تقول بأنها تود أن تبقى صديقته دوماً ، وبأنها تتمنى له السعادة الكاملة في حياته الزوجية . كل ما تطمع به هو أن يبقى على اتصال بها .

ولكن ماذا كانت تعني سميحة بقولها « ستتعب يا محمود إذا ما تزوجت من أجنبية » . لا بد أنها اعتمدت على معطيات عرفتها عنه لم يعرفها هو عن نفسه .

هل يمكن أن يكون ذلك ما قاله لسميحة مرة بأنه مهما بلغ من الانفتاح الفكري ، فسوف يبقى يفضل الفتاة الشرقية على الغربية ، ذلك لأن الأولى أكثر التزاماً بواجباتها من الأولى ؟ .

★ **« إذن لماذا تصر على الزواج من أجنبية ؟ »** سألت سميحة .

● « أحسنت الاختيار في كلمة « تصر » غير أنه يمكنك القول بأنني أتحدى نفسي بالزواج من أجنبية . لماذا ؟ لا أعرف . ربما قلت إنها معاناة من عقدة نقص . ربما ثقافتي الغربية قد خطفت كل بصيرتي فأصبح لا ينعكس في بصري إلا كل ما هو غربي . كأن هناك صوتاً يهتف بي دائماً يقول (تزوج من غربية حتى تكون ؟) عندما أنظر حولي أرى كل شيء غربي ، مصنوع في أميركا أو بريطانيا أو إيطاليا أو فرنسا أو حتى اليونان . السيارة التي تنقلني من مكان إلى آخر ، التلفزيون الذي يشاركني وحدتي ، القميص الذي ألبس ، حتى الطعام الذي آكل ، كله مصنوع في الغرب . **ربما رغبتي في الزواج من غربية هو طموح في الزواج من التقنية الغربية ، أو قولي العقل الغربي » .**

★ **« لكنك تعرف أن الزواج لا يعتمد على العقل فقط . مما قلت ألاحظ بأنك تود الزواج من معادلة حسابية وليس من إنسانة من لحم ودم » .**

● « إنك على حق ، ولكن . . . » .

★ **« الغريب في الأمر أنك تعرف الأجوبة لمشكلتك » .**

● **« إن مشكلتي يا سميحة هي مشكلتك ، مشكلة معظم المثقفين من شبابنا وشاباتنا . المشكلة باختصار هي (ازدواج الشخصية) ! نريد أن نكون غربيين في أفكارنا ، وشرقيين عرب ومسلمين بعاداتنا . كل ما يخيفني أن يصبح لا هذا ولا ذاك » .**

★ « يكفينا فلسفة اليوم . هل تريد شيئاً ؟ » .

● **« دعينا نذهب . ليس أمامنا سوى عشر دقائق حتى تبدأ المحاضرة » .**

* * *

ابتسم وهو يخرج من كافتيريا الجامعة مع سميحة ، غير أن مرور سالي إلى غرفة العائلة من المطبخ ، وهي تحمل فنجاناً من القهوة الأميركية قد أعاده إلى وعيه ، إلى واقعه الحالي ، مشكلته مع زوجته الغربية .

ـ « هل تريد شيئاً من القهوة ؟ » .

سألت سالي زوجها .

● **« نعم ، من فضلك » .**

ولم يستطع أن يغالب ضحكة فرضت نفسها عليه لم يعرف لماذا . ربما ما زال يظن أنه يتكلم مع سميحة .

يافا
الأرض والعرض

بقلم: يونس محمود عثمان

جرت حوادث هذه القصة في **يافا** بعد نكسة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م، وقد قمت بكتابتها على لسان قائلها الهارب من أحد سجون إسرائيل وللحق أجريتُ فيها بعض التغيير حفاظاً على أرواح أخرى ما زالت تقطن الأرض المحتلة .

قال لي البطل العائد :

ـ لنا الله نحن ساكني الأرض المحتلة .. إننا لم نترك هذه الأرض ولن نتركها أبداً فارتباطنا بها أعمق بكثير من محاولة التفكير في تركها .. ولقد تحملنا في سبيل هذا الارتباط الكثير الكثير .. تحملنا ذل الاحتلال ومرارة الاستيطان .. تحملنا عنصرية اليهود .. رأينا الأرض تغتصب منا وتحملنا أملاً أن تعود يوماً .. لا تسلني لم إذن تركت الأرض؟ لأني سأجيبك . لقد أهانوا العرض .. ولن أطيل عليك فإليك القصة :

صفاء بنت عمي عصفورتي الصغيرة لم يتجاوز عمرها الثمانية عشر عاماً، تعاهدنا طفلين على الوفاء ولا عجب في ذلك لقد نشأنا معاً، تربينا في نفس البيت . عشنا ظروفاً واحدة .

كنا نقتسم اللقمة والبسمة . حتى نسمة الهواء كنا نقتسمها وتعاهدنا على الزواج .

كنت وقتذاك أعملُ في مصنع إسرائيلي يصدر البرتقال حيث أغلب العمال من العرب . عمال درجة ثانية كما يقول الإسرائيليون، فالعرب جميعاً عمال مؤقتون أو موسميون كما تقولون، وحين يستغني عنا المصنع نواصل العمل في البيارات حيث الأرض نعمل فيها ونحلم أننا مالكيها .

تأوه ثم أخذ نفساً طويلاً واستطرد قائلاً :

كنت أجمع كل ليرة أكسبها في صندوق صغير، فهي المهر، وكلما زادت الليرات، زاد الأمل .

وتحقق أملي ذات يوم، ففرح الأهل قريبهم وبعيدهم .

وسأقول لك حقيقة لا يدريها البعض :

أفراحنا هنا لا طعم لها مثل الأكل في الأحلام، نضحك ولكن من وراء قلوبنا، ترقص الفتيات وتزغرد النساء، ولكن بلا روح فالمرارة هي واقعنا وشعاع ضئيل من الأمل هو الذي يصبرنا عليها ولم ولن نحاول أن نهرب منها وإذا حاولنا ردنا الواقع إليها .. إذاً فالفرح كان ظاهرياً فقط .. وكنا أنا وصفاء نتعجل الزفاف، فجهزنا له ما استطعنا في حدود ما نملكه .

واقترب زمن الزفاف حتى لم يبق إلا أسبوعاً واحداً تجرى فيه الترتيبات الأخيرة ومنها الاتفاق مع المصور .

وذهبت إلى مصور يهودي يتمتع بالموهبة ويمكن التفاوض معه بشأن الأسعار كما قيل لي .

لقد احتكروا كل الأعمال المربحة لعنة الله عليهم .

ذهبت إليه ممتعضاً وتفاوضنا بالعبرية وتجادلنا في الثمن، فهو طماع شرس وأنا أريد دفع القليل .

يتعلل بغلاء الأقلام والكارت والألوان وأنا أتعلل بالفقر والأماني في أن أكون له زبوناً دائماً .

وأثناء الحديث أخرج الملعون ولاعة ذهبية قديمة وأشعل منها سيجارة، نظرت إلى الولاعة ودارت بي الأرض . لم وكيف وصلت إليه هذه الولاعة بالذات، وهذه التي أعرفها حق المعرفة .

إنها لي آخر ما ورثته عن أبي وإني أذكر جيداً كيف كان يحتفظ بها مربوطة إلى ثيابه الداخلية وملفوفة في قطعة قماش من الصوف، وكيف أنه قبل موته أعطاها لي وأوصاني ألا أبيعها أو أفقدها أبداً لأنها سمعت دقات قلبه حوالي ثلاثين عاماً أو أكثر .

أيقظني صوت اليهودي من تأملاتي وذكرياتي وصدمتي فوافقت على مطالبه، ودفعت له الليرات التي أملكها وخرجت وأنا أفكر، لقد أعطيت هذه الولاعة إلى صفاء بعد خطوبتنا حتى تحفظها عندها فكيف وصلت إلى هذا اليهودي .

عدت سريعاً إلى المنزل وكلي أمل أن تكون ولاعة اليهودي مشابهة للتي عندي .

دخلت إلى بيت عمي وبعد مقابلتي لصفاء طلبت منها الولاعة بحجة أني سأجري فيها إصلاحاً، تشاغلت صفاء عني بعض الوقت، ثم رفضت بدلال أن تعطيها لي، زادت هواجسي وكادت أن تمزقني .

كررت عليها الطلب فقالت والدموع تتراقص في عينيها :

آسفة جداً جداً، لقد فقدت مني الأسبوع الماضي .

صرخت : وكيف فقدت، كيف .. ألا تعلمين قيمتها، ألا تعرفين لمن كانت . أعطيتك أغلى ما عندي لتقولي بهذه السهولة إنها فقدت منك .

قالت أثناء ركوبي إحدى الحافلات عند عودتي من عند جدتي الأسبوع الماضي، خطفت حقيبة يدي بواسطة يهودي؟، فكدت أقتنع

وأخذت صفاء تقول لي :

آسفة يا حبيبي ولكن هل تساوي ولاعة وإن كانت ذهبية حبك لصفاء ، ولا تحزن سأعوضك عنها بحبي ولقد بقي أسبوع على زفافنا وإليك عربون حب بسيط .

وأخرجت صورة حديثة لها وقد كتبت على ظهرها إهداءً رقيقاً .

نظرت إلى الإهداء وكدت أنسى الولاعة ولكني نظرت إلى التوقيع المضغوط للمصور أسفل الصورة وصعقت ، لقد كان توقيع اليهودي .

ألقيت الصورة وخرجت أجري ، وصفاء لا تدري ما الذي حدث أو تدري وتحاول أن تظهر جهلها به .

جريت إلى الشارع وأخذت أجوب الطرقات حتى الليل ، وعدت قبل موعد حظر التجول فوجدت صفاء في انتظاري .

قالت متصنعة الغضب ، هكذا تلقي بصورتي وتهرب ولا تقول لي إلى أين أنت ذاهب أما من حق لي عليك !

قمت بقص القصة عليها ، قصة الولاعة التي وجدتها عند اليهودي ، وأقسمت لها أنني لن أتزوجها حتى أعرف كيف ذهبت هذه الولاعة إلى هذا الكلب .

قالت ربما باعها إليه الذي خطف حقيبتي .

قلت لها قولي قولا آخر .

قالت وماذا سيفيدك القول الآخر .

قلت الحقيقة هي الرابطة الوحيدة التي ستربط بيني وبينك ، وأقسمت لها أنني لن أتزوجها حتى أعرف منها الحقيقة .

وكان عليها أن تجيب ، أن تربط بين صورتها الأخيرة وهذا اليهودي ، وهذه الولاعة الذهبية وإلا سأقتلها وأقتله وأقتل نفسي .

قالت لن أخفي عليك شيئاً ، لقد ذهبت إلى هذا المصور لآخذ صورة لي قبل الزواج فقام بتخديري بواسطة غاز مخدر وأخذ لي عدة صور وأنا غائبة عن الوعي في أوضاع مخلة .

وعندما أفقت هددني بهذه الصور وقال إنه يعرفك ، وسيعرضها عليك فخفت وقدمت له الولاعة ثمناً لهذه الصور ، فقلت لها ودمي يغلي :

وهكذا تحولت إلى امرأة بواسطة هذا اليهودي .

كان جوابها لك الحق في أن تقول ذلك ولكن الكلب لم يفعل بي شيئاً من هذا لقد قبلني فقط وصور نفسه معي بهذا الوضع لمدة دقائق وأقسم على ذلك .

فقلت لا تقسمي بهذا الحب أبداً لقد دنستيه وأنا لا أحب الدنس ، لا أحب أن أكون الرجل الثاني ، لا أحب أن أقوم بدور الزوج العربي ويقوم كلب يهودي بدور العشيق ولمن ، لعربية .

لقد اغتصبوا كل شيء حتى أعراضنا .

قالت معك الحق في كل ما تقول ولكنه لم يغتصبني أبداً وما زلت نقية طاهرة ولقد ذهبت إلى جدتي وقلت لها ما حدث ، فقامت بالكشف عليَّ وقالت لي إنك ما زلت بكراً يا بنيتي واحمدي الله على ذلك .

وهي التي كانت ستقص عليك هذه القصة بدلا مني ، ولذلك طلبت مني أن أدعوك لها .

قلت لها سأقتلك وأقتله ثم أقتل نفسي .

فقالت اليهود سيقتلون كل الأسرة .

فقلت أي أسرة الأسرة التي ضاع شرفها كان ردها مذهلاً .

لقد صفعتني ثم ألقت بخاتم الخطبة في وجهي وقالت :

غداً سأقتله أنا وأقتل نفسي وأتحمل وحدي خطئي ، وغادرتني إلى شقتهم وتركتني .

من هو المذنب ، هي أم هو أم الأرض السليبة أم الزمن ، لم أنم ليلتي .

كانت صورة هذا اليهودي وهو يقبلها ويصورها ، وكيف كان يحتضنها .

كل هذه الخيالات كانت تدمرني ولكني أقسمت على تدميره ، إنها ليست صفاء واحدة ، بل هي كل بنت عربية يقوم اليهود معها بمثل هذا الفعل .

وكان الحل هو كتائب المقاومة وكيف ؟

كان الاتصال صعباً ، قصصت لهم القصة فقالوا لك الحق في الانتقام ، ووضعت الخطة بعد مدة .

كانت خطة بسيطة ولكنها متقنة .

ذهبت إلى اليهودي عضوة بالمنظمة جميلة جداً مع أختها الدميمة التي كانت بالطبع واحداً منا تنكر في ملابس نسائية .

كان الملعون يمارس إحدى عملياته القذرة مع إحدى الضحايا وبسرعة تم القبض عليه ، وأغلق الباب الأمامي وأنزلت الستائر ومن باب خلفي حضر باقي الإخوة .

كان اليهودي يرتعش ويطلب الرحمة .

وقد أطاعنا في كل مطالبنا ، فأرشدنا إلى أماكن الصور وسلبياتها كذلك أسماء ضحاياه وعناوينهم وكل ما له صلة بالأمر .

وأعدمت جميع الصور والأوراق في فرن بوتاجاز ملحق .

وكان الجبان يبكي ويقول لا تصدقوا الصور ، فأنا لست رجلاً لقد ذهبت الحرب برجولتي .

إذاً فقد كان هذا هو انتقامه من العرب .

وأخرج لنا التقارير الطبية التي تثبت ذلك .

في هذه اللحظة هدأت النيران في أضلعي ولكنها ظلت مشتعلة .

كان الملعون يتباهى بأنه يهتك أعراضاً لليهوديات ويقدم لهن الأدلة الكاذبة . . . وهو لا شيء .

المهم أننا حاكمناه وبسرعة أرسلناه إلى جهنم مطارداً بصرخات ضحاياه . . وتم تنظيف المكان من كل أثر ينم علينا ، وخرجنا من الباب الخلفي .

وخرجت الأخبار لتعلن عن انتحاره لأسباب مجهولة وتم زواجي بصفاء .

إجازة مفتوحة

بقلم الكاتب الفلبيني:
مانويل أرجويلا
ترجمة:
طه حواس

طرق (**ليون**) الباب الموارب بطرف سبابته. تحرك الباب إلى الداخل. في بطء. سمع صوتاً داخل الحجرة يناديه:

ـ ادخل.

دفع (ليون) الباب المتحرك إلى الداخل مسافة تسمح له بالمرور. وقف أمام الموظف المسؤول. كان يجلس خلف مكتب فخم لامع. يقع في نهاية الحجرة. قال بعد أن اختلس نظرة إلى وجه (ليون):

ـ اجلس. ماذا أستطيع أن أقدم لك؟

جلس (ليون) في بطء على المقعد المجاور للمكتب وقال في هدوء:

ـ أتيت لأقدم استقالتي.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة، وقال بينه وبين نفسه: سيقول عني هذا رجل مجنون. ولكن لا يبدو على وجهه ما ينم عن ذلك. إنه زميل طيب. وأنا آسف لأني سأترك العمل معه. ولكن (ريوز) سأله:

ـ هل وجدت عملاً آخر؟

عض (ليون) على نواجذه كأنه يعاني من ألم حاد.

ـ لا.. ولكني أريد إجازة مفتوحة.

قالها وهو يضغط على كلمة.. إجازة مفتوحة.. فقد أصبحت الإجازة المفتوحة هي كل ما يدور في ذهنه الآن. وقد بحثها طويلاً بينه وبين نفسه قبل أن يدخل على (**مستر ريوز**) الذي قال له في هدوء وعطف:

ـ كم يوماً تريد؟ نستطيع أن نعطيك أسبوعاً أو أسبوعين. ولا داعي إلى أن تستقيل وتترك العمل.

ارتسمت على وجه (ليون) سحابة من الحزن وقال:

ـ لا بأس.. لكنك تعلم أننا.. أنا وزوجتي.

علت تعبيرات الاستغراب وجه السيد (ريوز) وهو ينظر إلى ربطة العنق السوداء التي يرتديها (ليون) وسأله مندهشاً:

ـ تقول زوجتك؟

ابتسم (ليون) ابتسامة خفيفة وقال:

ـ لا تقل إني مجنون.. إذا قلت لك إني سأقضي هذه الإجازة مع زوجتي.

أحنى (مستر ريوز) رأسه قليلاً. مسح لحيته بظهر يده اليمنى ثم قال:

ـ أكمل حديثك.. أخبرني الحكاية كلها.

ـ لا أعرف إذا كانت لديّ القدرة على إقناعك أم لا.

ثم أخذ يقص الحكاية بدون تردد. لأنه كان يعتقد أن (مستر ريوز) لا يشك في حالته العقلية. بل إنه ربما يحس حقيقة ما يعانيه. إنه صديق ممتاز. وقد استمتع بالعمل معه.

ـ بدأت الحكاية هكذا..

تعلم أنني أتيت من القرية. أتممت تعليمي الجامعي بمدينة (**سان فرناندو**) عاصمة الإقليم.. نسميها كما تعلم (سان دو) ربما قد زرتها في يوم ما.

ـ نعم.

أجاب (ريوز) بصوته الرزين الهادئ:

ـ لقد مررت بها كثيراً.

ـ إذن ستدرك ماذا أعني عندما أقول إنها مكان جميل. إنها حقاً جميلة جداً. فالبحر في جانب والجبل في الجانب الآخر.. قضيت هناك أسعد أيام حياتي أثناء الدراسة. سبحت كثيراً في البحر وتسلقت التلال. ومرت الأيام وكبرت وكبر حبها في قلبي. أتذكر أنه كان يجاور مدرستنا من الناحية الشرقية أحد التلال الكبيرة. تغطيه من السفح إلى القمة مدرجات أشجار (الكاكاو) في شهر مارس (آذار)، كانت تتفتح براعم هذه الأشجار. فيكتسي التل بحلة جميلة من الأزهار.. كنا نتسلق ذلك التل في الليالي المقمرة لنقضي بعض الأوقات في أحضان تلك الجنة المبهجة. عندما ترتسم صورتها في ذهني الآن، أدرك أنها جنة حقيقية.

وبعد لحظة صمت.. سأل (مستر ريوز):

ـ هل كلامي ممل يا مستر ريوز؟

ـ لا.. أكمل.. أكمل يا ليون.

أخذ (ليون) نفساً عميقاً ثم واصل حديثه :

ـ هناك لسان يمتد داخل البحر إلى مسافة كبيرة . يوجد هذا اللسان في جنوب المدينة نسميه (بورو) وفي نهايته عند التقائه بالبحر توجد منارة لإرشاد السفن . قضينا هناك أوقاتاً سعيدة .. على أحد جوانب اللسان تنحدر الأرض انحداراً بطيئاً إلى مسافة مئات الأقدام إلى البحر . وفي الجانب الآخر تتجاور عدة صخور كبيرة سوداء . ترتطم بها الأمواج الضخمة التي تدفعها الرياح الشديدة إلى الشاطئ .. تسلقت هذه الصخور كثيراً .. وفي بعض الأحيان كنت أقوم بهذا العمل لكي أستمع إلى صيحات البنات الخائفات . لم أكن خائفاً ، بل كنت أبتسم للبنات ملوحاً بيدي . كنت أعيش تلك اللحظات فخوراً بنفسي مزهواً بعملي . حقيقة كنت أحس شيئاً من التوتر ، ولكن الخوف كان بعيداً عني ، مع أن زلة قدم قد تهوي بي إلى موت محقق . كنا نقطع المسافة من المدينة إلى (بورو) سيراً على الأقدام في ساعة . ليست هناك منازل أو أناس . منزل الخفير يقف وحده هناك بحرس المنارة . تسمع تلاطم الأمواج العاتية بالصخور على أحد جانبي اللسان ، وعلى الجانب الآخر تسمع همسات الأمواج المترقرقة .

وأنصت (ليون) لحظات ليأخذ نفساً عميقاً ، ثم واصل حديثه :

ـ عشت عاشقاً لهذه الطبيعة وجمالها .. عندما كنت في الجامعة كنت أغالط نفسي وأقول .. إن هذا الجمال لا يوجد بهذا القدر ، وإني أضيف بخيالي صفات ليست حقيقية لهذه الأشياء . وبعد الوظيفة تملكتني رغبة شديدة لزيارة تلك الأماكن في أقرب فرصة . ولكن الظروف لم تساعدني . وما زلت أريد الذهاب إلى (سان دو) .

وسأله (ريوز) :

ـ ألست تأخذ إجازة لعدة أسابيع كل عام ؟

ـ نعم .. ولكن للأسف لم أكن أذهب إلى (سان دو) وكنت أذهب إلى أماكن أخرى . وعندما تنتهي الإجازة يزداد شوقي لزيارة (سان دو) . ثم تزوجت . لا أعرف السبب الذي منعنا أنا وزوجتي من قضاء شهر العسل في (سان دو) وذهبنا بدلا منها إلى (**باجسان جان**) ولكن قلبي وفكري كانا في (سان دو) . بين التلال والبحر والأمواج الرقراقة . والصخور السوداء . لقد تحدثت كثيراً عن هذه الأماكن لزوجتي . تمنت أن تكون هناك بدلا من (باجسان جان) ولم تكن لدينا غير أسابيع قليلة ولذلك عدنا إلى (**مانيلا**) .

وفي العام الماضي ، أخذت أنا وزوجتي نتكلم ونعد أنفسنا لإجازة نقضيها في (**سان دو**) وأعدت على مسامعها وصفي للطبيعة الجميلة التي تمتاز بها (سان دو) الأشجار الجميلة المزهرة . حبات الرمل الناعمة كالحرير . منظر البحر في الليالي المقمرة . المياه الجميلة الصافية الدافئة التي تغري بالسباحة .. وعزمنا على زيارتها . كانت زوجتي أشد شوقاً إليها مني . وكان في نيتها أن نأخذ خيمة ونعسكر في (بورو) أيام الصيف . وعندما كانت تشتد الحرارة كنا نفكر في النسيم المنعش الذي يهب على (بورو) ونتخيل أنفسنا بملابس البحر طول اليوم . ليس لدينا ما نعمله غير السباحة والقراءة والاستمتاع بالمناظر الجميلة في كل مكان . كان ذلك قبل أن تموت زوجتي .

وفي لحظة صمت اختلس نظرة إلى عين (ريوز) ليرى ملامح وجهه .. ثم واصل حديثه :

ـ نعم .. قبل أن تموت زوجتي . مرضت فجأة من شدة الحرارة . ذهبت بها إلى المستشفى . كانت تقول إنها بعد أن تبرأ وتخرج من المستشفى سنذهب إلى (سان دو) ونمكث هناك حتى تعود إليها صحتها كما كانت . وكنت أنا وهي متأكدان أنها ستمر بتلك الأزمة وستعود إليها صحتها .. ولكنها .. ماتت .

ومرت لحظات صمت ...

ـ في الليلة الماضية عندما عدت إلى المنزل بعد الجنازة .. كانت صورة زوجتي تطالعني في كل مكان .. في كل ركن في البيت . جالت في ذهني أفكار عديدة .. وفجأة أدركت أننا كنا قد اتفقنا على شيء مهم ..

نظر إليه (ريوز) في اهتمام وسأله :

ـ ما هو يا ليون ؟

وأجاب (ليون) :

ـ الإجازة في (سان دو) .

وسأله (ريوز) مندهشاً :

ـ وماذا ستعمل هناك ؟

أجاب (ليون) في هدوء :

ـ أشياء كثيرة . سأذهب إلى (سان دو) وأعمل كل الأشياء التي كنا أنا وزوجتي اتفقنا عليها . سوف أتسلق الجبال . وأستمتع بالخضرة والأشجار المزهرة . سأسبح في البحر . أتجول على الشاطئ تاركاً آثار أقدامي على الرمال الناعمة ، وتأتي الرياح تحمل الأمواج إلى الشاطئ فتبتلع آثار أقدامي . سأتخيل زوجتي معي . لن أكون وحدي وأنا أقوم بهذه الأعمال .. لن أكون وحدي أبداً .. وأنت تعلم ماذا أعني .

هز (ريوز) رأسه ولم ينطق بكلمة ، بينما واصل (ليون) حديثه :

ـ وعندما أتسلق صخور (بورو) ستكون معي .

ثم انخفض صوته لدرجة غير مسموعة .. وقال بينه وبين نفسه :

ـ وسأكون معها إلى الأبد يا (مستر ريوز) وهذا هو الشيء المهم .

من كتب التراث

سِرُّ الفصاحة

للأمير عبد الله بن سنان

بقلم : د . محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

تطور النقد العربي منذ عصر صدر الإسلام حتى أوائل القرن الخامس الهجري تطوراً كبيراً وخطيراً ، فأصبحت له مذاهبه ومدارسه وتياراته ومناهجه ، وظهر أعلام النقاد في الأدب العربي القديم . **في القرن الثالث** رأينا : **الأصمعي** (ــ ٢١٦ هـ) ، **وابن سلام الجمحي** (ــ ٢٣١ هـ) ، **والجاحظ** (ــ ٢٥٥ هـ) ، **وابن قتيبة** (ــ ٢٧٦ هـ) ، **والمبرد** (ــ ٢٨٥ هـ) ، **وثعلب** (ــ ٢٩١ هـ) ، **وابن المعتز** (٢٤٧ ــ ٢٩٦ هـ) صاحب كتاب البديع المشهور ، **والناشئ الأكبر** (ــ ٢٩٣ هـ) .

وفي القرن الرابع ظهر : **ابن طباطبا** (ــ ٣٢١ هـ) ، **وقدامة** (ــ ٣٣٧ هـ) ، **والآمدي** صاحب كتاب « **الموازنة** » (ــ ٣٧١ هـ) ، **والقاضي الجرجاني** صاحب كتاب الوساطة (ــ ٣٩٢ هـ) ، **والصاحب بن عباد الوزير** (ــ ٣٨٥ هـ) ، **والباقلاني** صاحب كتاب « **إعجاز القرآن** » (ــ ٤٠٣ هـ) .

وفي القرن الخامس : رأينا الكثير من النقاد ، ومن بينهم : **ابن رشيق القيرواني** (ــ ٤٥٦ هـ) ، **وابن سنان الخفاجي الحلبي** (ــ ٤٦٦ هـ) ، **وعبد القاهر الجرجاني** شيخ البلاغيين (ــ ٤٧١ هـ) ، **وأبو العلاء المعري** (ــ ٤٤٩ هـ) مؤلف رسالة الغفران ، **وابن شهيد الأندلسي** (ــ ٤٢٦ هـ) ، وسواهم .

وفي القرن الخامس تعددت **مدارس النقد** : مدرسة في الشام ، ومدرسة في بغداد ، ومدرسة في جرجان ، ومدرسة في مصر ، ومدرسة في القيروان ، ومدرسة في الأندلس . . وظهرت مؤلفات رائدة في النقد ، وفي مقدمتها : **سر الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشيق ، وأسرار البلاغة ، وإعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني . .** وغيرها .

— ٢ —

وابن سنان (٤٢٢ ــ ٤٦٦ هـ : ١١٢٨ ــ ١١٧١ م) هو **الأمير عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي الحلبي** ، من سلالة بني حزن الخفاجيين من بني عقيل من عامر بن صعصعة ، وكانت حلب موطن فرع كبير ضخم من هذه القبيلة العربية التي لا ندري متى استقرت في حلب ، وقد يكون ذلك في أواخر القرن الثاني الهجري أو بعده بقليل . وكان **بنو حزن** قد استقروا في العراق ، والجزيرة الفراتية ، ولعلهم رحلوا منها واستقروا في حلب وهي قريبة من هذه المواطن العربية ، ويشير ابن سنان في شعره كثيراً إلى قومه من بني حزن ، وكانت حلب في عصره موطناً من مواطن اللغة والأدب ، وإن كانت قد تأثرت بالحروب الدامية التي كانت تدور قبلاً بينها وبين جيوش إمبراطورية الروم الشرقية في بيزنطة .

وجدُّ ابن سنان الأعلى هو سنان بن الربيع الخفاجي العقيلي العامري . أما والده فهو محمد بن سعيد من سادة حلب وأعيانها ، ويفتخر به **ابن سنان** في شعره ويبدو أنه توفي وابنه طفل صغير ، وقد يكون ذلك نحو عام ٤٢٥ هـ .

أما والدة ابن سنان فهي من أسرة **مبارك التميمي** ، أعز العرب ، من بني تميم وفي ذلك يقول شاعرنا مهدداً أحد خصومه :

مهلاً فإنك ما تعد (مباركاً)
خالا ولا تحصي سنّاناً والدا

بيــت لـــه النســب الجليُّ وغـــيره
دعـــوى تـــريد أدلـــة وشـــواهدا

ويقول كذلك له :

ضــلالك مـــا نُسبت إلى ســـنان
ولا ضربــت خـــؤولك في تـــميم

ويقول في سنان بن الربيع جده الأعلى :

سقى الـــربيعَ ربيــعٌ جــاد هـــاطلُهُ
بـــكل أســـحمَ صـــافي الـــذيل هطّال
وخصَّ رمسَ (ســنانٍ) مـــن مـــواهبه
ببارد كسُلاف الخمـــر سَـــلْسال
فقـــد أعـــانا على زهـــد بميسرة
وأغنيانـي عـــن شَـــدٍّ وتـــرحال

وقد توفيت والدة الشاعر عام ٤٤٦ هـ ، وهو في سن الرابعة والعشرين ، ورثاها في شعره .

ولا نعلم على وجه اليقين تاريخ ميلاد الشاعر ولكنا نجد في ديوانه قصيدة يرجع تاريخها إلى عام ٤٤٣ هـ ، كما يقول الديوان (ص ٥ و ٦ ، ديوان ابن سنان — المطبعة الأنسية ببيروت عام ١٩١٦ م — ونقلها مؤلف أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٤ : ٢٠١ — ٢٠٤) .

بعشريـــن أنفقتهـــا في الصـــدود
وجُـــدْتُ بهـــا في زمـــان النـــوى

يقول : أضعت من عمري عشرين عاماً وأنا أقارع الخطوب المدلهمة ، وأثر فراق الأحباء ، في جلد وصبر . فقد كان عمره إذن عام ٤٤٣ هـ ، عشرين ربيعاً ، فيكون ميلاده نحو عام ٤٢٣ هـ . وكتب **ابن بطلان** رسالة إلى صديق له عام ٤٤٠ هـ ، يصف فيها مدينة حلب ، ويقول : إن فيها شاباً حدثاً يعرف بأبي محمد ابن سنان ، قد ناهز العشرين ، وعلا في الشعر طبقة المحنكين ؛ أي إن ميلاده نحو عام ٤٢٠ هـ . وكتب ابن سنان سنة ٤٤٠ هـ ، قصيدة إلى صديق آخر له ، يقول فيها :

سبقتُ ومـــا بُلّغْتُ عشراً كوامـــلاً
فـــكيف وقـــد جـــاوزتها بثمان

فيكون عمره عام ٤٤٠ هـ ، ثمانية عشر عاماً أي ميلاده كان عام ٤٢٢ هـ ، وهو ما أرجحه .

وتوفي والد الشاعر **ابن سنان** وهو طفل صغير ، ونشأ الشاعر نشأة أدبية وعلمية ، وتردد على مجالس الأدباء والعلماء في حلب ، وقصد «**معرة النعمان**» القريبة جداً من حلب حيث شاعر العربية الكبير **أبو العلاء المعري** (٣٦٣ — ٤٤٩ هـ) وصار من تلامذته المقربين ، ويذكره ابن سنان كثيراً في كتابه «**سر الفصاحة**» ، فيقول عنه : «**شيخنا أبو العلاء**» .


★ ابن خلكان ★


★ الجاحظ ★

وعاش **ابن سنان** في موطنه حلب ، في ظلال دولة **بني صالح بن مرداس** الكلابيين العامريين ، وكان من ملوكها : **صالح بن مرداس** (٤٠٢ — ٤٢٠ هـ) ، **ونصر بن صالح** (٤٢٠ — ٤٢٩ هـ) ثم معز الدولة **ثمال بن صالح** (٣٢٤ — ٤٤٩ هـ) ، **وعطية بن صالح** (٤٥٢ هـ) ، **ومحمود بن صالح** (٤٥٢ هـ ، ثم ٤٥٤ — ٤٦٨ هـ) ، **ونصر بن محمود** ، ثم **سابق ابن محمود** .. وقد تخلل حكم بني صالح لحلب فترات أخذها من أيديهم الفاطميون ، وقد مدح **ابن سنان** ملوك هذه الدولة ، ورجالاتها ، وتوثقت صلته بهم طول حياته .

وفي عام ٤٤٩ هـ ، توفي أستاذه أبو العلاء ، فحزن عليه حزناً عميقاً ، وقصائده في رثائه مفقودة ، وله قصيدة رائية (ص ٣٥ من الديوان) رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه ، وفيها حزن عميق على فيلسوف المعرة أبي العلاء ، وفيها يقول :

ومقيماً على (المعـــرة) تـــطويـ
ـــه الليـــالي وذكره منشـــور

ثم اتصل الشاعر كذلك بدولة **بني أسد** في الحلة ، فمدح ملكها **ظهير الدولة الأسدي** ملك الحلة (٤٠٨ — ٤٧٤ هـ) ، ويقول له في إحدى قصائده :

أعنّي على نيـــل الكواكب في العـــلا
فـــأنت الـــذي صـــيرتها مـــن مآربي

وفي عام ٤٥٠ هـ ، والشاعر في الثامنة والعشرين من عمره ، كانت حلب في أيدي الفاطميين ، الذين استولوا عليها بعد حرب طاحنة ، وأخذوها من يدي معز الدولة عام ٤٤٩ هـ ، وكان أميرها من قبل الفاطميين هو **مكين الدولة ابن ملهم** الذي اتصل به ابن سنان ، وأنشد فيه قصيدة من قصائده ، وظل نفوذ الفاطميين في حلب بين مد وجزر إلى عام ٤٥٤ هـ ، حتى استردها الكلابيون من أيديهم .

وهكذا عاش الشاعر في ظلال العصر المرداسي الكلابي الذي حذا حَذْوَ دولة الحمدانيين في حلب ، وكان للملوك المرداسيين شعراؤهم ، الذين كان من بينهم **ابن سنان ، وابن حيوس ، وابن أبي حصينة** (— ٤٥٦ هـ) . ودرس ابن سنان الأدب ، وحفظ الشعر ، ونبغ في نظمه ، ولم يلبث أن صار شاعراً مشهوراً ، تلهمه مواهب الشعر ، وثقافات العربية روائع القصيد ، ونبغ ابن سنان في النقد ، وصار بذوقه من أعلام النقاد في عصره ، مما يبدو لنا واضحاً جلياً في كتابه «**سر الفصاحة**» الذي ينم عن ذوق أدبي رفيع ، وشخصية نقدية مستقلة .

وفي عام ٤٥٣ هـ ، والشاعر في الحادية والثلاثين من عمره ، سافر **ابن سنان إلى القسطنطينية** في سفارة سياسية كلفه بها أحد الأمراء المرداسيين ، وهو **محمود بن نصر** الذي كان يحلم بالملك ، وأراد أن يستنجد بالروم ليساعدوه بطرقهم الخاصة في امتلاك زمام الأمور في حلب ؛ وكان ابن سنان صديقاً لمحمود ابن نصر ، وقد ذكر هذه السفارة **ابن القلانسي** مؤرخ دمشق ، فقال : «**ندب أبو محمد ابن سعيد ابن سنان الشاعر للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولا يستنجد لمحمود على عمه ثمال**» . وذكرها كذلك **ابن العديم** مؤرخ حلب .. وقد بعث **ابن سنان** بأربع قصائد من القسطنطينية إلى إخوانه في حلب .

● **الأولى** : أرسلها إلى ابن ملهم والي حلب من قبل الفاطميين ، وذلك عام ٤٥٣ هـ .

● **والثانية** : بعث بها إلى بعض أبناء أعمامه .

● **والثالثة** : نظمها في طريقه إلى القسطنطينية في رثاء مؤتمن الدولة أبي طاهر بمصر .

● **والرابعة** : أرسلها من هناك إلى الوزير فخر الدولة ابن جهير بميافارقين .

ولما صالَحَ **محمود بن نصر** عَمَّهُ «**ثُمالا**» ، واقتسما البلاد بينهما ، انتهت سفارة ابن سنان ، وعاد إلى الشام بعد شهور ، وانصرف إلى الشعر ، وتنقل من بلد إلى بلد ، وفقاً لظروف السياسة وأحداثها .

ونجد له ثلاث قصائد نظمها في رثاء أبي العلاء صاعد الكاتب ، الذي انضم إلى جناح من أجنحة البيت المرداسي ، ولم يلبث أن جرّد هذا الجناح من السلطان فهرب صاعد إلى أنطاكية ، ومات بها ، وكانت أنطاكية يومئذ في أيدي الروم ، ويبدو أن ابن سنان كان مقيماً فيها حين مات صاعد ، وترجع إقامته بها إلى ظروف السياسة وأحداثها حينذاك . وفي صفر عام ٤٥٧ هـ ، عاد إلى حلب ، ومدح أميرها **محمود بن صالح المرداسي** .

وفي أواخر عام ٤٦٠ هـ ، قلّد أمير حلب **محمود ابن صالح** الشاعر ابن سنان ولاية قلعة عزاز التابعة لولاية حلب .

ولم يلبث أن شق ابن سنان عصا الطاعة على الأمير محمود ملك حلب ، فاستقل بولاية « **قلعة عزاز** » . ونجح محمود في دس السم له فمات مسموماً عام ٤٦٦ هـ ، وحملت جثته إلى حلب فدفن بها ، وسنّه أربعة وأربعون عاماً .. **وهكذا عاش ابن سنان حياة قلقة مضطربة كل القلق والاضطراب ، حتى قضى نحبه بيد السياسة الهوجاء .**

وقد ترك ابن سنان لنا كتابه النقدي الحافل « **سر الفصاحة** » ، وهو مطبوع كما ترك لنا ديوان شعر لا يحتوي على كل ما نظمه ، وله كتب أخرى مفقودة ، منها كتابه « **الصرفة** » الذي تعرض فيه لقضية إعجاز القرآن الكريم .

وكانت ثقافة ابن سنان ثقافة واسعة متنوعة : فهو أديب شغوف بالأدب متذوق له ، وهو شاعر مبدع ملهم مجيد ، وهو فوق ذلك عالم بشتى المذاهب الدينية والعقلية ، وكان ينتصر للرأي القائل إن سبب إعجاز القرآن الكريم هو أن الله عز وجل صرف العرب وسواهم عن معارضته . وهو فوق ذلك كله علم من أعلام البلاغة ، ورائد من رواد النقد .

وقد اختار **البارودي** في مختاراته الشعرية لابن سنان شعراً كثيراً ، بلغ نحو ٧٨٥ بيتاً ، وترجم لابن سنان كثير من الباحثين ، من بينهم : صاحب كتاب « **وفيات الأعيان** » **ابن خلكان** ، ومؤلف كتاب « **بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي** » وكتبت عنه رسائل جامعية للماجستير والدكتوراه ، وكتبت عنه كذلك عشرات البحوث والدراسات التي نشرت في مختلف المجلات الأدبية ، وترجم له مؤرخو الأدب العربي في كتبهم ترجمات مختلفة .

ــ ٣ ــ

وكتاب « سر الفصاحة » كتاب جليل ، كبير الأثر في بحوث النقد والبلاغة .

وقد تحدث فيه ابن سنان عن الكثير من أصول البلاغة العربية ، ووضع منهجاً دقيقاً لبحوثها .

فهو بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة .

تكلم فيه الخفاجي على اللغة ، ثم على الحروف ، ثم على الألفاظ المفردة وصفاتها ، وأسباب الفصاحة فيها ، ثم على الألفاظ المؤلفة ، وأسرار فصاحتها ، ثم على المعاني المفردة ، وما يجب أن تكون عليه في التأليف ليكون الكلام موائماً للعقل والتفكير .

بدأه الخفاجي بمقدمة أبان فيها أن الغرض من كتابه معرفة حقيقة الفصاحة وسرها ، لما للبلاغة والفصاحة ومعرفتها من تأثير بعيد في العلوم الأدبية ، ولأنهما اللذان يكشفان عن سر الإعجاز في الذكر الحكيم .

لذلك بدأ بحثه في الكلام على الصوت وتحديد معناه ، وخصائصه ؛ وأنه يخرج مستطيلاً ساذجاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفاً .

ثم تكلم على الحروف ومعناها ، وأن عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً ، وأن المبرد يجعلها ثمانية وعشرين لأنه لا يعتد بالهمزة ، وأن هذه الحروف يحسن استعمال بعضها في الكلام الفصيح ، ولا يحسن استعمال البعض الآخر ، وأبان مقاطع الحروف وصفاتها .

ثم حدّد معنى الكلام ، وأنه ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه الإفادة ، ذاهباً إلى أنه يشمل المفيد وغيره ، مخالفاً لمن رأى قصره على المفيد ، وأبان فساد رأي **الجبائي** من أن جنس الكلام يخالف جنس الصوت ، كما أبان فساد رأي **المجبرة** التي تزعم أن الكلام معنى في النفس ، ثم ذكر أقسام الكلام ، وأن المفيد من الكلام منه حقيقة ومجاز ، وأنه كله يرجع إلى معنى الخبر ، كما أبان أن المتكلم من وقع منه الكلام قصداً ، وأن الحكاية هي المحكي عند قوم ، فالتالي للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة وهي غير المحكي عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا الرأي .

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها أمواضعة أم توقيف ، وانتصر للرأي القائل إن أساس اللغة مواضعة واصطلاح ، وإن العقلاء استعانوا على هذه المواضعة بالحروف لسهولتها ، وتكلم على فضل اللغة العربية ومميزاتها وخصائصها ، وذكر أقسام تأليف الحروف وأن منه ما هو تأليف من الحروف المتباعدة مخرجاً وهو الأحسن ، ومنه ما هو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل أو منبوذ .

★ المعري ★



وتكلم على الفصاحة وأنها مقصورة على الألفاظ ، بعكس البلاغة فهي وصف للألفاظ مع المعاني ، وأبان عن شرف الفصاحة ، وأنها صفة للألفاظ متى ما استكملت عناصر عدة ، وأنه متى تكاملت تلك العناصر فلا مزيد على فصاحة الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ نصيبها من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الذم بأنها غير فصيحة ، وذكر أن تلك العناصر والشروط قسمان :

(١) ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها .

(٢) وما يوجد في الألفاظ المنظومة .

أ ـ فأما ما يجب أن يوجد في اللفظة المفردة فثمانية عناصر :

١ ـ أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج .

٢ ـ أن يكون لتأليفها في السمع حسن ومزية على غيرها .

٣ ـ أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية ، ونقد هنا رأي من مدح المعري بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء .

٤ ـ أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية .

٥ ـ أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح .

٦ ـ أن لا تكون قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره .

٧ ـ أن تكون الكلمة غير كثيرة الحروف .

٨ ـ أن تكون مصغرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي .

ب ـ وأما عناصر الفصاحة في الألفاظ المؤلفة :

أ ـ فمنها ما تشترك فيه مع الألفاظ المفردة وهي :

● اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام ، ويرى ابن سنان أن التأليف على ضربين فقط : متلائم ومتنافر ، والمتلائم درجات ، ولا فرق بين القرآن الكريم وغيره في ذلك . وأبان أن وجه الإعجاز هو صرف الله العرب عن الإتيان بمثله ، وناقش رأي **الرماني** الذي ذهب فيه إلى أن تباعد الحروف في المخرج تباعداً شديداً مدعاة للتنافر كتقارب الحروف . وذهب الخفاجي إلى الثاني فقط .

● أن يكون التأليف جارياً على العرف العربي الصحيح .

● أن لا يكون التأليف قد عبّر به عن أمر آخر يكره ذكره .

ب ـ ومنها ما يختص به التأليف مما يرجع إلى

الألفاظ بانفرادها أو اشتراكها مع المعاني .

فمن أصول حسن التأليف :

أ ــ وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً :

●● بأن لا يكون في الكلام تأخير وتقديم يفسد المعنى أو الإعراب .

●● وبأن لا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى .

●● ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة ، وهنا يشرح الاستعارة ، ويذكر خصائصها والفرق بينها وبين التشبيه ، وينقد رأي « **الرماني** » الذي جعل من الفروق بينهما عدم ذكر أداة التشبيه في الاستعارة وذكرها في التشبيه ، ثم ذكر أثر الاستعارة في الفصاحة ، وأقسامها ، وأنها قليلة في شعر المتقدمين ، كثيرة في شعر المحدثين وخاصة أبا تمام .

● ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشواً ، وهنا يتحدث عن الحشو والغرض المنشود منه وما عيب منه وما استحسن ، وأدخل في الحشو الإيغال . وكلام الخفاجي في الحشو له صلة وثيقة برأي قدامة فيه .

● ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون فيها معاظلة ، وهنا يتحدث عن المعاظلة والفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته (**مما يسمى تسهيماً أو توشيحاً**) . والخفاجي في هذا متأثر **بقدامة والآمدي** جد التأثر .

● ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يعبّر عن المدح بألفاظ الذم ولا العكس .

● ومنه حسن الكناية في الحال الذي يستدعي عدم التصريح .

● وعدم استعمال الألفاظ العلمية والاصطلاحية ، وهو هنا متأثر برأي **الجاحظ** في ذلك .

ب ــ وتوفر شروط الفصاحة المناسبة بين الألفاظ : من طريق الصيغة ، أو من طريق المعنى :

فأما المناسبة بينها من طريق الصيغة فأثرها في الفصاحة ظاهر ، ومن هذه المناسبة :

(١) السجع والازدواج ، وهنا يذكر **الخفاجي** مذاهب العلماء في قبول السجع والازدواج وفي كراهتهما ، ويستحسن السجع المطبوع وهو هنا متأثر **بالجاحظ وبنقد النثر لابن وهب** ، وينقل هنا كلمة **بشر بن المعتمر** ــ التي ذكرها **الجاحظ في** البيان ــ في قلق الألفاظ في مكانها ، ثم يبين معنى السجع وأقسامه ، وينقد الرماني فيما رآه من ذم السجع وفصاحة الفواصل ، ويتكلم عن منهج القرآن في أسلوبه ، وأنه لم يكن كله مسجوعاً لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه ، كما أنه لم يَخْلُ من



★ البارودي ★

السجع ، لأن السجع من صفات الفصاحة ، ويذكر الكتّاب المحدثين الذين أكثروا من السجع ، والذين أقلّوا منه ، والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء ، كما ذكر أن جعل الرسالة كلها مسجوعة قبيح .

(٢) القوافي في الشعر ، ويذكر **الخفاجي** أنها تجري مجرى السجع ، وأن المختار منها ما كان متمكناً يدل الكلام عليه ، وأن **الحطيئة وحسان** التزما في بعض قصائدهما ما لا يلتزم في القافية ، وكذلك **كثير وابن الرومي والمعري** ، ويتكلم على شروط حسن القافية ويُلِمُّ بكثير من عيوبها .

(٣) التصريع ويفيض في الكلام فيه .

(٤) الترصيع وهو أن تكون الجمل التي يشتمل عليها البيت أو الفصل المنثور مسجوعة ويستحسن **الخفاجي** من ذلك ما قل دون ما كثر . وهو في ذلك محتذٍ حَذْو **قدامة في « نقد الشعر »** وإن كان يخالفه فيه ، فإن قدامة يستحسن الكثير منه **والخفاجي** يستحسن القليل دون الكثير .

(٥) اللف والنشر المرتب .

(٦) عدم كثرة الزحاف في الشعر ، وتساوي الفصول ، أو أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول دون العكس في النثر .

(٧) التجانس وهنا يفيض **الخفاجي** في الكلام عليه ، وفي تحديد معناه ، وذكر أقسامه ، وفي استحسان القليل غير المتكلف منه ، **والخفاجي** متأثر فيما كتبه عن الجناس **بقدامة والآمدي** .

وأما المناسبة بين الألفاظ من طريق المعنى فعلى وجهين :

١ ــ تقارب اللفظين .

٢ ــ تضاد مَعْنَيَيْهما أو تقارب المعنى من التضاد ، وهذا هو المطابقة عند العلماء ، ويسميها **قدامة** تكافؤاً ، وأنكر عليه ذلك **الآمدي والأخفش** .

وأبان **الخفاجي** أن علماء الشعر يسمون ما كان قريباً من التضاد « **المخالف** » ، ثم يذكر **الخفاجي** أقسام **الطباق** ، واسم كل قسم عند العلماء ، ويختار تسمية الجميع بالمطابق ، ثم يذكر حقيقة الطباق ، وما يستحسن منه ومثلاً لجيده ورديئه ، ويجعل التقديم والتأخير في الأسلوب مما يجري مجرى الطباق .

جـ ــ ومن شروط الفصاحة والبلاغة : **الإيجاز** ، وهنا يذكر مقام الإيجاز ومقام الإطناب ، متأثراً في ذلك بنقد النثر ، ومناقشاً لمن يجعل الإطناب بلاغة ويشترط في الإيجاز وضوح المعنى وعدم خفائه وإلا كان قبيحاً مذموماً ، ويتبع هذا بالكلام على المساواة والتذييل والإشارة والمقام الذي يستوجب كل واحد منها ، ويؤثر منها الإيجاز ، ويذكر رأي علماء الأدب فيه ، ويوضح أقسامه ، ويناقش تعريف **الرماني** للإيجاز ، ويشرح معنى الإطناب والتطويل والمساواة والتذييل والحشو إلى آخر هذه البحوث القيّمة .

د ــ ومن شروط الفصاحة والبلاغة في رأيه **الوضوح في الأسلوب شعراً أو نثراً** ، وهنا ينقد رأي **الصابي** الذي ذهب إلى استحسان الوضوح في النثر دون الشعر ، ويشرح **الخفاجي** أسباب غموض الكلام ، ويؤكد أن سر الإعجاز هو صرف الله تعالى الناس عن معارضته ، ويمثل للكلام الواضح والمغلق ، ويذكر وصية **بشر بن المعتمر** التي ذكرها الجاحظ من قبل ، والتي توصي بعدم التوعر ، كما يذكر كلمة للجاحظ في ذلك .

هـ ــ ومن أوصاف الفصاحة والبلاغة **الكناية** التي تكلم عليها **الخفاجي** متأثراً في ذلك **بقدامة في « نقد الشعر »** .

و ــ ومنها التمثيل .

ز ــ وأما أسباب الفصاحة في المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام فهي :

● صحة التقسيم ، تجنب الاستحالة والتناقض ، ألا يضع الجائز موضع الممتنع ، صحة التشبيه ، صحة الأوصاف في الأغراض ، صحة المقابلة في المعاني ، صحة النسق والنظم وحسن التخلص ، صحة التفسير .

وأما المبالغة والغلو في المعنى فنقاد الأدب مختلفون فيها : مدحاً وذماً .. **والخفاجي** يستحسن الغلو مع استعمال ما يقربه إلى الصحة .

● الاستدلال بالتمثيل ، والاستدلال بالتعليل .

والخفاجي في هذا الباب كله متأثر بخطى **قدامة في « نقد الشعر »** إلى حد بعيد . وبعد ذلك كله يذكر **الخفاجي** الآراء الفاسدة في نقد الشعر ، وفي نقد الكلام :

●● فيخطئ من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين بحكم السبق في الزمن وحده ويناقش هذا الرأي في تفصيل وقوة .

●● ويبين أن مذهب النقاد والمنهج في نقد الشعر هو ما قدمه من نعوت الألفاظ والمعاني ، دون التفات إلى تقدم الزمن أو تأخره فذلك لا تأثير له وهذا مذهب **الجاحظ والمبرد وابن المعتز والمعري** .

●● ويبين أن المعنى الفاحش (من المجون ووصف الخمر وسواهما) لا يعيب الشعر – كما ذهب إليه بعض النقاد – ما دام تأليفه جميلاً .

●● ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد في النقد ، من اختيار ما يوافق ذوق طبع الناقد وحده ، ومن إيثار الوحشي دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسان الشعر لأجل قائله .

وأخيراً يتكلم **الخفاجي** على النثر والشعر ومكانة كل منهما . . ويذكر ما يحتاج إليه البليغ من العلوم اللغوية والأدبية وسواها . . وكل هذه البحوث يذكرها الخفاجي في إفاضة وجمال شرح وقوة حجة وعفة مناقشة وطهارة نقد وسداد غرض وصواب غاية وأعدل منهج .

ومن ذلك كله ترى أن الكتاب بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافها في اللفظ وفي النظم وفي المعنى ، وهو في ذلك كله وبما فيه من كثير من الآراء الحافلة في الأدب والنقد والبيان ذو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية ؛ وقد نوّه **ابن الأثير** ٦٢٧ هـ ، في أول « **المثل السائر** » بالكتاب وبمؤلفه وأشاد به أعظم إشادة وتأثر به في بحوث كتابه المثل السائر ، ونقد بعض آرائه في بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة في العصور الأخيرة وخاصة « الإيضاح » للخطيب **القزويني** ٧٣٩ هـ ، قد تأثرت بسر الفصاحة وآرائه إلى حد بعيد ، فهو المصدر الأول للبلاغيين ، كما هو أهم مصدر من مصادر الأدب والنقد .

ومع ذلك كله فيمكننا أن نقول إن مصادر ابن سنان الأولى التي اعتمد عليها في تأليف كتابه الحافل هي :

(١) **البيان والتبيين للجاحظ** (٢٥٥ هـ) حيث احتذى حذوه في كثير من الآراء البيانية والأدبية التي تضمنها الكتاب .

(٢) **الشعر والشعراء لابن قتيبة** (٢٧٦ هـ) حيث اعتمد على مقدمته إلى حد كبير .

(٣) **نقد الشعر لقدامة بن جعفر** (٣٣٧ هـ) وقد وضعه **الخفاجي** موضع العناية حين ألف كتابه وسار على نهجه في التأليف واحتذى حذو



★ ابن قتيبة ★

مؤلفه في كثير من الآراء .

(٤) **نقد النثر لابن وهب** حيث اعتمد عليه في بعض فصول الكتاب وخاصة حينما كتب على مقامات الإيجاز والإطناب .

(٥) **الموازنة للآمدي** (٣٧١ هـ) فقد اعتمد عليها **الخفاجي** اعتماداً كبيراً وحفل بآرائها ونقد الكثير منها ناهجاً في ذلك منهج **المرتضى** في نقده **للآمدي** في كتابه « **الشيب والشباب** » .

(٦) **الوساطة للجرجاني** (٣٩٢ هـ) فقد ركن إليها في بعض الآراء ونقل عنها الكثير من مباحث الاستعارة ونقدها .

(٧) **كتاب الرماني** (٣٨٤ هـ) في البلاغة فقد أخذ منه **الخفاجي** بعض آرائه ونقد ما هو في حاجة إلى النقد .

(٨) **كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري** المتوفى بعد عام ٣٩٥ هـ ، فقد ذكر العديد من آرائه ونقد بعضها .

(٩) **إعجاز القرآن للباقلاني** (٤٠٣ هـ) فهو كذلك يظهر أثره في سر الفصاحة وخاصة في مباحث السجع والفواصل في القرآن .

ومع ذلك كله فشخصية **الخفاجي** قوية جداً في كتابه ، بنقده ما يستحق النقد من هذه الآراء ، وبحسن عرضه وجمال تنسيقه وقوة حجته وحسن ذوقه في النقد والتحليل .

وهو فوق ذلك كله منصف في حكمه ، معتدل في نقده ، يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء ، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير ، ويرتب كل شيء على أساس حكم العقل واستنتاجه .

وابن سنان كما يبدو من كتابه رجل ذو ثقافة واسعة درس كتب الأدب والنقد واللغة ، وكانت من خصائص ومميزات ثقافته هذه الناحية الكلامية التي مهر فيها ، وأسلوبه في الجدل أسلوب قوي من أساليب المتكلمين ، وهو ينتصر لهم حتى يرى كلامهم دون ما سواه هو الحجة الدامغة .

وقد عاصر الخفاجي (٤٦٦ هـ) شيخ البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجاني ٤٧١ هـ ، كما عاصر ابن رشيق صاحب العمدة المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

ويغلب على ظني أن بعد مواطن هذه الشخصيات الفذة عن بعض كان سبباً في عدم تأثر كل شخصية منها بالأخرى في تفكيرها في النقد وأحكام البلاغة .

فعبد القاهر عاش في جرجان ، **والخفاجي** في حلب ، **وابن رشيق** في القيروان . وألّف الأول « **أسرار البلاغة** » و « **دلائل الإعجاز** » ، من حيث ألّف الثاني كتابه « **سر الفصاحة** » ، ومن حيث ألّف الثالث « **العمدة في صناعة الشعر ونقده** » .

فأما الصلة الباقية بين **ابن رشيق وابن سنان** فمصدرها اعتماد الرجلين في تأليفهما على مصدر واحد له أهميته وهو نقد الشعر لقدامة ، فكان « **كتاب العمدة** » وكان كتاب « **سر الفصاحة** » تجديداً يسير حول منهج قدامة في النقد وفي التأليف .

وللآن لا تتجلى صلة واضحة بين **الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني** ، ولا يظهر أي أثر للشبه أو التأثر بين الرجلين اللهم إلا في مواضع قليلة .

فقد ذكر **ابن سنان** – كما ذكر **عبد القاهر** – شبهة الذين زعموا أن الحكاية هي المحكي ، ودليلهم عليها أن الحكاية لو كانت غير المحكي ، بل مثله ، لكان من قرأ القرآن الكريم آتياً بمثله على الحقيقة ، وأجاب **الخفاجي** عن هذه الشبهة كما أجاب **عبد القاهر** في « **الدلائل** » بأن التحدي إنما وقع بفعل مثل القرآن الكريم على الابتداء دون الاحتذاء والتالي للقرآن الكريم قد أتى بمثله محتذياً فلا يكون بذلك معارضاً وعلى هذا أيضاً كان يقع التحدي بين العرب بالشعر على سبيل الابتداء (سر **الفصاحة والدلائل ، ص ٣٧٠**) .

وأرى أن ذلك مصدره هو التشابه بين الثقافة العامة في عصر الرجلين لا غير .

وعلى ذلك فلم يتأثر **الخفاجي بالجرجاني** ولم يتأثر **الجرجاني بالخفاجي** ، ولو أن الرجلين اطلع أحدهما على مجهود الآخر في دراسة البلاغة لكان لذلك أثره الخطير في تحويل مناهج البحث البلاغي .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن مؤلف الخفاجي أعمق كثيراً ، وأشمل فكرة ، وأوسع مدى ، وأبلغ بياناً من كتابي الجرجاني : « **أسرار البلاغة** » و « **دلائل الإعجاز** » .

ولا يفوتنا أن نذكر أن **ابن الأثير** في كتابه « **المثل السائر** » أشاد بسر الفصاحة وأيد الكثير من

آرائه ونقد بعضها .

فقد أشاد **ابن الأثير** في مطلع كتابه بكتاب «**سر الفصاحة**» ونوّه بمنزلته في علم البلاغة .. وتعقب آراءه بكثير من النقد :

●● فهو في أول الكتاب يأخذ عليه إكثاره من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها .

●● وذكر ما ذكره **ابن سنان** من بعد مخارج الحروف وأثره في فصاحة الكلمة ، وينقد رأيه في جعل ذلك شرطاً في اختيار الألفاظ ، وينقد رأيه أيضاً فيما ذكره **ابن سنان** من جريان اللفظة على العرف العربي ، وفي تصغير اللفظة فيما يعبّر عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه .

●● وقد أيد رأيه في نقد بيت **الشريف الرضي** :

أعْززْ عليّ بأنْ أراك وقد خلا
عن جانبيك مقاعد العوّاد

●● وينقد رأيه كذلك في جعله من أوصاف فصاحة الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً .

●● ويأخذ صاحب «**المثل السائر**» على **ابن سنان** وسواه أنهم لم يفرقوا بين الاستعارة والتشبيه المضمر الأداة ، ويجعل **ابن الأثير** بيت **امرئ القيس** «فقلت له لما تمطى بصلبه» من التشبيه المضمر الأداة لا من الاستعارة كما يذهب إليه **ابن سنان** ، ويأخذ عليه جعله البيت من الاستعارة الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة .

●● ويأخذ على **ابن سنان** وسواه عدم فرقهم بين الكناية والتعريض .

●● وينقد رأي **ابن سنان** في ترك ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم .. إلى غير ذلك مما تعقب فيه **ابن الأثير** كتاب «**سر الفصاحة**» بالنقد .

و «**سر الفصاحة**» **يروعك منه دقة أسلوبه ، وبراعة تصويره ، وسهولة عبارته التي لا تكلف فيها ولا معاظلة ، والتي لم يوشها بشيء من جناس أو بديع .** فلقد كان صاحبه متمكناً من الألفاظ والمعاني كأبدع ما تجده من كاتب محكم الكتابة . على أنه يعلمك صنوفاً من التعبير ويهدي إليك أفانين من الأسلوب ، فإذا علّق على رأي أو مذهب كان غاية في الإشراق ، وسلاسة البيان والبعد من التكرار ، وكان متبعاً طريقة المتقدمين السابقين من إثارة بحوث وعقد موازنات أدبية بين أبيات وأخرى ، ومفاضلات بين مأثور من القول وآخر ، ثم إظهار ما فيه من الحسن بلباقة وفطنة .

وقد شاع في كتابه ذكر الروايات الأدبية والأحداث والمجالس ، مما يثقف الأديب ، ويقف المتأدب المتصفح على أخبار وملح ونوادر وطرف ، فيجمع إلى درايته بسر الفصاحة فائدة أدبية جمة ، وتوافيه معلومات ناضجة الثمار شهية الأكل ، لم يَكِدَّ لها ذهناً ، ولم يجهد فيها خاطراً ، وإنما واتته سائغة واضحة السبيل معبدة الطريق ، فدل بذلك على غزارة مادة وسعة اطلاع وأما ذوقه الفني فيشهد له كل فصل عقده في كتابه .

ولا بدع أن نذكر للخفاجي هذه النواحي من الجمال في أدبه وأسلوبه ، **فابن سنان** أديب مطبوع ، وشاعر غلب عليه الاشتهار بشعره ، فبالأدب والشعر عرف ، وبالنبوغ فيهما وسم ووصف ، وربما لا نجد أحداً من المؤرخين أو المحققين معنوناً إلا بالخفاجي الشاعر . وهذه هي رواية **الخطيب التبريزي** عنه كما وردت في «**معجم الأدباء**» حيث يقول : **قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر . ويذكره صاحب «فوات الوفيات» بين الأدباء والشعراء ويلقبه بالأديب الشاعر .**

وكان **ابن سنان** إذا عرج على بحث شققه وفصله وبحث كل نوع فيه ، وفلسف فروعه وفصوله .

وتلمح فيه دقة الملاحظة ، وقوة الفطنة ، وتمام اليقظة فيما يمر به . ولسنا مبالغين إذا قلنا إن تلك الدقة في الملاحظة من أهم ما يشرف به المؤلفون ، ومن ألزم ما يحرص عليه العلماء والمحققون .

وكان **الخفاجي** عفاً نزيهاً ، فلم يهج قائلاً أو يعنف ذا رأي ، ولم يكن على طول باعه ورصانة أسلوبه ورجاحة فكره بالمحدِّث عن نفسه ، حتى لتجده يقول في كتابه : «**ولهذا لست أدعي السلامة من الخلل ولا العصمة من الزلل ، وأعترف بالتقصير ، وأسأل من ينظر في كتابي هذا بسط عذري ، والصفح عما لعله يشيره عليّ**» . وهو أمين في نقل الآراء ونسبتها لأصحابها ، فلم نره بحال من الأحوال منتحلاً مذهباً أو مدعياً رأياً وهو لغيره بل تراه في غير موضع يقول : عن (**الحسن الرماني**) ، عن (**قدامة**) ، عن شيخنا (**المعري**) ، عن فلان . وهكذا . وقد لا تجد هذا المظهر متجلياً لأحد تجليه فيه .

وبحسبه أنه كان تلميذاً **لأبي العلاء أحمد بن سليمان المعري** .. ولعل مما يؤيد أن **أبا العلاء** كان شيخه ، وأنه كان يقرأ عليه . أن هذا الكتاب على كثرة ما حوى من النقول المنسوبة إلى أصحابها لا تجد فيها كلمة من **الخفاجي** ينص بها على أنه قرأ على فلان إلا **المعري** ، ولا تراه يطلق كلمة الشيخ إلا على **أبي العلاء** .

وفي كتاب الخفاجي تصريح بأن أبا العلاء كان شيخاً له ، وأنه كان يقرأ عليه فيمن يقرؤون من التلاميذ . وربما كان الخفاجي يرسل كلمة (**الشيخ**) مطلقة غير مقيدة ويريد منها (**أبا العلاء**) ، ظناً منه أنها حين تطلق لا تنصرف إلا إليه ، وحيث ترسل لا يكون المراد بها سواه .

وإذا كان **ابن الأثير والخطيب** قد تأثرا **بابن سنان** ، فقد نهل من ورده كثير **كالسكاكي وابن السبكي والخطيب القزويني** . وكان من الواجب علينا أن نعرض لموازنة بين هؤلاء وبين ابن سنان لنرد إليه ما نقلوه منه وما تفيئوا من ظلاله ، ولكن ذلك يستدعي ردحاً من الزمن ، ويخرج بنا عن غرضنا من التحليل مقروناً بالإيجاز ، وقد يكون لهذه الصورة الناطقة بتأسي العلماء بابن سنان وسيرهم على هداه ما نهتدي به إلى جليل قدره في البلاغة والبيان .

وبعد ؛ فإنه لم يكن التأليف في البلاغة قبل **ابن سنان وعبد القاهر** قد استقل بالبحوث البلاغية ، وتخلص مما يشوبه من بحوث أدبية أو نحوية أو غير ذلك ، ولكن كتاب «**سر الفصاحة**» واضح في منهجه البلاغي الدقيق وإن أضاف إلى ذلك نقولا أدبية وبحوثاً هي إلى الأدب أقرب منها إلى غيره كحديثه عن المفاضلة بين شعر المتقدمين والمحدثين وعن الموازنة بين المنظوم والمنثور ، وعن **الكميت والطرماح بن حكيم** وعدم احتجاجهم بشعرهما ، وعن عيبهم على **جرير والفرزدق** طول مقامهما في الحضر إلى غير ذلك .

وإذا كان **عبد القاهر** مبتكراً في المجاز المرسل ، والمجاز العقلي ، والخبر والإنشاء ، والفصل والوصل ، فإن **ابن سنان** مبتكر في مذهبه اللغوي الذي جعله أساساً من أسس البلاغة والنقد . وفي مزجه بين البلاغة والنقد ، وفي تطبيقاته الكثيرة النقدية على أصول البلاغة .

وبعد ؛ فإن «**سر الفصاحة**» يرفع من شأن المتقدمين وينصف المحدثين ، ويروي شعرهم ، ويستدل به ، ويكثر من الرواية لشعر شيخه أبي العلاء لا يغفله كلما عرضت مناسبة .

إن الاحتكام إلى الذوق في كل مسائل النقد والبلاغة واضح كل الوضوح في الكتاب ، وقلّما يخطئ ذوق ابن سنان حتى في أدق مسائل النقد والبيان . وفيما عرضه في آخر الكتاب من حديث عن القدماء والمحدثين ، ومن أن تفضيل الشعراء إنما يكون بالجودة لا بالتقدم في الزمن ، ما يرشدك إلى ذوق أدبي لماح يعرف الفروق ، ويهتدي إلى الخصائص ، ويضع الحكم في موضعه الصحيح ، ويدعمه ببراهينه القوية .

هذا هو **ابن سنان** ، وهذا كتابه «**سر الفصاحة**» فلتقف عند هذه الغاية من الحديث والدراسة .

الحروف الهجائية

الألف :

أول حروف الهجاء ، وتكون لينة ساكنة كألف قال ورمى ، ويابسة متحركة كألف سأل وبدأ ، وتسمى هذه **همزة** . وتكون الهمزة من **حروف المعاني** ، فتستعمل في **النداء** ، وفي **الاستفهام** ، ويسأل بها عن **الإسناد** . هذا وقد استخدمت الألف للدلالة على رقم واحد قديماً ، وفي بعض المجالات حديثاً .

الباء :

الحرف الثاني في **حروف الهجاء العربية** ، ولذلك استخدم موضع الرقم (٢) ، ويستعمل **حرف جر** في ١٤ معنى عند **النحاة** ، فيجر الاسم بعده ، ويكون من حروف المعاني ، ومن معانيه **الاستعانة** مثل : كتبت بالقلم ، **والسببية** مثل : أخذ بذنبه ، **والظرفية** «لقد نصركم الله ببدر» **والقسم** مثل : أقسم بالله .

التاء :

الحرف الثالث من حروف الهجاء ، وهو **حرف مهموس** ، ومخرجه طرف اللسان مع اللثة ، ويدل على **التأنيث** مثل : كاتب وكاتبة ، وكتب وكتبت ، ومع الفعل تكتب تاءً ، ومع الاسم تكتب مربوطة . وهي تدل على **المبالغة في الوصف** مثل : علامة ، وفهامة ، ويفرق بها بين المفرد والجمع مثل شجرة وشجر .

الثاء :

الحرف الرابع من حروف الهجاء ، وهو **حرف مهموس** ، ومخرجه من طرف اللسان مع الثنايا العليا ، ومن العرب من يقلب التاء نفسها ثاء ويدغم التاءين ، واستغنت بعض العاميات عن الثاء فأبدلت تاءً .

الجيم :

الحرف الخامس من الألفباء ، **واختلفت القبائل واللهجات في النطق به** ، بين جيم معطشة ، وكاف فارسية ، ودال وزاي ، وأبدلته قبائل من الياء . وهو **حرف مجهور** ، ومخرجه من أقصى اللسان مع مفرج الفم .

الحاء :

الحرف السادس من حروف الهجاء ، وهو **حرف مهموس** ، ومخرجه من الحلق بين العين والخاء ، وتتميز به **اللغات السامية** ، ولذلك استبدلته الأمم التي اتصلت بالعرب **كالترك والفرس** بهاء ، وورد في أرجاز قديمة مبدلا عن الخاء .

الخاء :

الحرف السابع من الألفباء ، وهو **من الحروف التي تميز اللغات السامية** ، وهو كذلك من **الحروف المهموسة** ، ومخرجه أدنى الحلق إلى الفم قبل الغين .

الدال :

الحرف الثامن من حروف الهجاء ، ومخرجه من طرف اللسان ،

وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك ، وهو **من الحروف المجهورة الشديدة** ، وتبدل باطراد من تاء الافتعال وفروعه ، إذا كانت الفاء زاياً كازداد ، وازدجر ، أو ذالا معجمة كادكر .

ذ

الذال :

هو الحرف التاسع من حروف الهجاء ، ومخرجه من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، وهو **من الحروف المهجورة واللثوية** ، ويبدل دالا لإدغامه في دال مجاورة ، وأبدل من الثاء في كلمات ، وينطق اليوم دالا في العاميات .

ر

الراء :

الحرف العاشر من حروف الهجاء ، ويتبادل مع اللام المواضع ، ولا يدغم فيما قاربه ، ويدغم فيه ما قاربه ، ومخرجه من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً ، وهو **من الحروف الذلقية** .

ز

الزاي :

هو الحرف الحادي عشر من حروف الهجاء ، ومخرجه من بين طرف اللسان فوق الثنايا العليا ، وهو **من الحروف الأسلية** ، ويبدل من السين والصاد الساكنتين الواقعتين قبل دال ، وأبدلته **الفارسية والتركية** من الضاد ، والعاميات من الذال والظاء .

س

السين :

الحرف الثاني عشر من الألفباء ، ويبدل من الشين في كلمات ، ويبدل منه التاء في كلمات أخرى ، ومخرجه بين طرف اللسان فوق الثنايا العليا ، وهو **حرف مهموس** (يذكر ويؤنث) ، يدخل على الفعل المضارع فيخلصه للاستقبال ، وذكر **البصريون** أنه يفيد الاستقبال القريب .

ش

الشين :

الحرف الثالث عشر من الألفباء ، ويبدل السين والجيم في كلمات ، ويبدل قليلاً إذا وقع ساكناً قبل دال أو زاي ، ويدغم فيه ما قاربه ، ولا يدغم في شيء . وهو **من الحروف المهموسة** ، ومخرجه من وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك ، وهو **من الحروف الشجرية** .

ص

الصاد :

هي الحرف الرابع عشر من حروف الهجاء ، ومخرجه من طرف اللسان مع اللثة العليا ، وهو **مهموس مستعل** ، وهذا الاستعلاء هو الذي يفرق بينه وبين السين .

ض

الضاد :

الحرف الخامس عشر من الألفباء ، ويتبادل هو والظاء مكانيهما ، ويدغم فيه ما قاربه ، ولا يدغم هو في شيء ، **وعده العرب حرفاً خاصاً بهم معدوماً في اللغات الأخرى** ، فسموا العربية «**لغة الضاد**» جاء ذلك في **الحديث الشريف** ، وفي شعر **المتنبي** وغيره من الشعراء .

ط

الطاء :

الحرف السادس عشر من الألفباء ، وهو **من الحروف المهجورة** ، وهو في حيز واحد مع التاء والدال ، ومخرجه من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك . ويبدل من تاء الافتعال وفروعه ، ومن تاء الضمير الواقع إثر حرف من حروف الإطباق ، ومن الدال .

ظ

الظاء :

الحرف السابع عشر من الألفباء ، ويبدل من الذال في كلمات ، ويتبادل هو والضاد موضعيهما قديماً وحديثاً ، وهو **حرف عربي خص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من الأمم** .

ع

العين :

الحرف الثامن عشر من الألفباء ، **وسمي عيناً لأنه كان قديماً يكتب كالعين** ، ويبدله **بنو تميم** من الهمزة ، وتسمى لهجتهم «**العنعنة**» ويبدل من الحاء كثيراً ، وتبدل منه الهمزة ، ويعده العرب أنصع الحروف جرساً وألذها سمعاً ، وقد سمي به أول كتاب لغوي وهو

كتاب «العين» للخليل بن أحمد .

الغين :

الحرف التاسع عشر من الألفباء ، أبدل من العين كثيراً ، ومن الخاء في كلمات ، وتقلبه بعض العامة عيناً ، **وهو صوت رخو مجهور** ، مخرجه أدنى الحلق إلى الفم قرب اللهاة ، وهو والخاء في حيز واحد ، لكن الخاء مهموسة .

الفاء :

الحرف العشرون من الألفباء ، ويبدل من الثاء نادراً ، ومخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، **والفاء حرف مهمل لا عمل له** ، وقد استخدمت الفاء للدلالة على العدد ٨٠ ، واتخذها العرب بديلاً من حرف P **في الكلمات الأجنبية** .

القاف :

الحرف الحادي والعشرون من الألفباء ، اختلفت **القبائل** قديماً **والعامة** حديثاً في النطق به ، بين قاف محققة ، وكاف ، وهمزة ، ومخرجه مما يلي الحلق من اللهاة .

الكاف :

هي الحرف الثاني والعشرون من حروف الهجاء ، وهو **صوت شديد مهموس** ، مخرجه بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم ، وأبدل من القاف وتاء الضمير في **لهجات** ، واستعمل جاراً وغير جار .

اللام :

الحرف الثالث والعشرون من حروف الهجاء ، ويبدل من النون والضاد قليلاً ، ومخرجه من طرف اللسان ملتقياً بأصول الثنايا والرباعيات ، قريباً من مخرج النون .

الميم :

الحرف الرابع والعشرون من حروف الهجاء ، ويأتي **مضموماً** أداة قسم مختصة بلفظ «الله» **ومفتوحاً** اسم استفهام بعد حروف الجر ، **وساكناً** ومضموناً للدلالة على جمع الذكور «ذلكم» عند نحاة العرب ، أو التعريف عند علماء الساميات . وهو **لفظ مبهم** ، تلحق به الألف ، فيأتي **للاستفهام ، والصلة ، والجزاء ، والتعجب ، والمصدرية ، والتنكير** .

النون :

الحرف الخامس والعشرون من حروف الهجاء ، وهو **حرف مجهور** ، مخرجه من طرف اللسان مع اللثة العليا ، وامتداد النفس من الأنف ، **والنون المفردة على أربعة أوجه** ، نون التوكيد ، ونون الإناث ، ونون الوقاية ، والنون الزائدة .

الهاء :

الحرف السادس والعشرون من حروف الهجاء ، وهو **من الحروف الحلقية** ، مخرجه من أقصى الحلق ، تلي الهمزة فيه ، وقيل هما على مرتبة واحدة منه ، **والهاء صوت ملموس رخو** ، أي يسمع له نوع من الخفيف ، عند النطق به . **وأصل معناه التنبيه** ، ولذلك **ورد في الضمائر وأسماء الإشارة** .

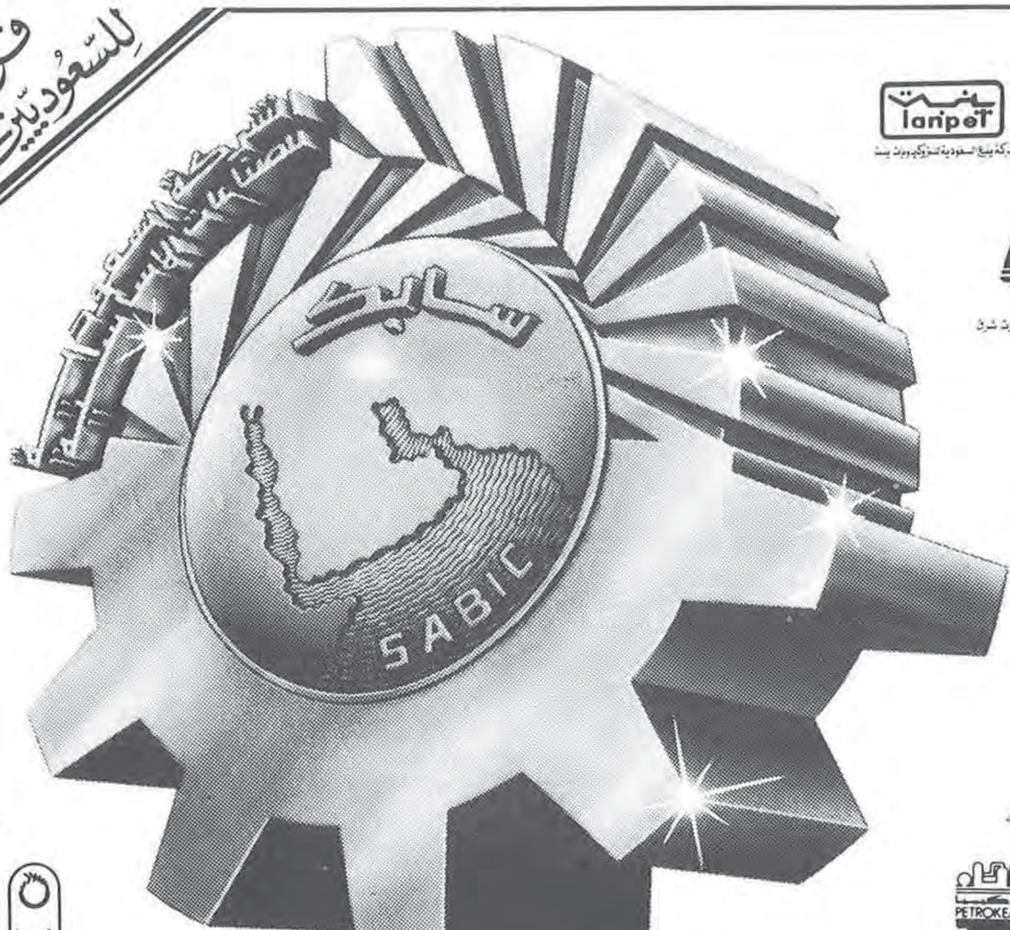
الواو :

الحرف السابع والعشرون من حروف الهجاء ، مخرجه إذا كان مداً أقصى الفم فيكون بصعود أقصى اللسان نحو أقصى الحنك مع استدارة الشفتين ، كما في : محمود . وإذا كان غير مد ، فمخرجه الشفتان مع استدارتهما بحيث تسمحان بتسرب النفس ، نحو : أوصال . **والواو ممدودة وغير ممدودة تعد من المجهورات . وتعد الواو غير الممدودة من الحروف الرخوة** .

الياء :

الحرف الثامن والعشرون من حروف الهجاء ، ومخرجه هواء الفم أو الجوف ، إذا كانت مداً كما في كريم ، وإذا كانت غير مد فمخرجه وسط اللسان ، وهو **من الحروف الشجرية لخروجه من الشجر ، وهو من الحروف المجهورة الرخوة** ، وتكون **الياء أصلية** كما في اليمين واليسار ، **وزائدة** كما في الكبير والصغير ، **وبدلا كقولهم الأراني في الأرانب** .

فرص تدريبية
للسعوديين في الداخل والخارج



شركة ينبع السعودية للبتروكيماويات ينبت
الشركة الشرقية للبتروكيماويات شرق
الشركة السعودية للبتروكيماويات صدف
شركة الجبيل للأسمدة سماد
الشركة الوطنية للميثانول ابن سينا
الشركة العربية للبتروكيماويات بتروكيميا
الشركة السعودية للميثانول الرازي
شركة درفلة الصلب بجدة صلب
الشركة السعودية للحديد والصلب حديد
شركة الجبيل للبتروكيماويات كيميا

سابك
الفرصة الذهبية للشباب السعودي

فرص تدريبية بالتعاون مع المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني

نظرا للاقبال المشجع من قبل الشباب السعودي في البرامج التدريبية التي نظمتها «سابك» والذي نتج عنه مضاعفة البرامج لإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن فإنه يسرها أن تبدأ في تنظيم البرنامج التدريبي الجديد للشباب السعودي الطموح من حملة الكفاءة المتوسطة والذين تتراوح أعمارهم من ١٦-٢٢ سنة ويفضل حديث التخرج وذلك في داخل المملكة وخارجها ومن ثم العمل في إحدى الشركات والمصانع التابعة لسابك في كل من الجبيل أو ينبع، هذا وسيتمتع الملتحق بتلك البرامج بمزايا عديدة أثناء وبعد التدريب

هذا وستجرى المقابلات الشخصية للمتقدمين إبتداء من يوم السبت ١١ شوال ١٤٠٢هـ الموافق ٣١ يوليو ١٩٨٢م وذلك في الجهات التالية :

١. الشركة السعودية للصناعات الأساسية . سابك بالرياض . شمال شرق مستشفى الملك عبد العزيز الجامعي . المبنى السابق ص. ب ٥١٠١ . ت ٤٧٦٩٩٥٤
٢. الشركة السعودية للصناعات الأساسية . سابك . فرع الدمام . ت : ٢٨٣٢٤٢٦١ ، ٢٨٣٢٤٠٢٢ . مبنى الشركة السعودية العقارية بشارع الملك أمام محطة السكك الحديدية .
٣. سكن متدربي . سابك . بجدة . شارع الستين خلف أسواق العريفي المركزية ت : ٦٧١٩٧٨٣
٤. مقر المدارس الثانوية المهنية في كل من أبها ، الطائف ، المدينة ، عنيزة . مع العلم بأن البرامج التدريبية سوف تبدأ في ١٦ ذو الحجة ١٤٠٢هـ الموافق ٤ أكتوبر ١٩٨٢م

فعلى الراغبين في الالتحاق بتلك البرامج التدريبية التقدم إلى إحدى الجهات المذكورة آنفاً مصطحباً معه ملف يحتوي على التالي : ثلاث صور من كل من : الشهادة العلمية وشهادة حسن سيرة وسلوك وحفيظة النفوس أو شهادة الميلاد وثلاث صور شمسية .

فأيها الشاب السعودي لا تدع هذه الفرصة الثمينة تفوتك

والله الموفق ...

صرح الصناعة الوطنية سابك
الشركة السعودية للصناعات الأساسية

مع تحيات إدارة القوى العاملة والتدريب . سابك .

مناقشات

وتعليقات

المدرسة .. في الإسلام

أصل بناء المدارس

لما كان أول أمر من الله تعالى لرسوله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾[1] وكانت الرسالة الإسلامية تقوم على كتاب، فقد اهتم المسلمون بتعلمه، وكانت حلقات الدرس تعقد في المسجد الذي بناه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه بالمدينة، وعقدت حلقات الدرس في القرون الأولى من الإسلام في المساجد الجامعة، وظلت كذلك فترة طويلة حتى إذا ما اتسعت دائرة المعرفة، وتشعبت مواد الدراسة، خصص الأساتذة في منازلهم قاعات يلتقون فيها بطلابهم، يحاضرونهم ويناقشونهم. ولما كثر عدد الطلاب وضاقت بهم القاعات الخاصة في منازل الأساتذة، أنشئت أماكن مستقلة للدراسة هي «المدارس».

وقد اختلفت الروايات في **أول من بنى المدارس** فقال **الزركشي**[2]:

«أول من بنى المدارس في الإسلام **الوزير قوام الدين نظام الملك الطوس الحسن بن علي** (المتوفى سنة ٤٨٥ هـ)، **وكان وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي**، بنى **المدرسة النظامية ببغداد**، شرع فيها في سنة سبعة وخمسين وأربعمائة وتجزت سنة تسع وخمسين، وجمع الناس على طبقاتهم فيها يوم السبت عاشر ذي القعدة، وبنى أيضاً **مدرسة بنيسابور تسمى «النظامية»** فاقتدى به الناس في بناء المدارس».

أنكر **الحافظ شمس الدين الذهبي** في تاريخ[3] الإسلام على من زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس، وقال: «قد كانت **المدرسة البيهقية بنيسابور** قبل أن يولد نظام الملك، **والمدرسة السعيدية بنيسابور** أيضاً بناها **الأمير نصر بن سبكتكين** أخو السلطان محمود لما كان «والياً» بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها **أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنى الاستراباذي**، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً، بنيت للأستاذ أبي إسحق الشيرازي.

وروى المقريزي[4] رواية مشهورة عن نشأة المدارس جاء بها:

«والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت المدرسة البيهقية، وبنى بها أيضاً الأمير «نصر الدين بن سبكتكين» مدرسة، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة»[5].

وظائف المدرسة

يبدو من اسم المدرسة أن وظيفتها الرئيسية كانت التدريس، لأن المدرس لغة، هو «الموضوع الذي يدرس فيه»، كان يظن أن إنشاء المدارس قام لعاملين:

● **العامل الأول**: تدريس علوم الحديث، والشريعة، والفقه، والتفسير، من وجهة نظر المذاهب السنية الأربعة وهي المذهب المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي. وكانت تدرس فيها أحياناً علوم أخرى مثل الطب والكيمياء وغيرها.

● **العامل الثاني**: العامل السياسي كان الأيوبيون في حاجة ملحة إلى مقاومة نفوذ المذهب الشيعي وإلى القضاء على بقاياه وعلى أنصاره بعد قضائهم على الخلافة الفاطمية الشيعية فقاموا بإنشاء مدارس لإعداد دعاة لهم.

ولكن يعارض هذا الرأي أن دروس العلم كانت قائمة ومنتشرة في المساجد الجامعة الكبيرة مثل جامع «عمرو بن العاص» وجامع «الحاكم» وجامع «ابن طولون»[6]. **والدكتور أحمد فكري** يرى أن بناء المدارس كان لتحقيق أهداف أخرى غير التدريس هي: إعداد مكان ملحق بموضوع التدريس «وهو المسجد الجامع» لسكن طبقة مختارة من المدرّسين والطلاب، أو لسكن الشيوخ والفقهاء ويستدل على ذلك بعدة نصوص تاريخية منها ما جاء في كتاب[7] الحوادث الجامعة **لابن القوطي** المتوفي سنة ٧٨٣ هـ، ١٣٢٣ م، عن **المدرسة المستنصرية** في تاريخ افتتاحها في يوم ٥ رجب من سنة ٦٣١ هـ، «٦ أبريل (نيسان) سنة ١٢٣٤ م» «أن الخليفة المستنصر بالله جعلها أصلاً للمذاهب الأربعة، وألحق بها داراً للحديث، وأنه تخير لكل مذهب من المذاهب الأربعة «اثنين وستين نفساً» ورتب لها مدرسين، لكل مذهب مدرّس، وكان لكل مدرّس نائب، وكان لهم معيدون. لكل مذهب أربعة. وكان لكل مدرّس «**سدة**»[8]) يذكر دروسه من عليها، وكان النائب يجلس تحت السدة.

ويمضي صاحب الحوادث الجامعة في روايته فيقول:

وقسمت أرباع: فسلم ربع القبلة الأيمن إلى **الشافعية**، فالربع الثاني يسرة القبلة **للحنيفية**، والربع الثالث يمين الداخل **للحنابلة**، والربع الرابع يسرة الداخل **للمالكية**، وأسكنت بيوتها وأجرى لهم الجراية الوافرة.

ومما يؤكد هذا الرأي الذي نستخرجه من النصوص التاريخية، وهو أن المدرسة أنشئت أصلاً لتضم بيوتاً لسكن الفقهاء، نصوص أثرية أخرى أقدمها عهداً «فيما نعرف» نص مسجل حول باب **المدرسة الظاهرية** في حلب، وهي المعروفة **بالمدرسة السلطانية** والتي فرغ من بنائها في سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٤ م. وفيه يقر منشؤها أنه بناها لتكون مقراً للمشتركين بعلوم الشريعة من الطائفتين الشافعية والحنفية والمجتهدين في الاشتغال... وأنه رتب لها مدرساً، وإماماً للصلاة في مسجدها، ومؤذناً ومقرئاً للقرآن الكريم[9].

وفي هذا النص تتوافر الشروط الثلاثة لوظيفة المدرسة وهي:

- **أولاً** : إقامة مسجد جامع .
- **ثانياً** : تعيين مدرّس براتب معلوم .
- **ثالثاً** : تزويد البناء ببيوت للطلاب .

وقد عرف الدكتور[١٠] **أحمد فكري** بناء على هذه الأدلة التاريخية والوظائف « المدرسة في الإسلام بأنها هي المسجد الجامع ، الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكن فريق مختار من الفقهاء ، أو الطلاب ، ورتب لتدريسهم فيه مدرّسون بأجر معلوم[١١] ووفرت للجميع فيه سبل البحث والدراسة والمعيشة ، وأجريت عليهم الجرايات » الوافرة الدارية » .

التدريس في المدارس

كان الطلاب يلتحقون بالمدارس بعد أن يكونوا قد حضروا حلقات دراسية في المساجد ، وهكذا كانت المدرسة معهداً للتعليم العالي ، وكانت الدراسة في المدارس فيها التعليم الديني مثل دراسة القرآن الكريم والشريعة وكذلك دراسة اللغة العربية والأدب والشعر والحساب والموضوعات الأخرى مثل الرياضيات والطب والصيدلة والهندسة التي كانت تدرّس بالمستنصرية والأزهر .

ولقد تحدث **المؤرخ** « **ستانلي لين بول** »[١٢] عن أثر المدارس في نشر العلم فتحدث عن التعليم في **الأزهر** فقال : كانت الثقافة الأزهرية مثالاً طيباً للتعليم الحر الذي يفتح أبوابه للفقراء دون تمييز في الجنس أو اللغة أو الطبقة ، وليس من السهل أن ينسى المرء منظر الطلاب وقد التفوا حول أستاذهم وأخذوا ينصتون إليه كأن على رؤوسهم الطير ، أو منظرهم وهم يمشون مقبلين مدبرين يستظهرون ما تعلموه من أستاذهم ، والواقع أن هؤلاء يمثلون في أذهاننا ما كانت عليه الثقافة العربية في العصور الوسطى حيث الرغبة الصادقة في العلم التي لا تتحمس في طلبه بقصد الحصول على الجوائز ، أو اجتياز الامتحانات ، وذلك ما تفتقر إليه الجامعات الغربية .

وتراوحت مدة الدراسة في هذه المدارس ما بين « ٤ ـ ٦ » سنوات ، وقد اهتم الحكام بهذه المدارس فكان الاعتناء الشديد باختيار المدرسين من كبار الفقهاء ، فكان **أول**[١٣] **من جلس للتدريس في المدرسة النظامية الشيخ الرباني** « **أبو إسحق**[١٤] **الشيرازي** » ، أما الأزهر فكان أول من جلس للتدريس فيه **الوزير ابن كلس**[١٥] وقرأ على الناس[١٦] رسالة ألفها في الفقه الشيعي على **المذهب الإسماعيلي** تسمى **الرسالة الوزيرية** ، وكان الطلاب والمدرسون يتلقون مكافآت تسمى « **معاليم** » ويقول المقريزي[١٧] : « إن أول ما عرف بإقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة **العزيز بالله بن نزار بن المعز** ، **ووزارة يعقوب ابن كلس** » .

أما الزركشي فيذكر أن **القاضي تاج الدين السبكي** قال في طبقاته[١٨] الكبرى : « وقد أدرت فكري وغلب على ظني أن نظام الملك أول من قرر المعاليم للطلبة فإنه لم يتضح لي هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أو لا ؟ والأظهر إنهم لم يكن لهم معلوم » .

وعلّق المؤرخ ستانلي لين بول[١٩] على التدريس في الأزهر وعلى المكافآت التي تعطى للطلبة فقال : « وفي عام ٩٨٨م ، أصبح العلماء يؤمون الجامع الأزهر من كل حدب وصوب ومنذ ذلك الوقت صار ذلك الجامع من أهم الجامعات الإسلامية كافة يجتمع فيه عدد وفير من الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، من **ساحل الذهب** في ولايات **الملايو** ، ولكل شعب رواق خاص به ويتلقى هؤلاء الطلاب على أيدي الشيوخ دروساً في مختلف فروع الثقافة العربية مثل القرآن ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والقواعد ، وعلم العروض ، والمنطق ، والبلاغة ، والجبر ، وما إلى ذلك ، ويتعلم هؤلاء الطلبة بالمجان ولم يبخل أهل العلم والأدب في **القاهرة** بعلمهم وثقافتهم على طلابهم ، وكان الطلاب الأجانب لا يتلقون العلم بلا مقابل فحسب ، بل كانوا يعطون قدراً من الطعام ينفق عليهم من بيت المال الموقوف .

تصميم المدرسة

تصميم المدرسة[٢٠] بدأ بسيطاً فكانت المدارس الأولى تتكون من إيوان واحد ، وتقصر نفسها على تدريس مذهب واحد ، ثم أخذت تتدرج في النمو فظهرت المدارس التي بها إيوانات وضعا على ضلعين متقابلين بينهما صحن مكشوف ، والإيوان عبارة عن قاعة لها ثلاثة جدران ، إثنان يحفان بها من الجانبين والجدار الثالث في صدرها ، أما الجدار الرابع فيفتح بكامل عرضه على الصحن ويشغل الصحن والإيوانات الجزء الأوسط من المسقط ، وتوضع في الأركان والأجزاء الباقية المحصورة بين الإيوانات والجدران الخارجية حجرات وحواصل أي مخازن ، وخلوات لتصبح المدرسة مقراً للأساتذة والطلاب ، تلقى في إيواناتها الدروس ، وتتخذ الحجرات سكناً دائماً طوال مدة الدراسة . إلا أن ذلك النظام قد تطور في **العصر المملوكي** مرة أخرى إلى صحن وأربعة إيوانات في أضلاعه الأربعة . وجدير بالذكر أن المستشرقين والأثريين الأجانب قد جروا على إطلاق تعبير « التخطيط الصليبي » « Cruciform Plan » على ذلك التصميم ذي الإيوانات الأربعة وهم في ذلك عدة نظريات .

- **النظرية الأولى** : نظرية[٢١] « فان برشم » النظام الصليبي البيزنطي السوري وهو يقول فيها أن نظام المدرسة ذا الإيوانات الأربعة اشتق من الكنائس البيزنطية ذات الشكل الصليبي في سوريا . وقد فند **الأستاذ** (**جبريل**)[٢٢] هذه النظرية في سنة ١٩٢١م ، وأوضح خطأها ، وأكد أنه ليس ما يبرر الادعاء باشتقاق نظم المدارس من نظم الكنائس البيزنطية أو السورية ، إذ أن العوامل المعمارية مختلفة في كل من النظامين . وتخطيط

مناقشات و تعليقات

المدارس مستمد من ضرورة وجود بهو مكشوف يتوسطها ، أما تخطيط الكنائس على نظام الصليب الإغريقي ، أي المتساوي الأطراف ، فقد فرضته مقتضيات معمارية ، إذ أنه حل عملي لمشكلة بناء قبة تتوسط البناء ، وتتطلب سنداً من كل جانب يتحمل قوة الضغط المندفع فيها . أي أن البناء البيزنطي قد ابتكر الشكل الصليبي لكنيسته استجابة لضرورة معمارية ، وهذه الضرورة المعمارية منعدمة بالنسبة للمدارس ، فوسطها مكشوف لا مسقوف ، ويقول (**كريسويل**)[٢٣] إن الكنيسة البيزنطية الصليبية النظام لم تكن معروفة في سورية ، وإنما كان نظامها شائعاً في آسيا الصغرى والقسطنطينية وكانت دائماً تغطيها قبة ، وكان قيام هذا النظام الصليبي ضرورة لبناء القباب في حين أن النظام الصليبي (للمدارس) لم يكن له شأن ببناء القباب . وكذلك لم يكن هذا النظام حتمياً للمذاهب الأربعة ، ولم تكن المدارس (ذات النظام الصليبي) معروفة في سورية في ذلك الوقت .

● **النظرية الثانية** : نظرية «كريسويل» القاعة والدرقاعة المصرية .

ادعى (**كريسويل**) أن نظام المدرسة اشتق أصلاً من نظام المساكن التي كان بها قاعة ، إذ أن «القاعة» عبارة عن إيوانين متقابلين بينهما صحن مسقوف بسقف مفتوحة ، وهو المسمى «**درقاعات**» واستند في ذلك إلى أن كثيراً من الدور قد حولت إلى مدارس مثل **القمحية والسيوفية** ، ثم ضوعف نظام الإيوانين فأصبح أربعة إيوانات في مدرستين متلاصقتين كما هو الحال في **المدرسة الصالحية** ، ثم تمت المرحلة الثالثة لتطور نظام المدرسة باندماج الإيوانات الأربعة في بناء واحد تقابلها وتعامدها على النظام الصليبي وتم هذا التحويل في رأي (كريسويل) أو تحقق في المدرسة الظاهرية .

ونظرية «كريسويل» هذه نظرية افتراضية لا تستند على أساس تاريخي أو أثري أو معماري .

● **النظرية الثالثة** : النظرية الفارسية والساسانية :

أخذ «**ريشموند**» بنظرية كريسويل ولكنه أضاف إليها أن نظام المساكن المصرية كان مقتبساً من أنظمة **القصور الساسانية** التي كانت شائعة في **العصر العباسي الأول** وافترض «**هرتزفلد**» **أن الوزير نظام الملك استخدم بناة من الفرس لبناء مدارسه ، وأن هؤلاء البناة استطاعوا أن يوفقوا بين الأساليب المعمارية التي كانت شائعة في المساكن الفارسية وبين مقتضيات المدارس وهكذا استورد «هرتزفلد» النظام من إيران .**

وقد ثبت خطأ هذه النظريات إذ أن المدرسة ذات الإيوانات الأربعة استمدت شكلها من تخطيط المسجد الجامع ذي الصحن والظلات الأربعة ، كما استمدت شكلها من نظامها إذ أن كل إيوان كان مخصصاً لتدريس مذهب من المذاهب الأربعة المعروفة ولم يكن لنظام الكنائس أو لأي نظام فارسي دخل فيها ، وكل ما يقال في ذلك هو نظريات لا تدخل في حيز الحقيقة بل كان العامل الديني هو السبب في ابتكار التخطيط ذي الإيوانات الأربعة وانتشاره .

هانئ محمد محمد مهدلي
طنطا ـ مصر

الهوامش

(١) سورة العلق ، الآية ١ .

(٢) الزركشي : محمد بن بهادر المعروف ببدر الدين الزركشي ، أحد فقهاء الشافعية وأعيانهم ، ولد سنة ٧٤٥م ، وتوفي سنة ٧٩٤هـ .

(٣) ص ٣١ ، من كتاب «أعلام الساجد بأحكام المساجد» .

(٤) المقريزي : الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، المعروف بالمقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ ـ ١٤٤٢م .

(٥) ص ٣٦٢ ، من الجزء الثاني من كتاب «الخطط والآثار» .

(٦) مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني «العصر الأيوبي» .

(٧) ص ٥٥ ـ ٥٨ ، من «الحوادث الجامعة» المنسوب لابن الفوطي كمال الدين أبو الفضل الشيباني ، المتوفي سنة ٧٢٣هـ ـ ١٣٢٣م .

(٨) السدة : لغة معناها «الباب» ، أو ما بين يدي الباب ، أما المقصود بها في هذه الرواية «الكرسي» .

(٩) أنشأ هذه المدرسة شهاب الدين أبو سعيد طغرل الذي كان أتابكاً للملك العزيز بن الملك الظاهر غازي ، وجعل هذا الملك ضريحاً فيها ، وقد نشر النص كاملاً في صفحة ٢٠٠ ، ٢٠١ من الجزء العاشر من «مرجع الكتابات العربية» لجامعة كومب وآخرين .

(١٠) مساجد القاهرة ، الجزء الثاني ، ص ١٩٢ .

(١١) المعاليم : جمع معلوم ، وهو المرتب ، والوظيفة لما تعين في كل يوم من العطية ونحوها .

(١٢) سيرة القاهرة ، ص ١٢١ ، تأليف «ستانلي لين بول» ، ترجمة الدكتور «محمد إبراهيم» وآخرين .

(١٣) أعلام الساجد ، ص ٣٢ .

(١٤) هو أبو إسحاق جمال الدين إبراهيم بن علي الشيرازي الفيروزأبادي من فقهاء الشافعية المتوفي سنة ٤٧٦هـ .

(١٥) يعقوب بن كلس تولى الوزارة في عهد العزيز بالله الفاطمي توفي سنة ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م ، وهو الذي أشار على العزيز بالله لتحويل الجامع الأزهر إلى مدرسة سنة ٣٧٨هـ .

(١٦) جمال سرور ، الدولة الفاطمية ، ص ١٧٤ .

(١٧) ص ٣٦٣ ، من الجزء الثاني من «الخطط والآثار» .

(١٨) الطبقات الكبرى ، الجزء الثالث ، ص ١٣٧ .

(١٩) لين بول : سيرة القاهرة ، ص ١٢١ .

(٢٠) العمارة العربية في مصر الإسلامية ، للدكتور فريد شافعي ، ص ٢٤٨ ، (الجزء الأول) .

(٢١) من ص ٢٥٤ ، إلى ص ٢٦٩ ، من الجزء الأول من «موسوعة النقوش العربية» الخاصة بمصر .

(٢٢) في صفحة ٣٣ ، ٣٤ من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ، تعريب علي بهجت .

(٢٣) صفحات ١٠٤ إلى ١٣٣ من الجزء الثاني من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر» .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

• أجوبة مسابقة العدد (٥٩) •

ج ١ من الأمثال العربية قولهم « **فتى ، ولا كمالك** » والفتى هو مالك بن نويرة بن حمزة من بني مضر بن نزار ، ويضرب المثل في التسليم بفضل الواحد وتفضيل الآخر عليه .

ج ٢ اليوم الوطني لكل من الدول العربية التالية :

المملكة العربية السعودية	الأول من الميزان الموافق ٢٣ « سبتمبر » أيلول .
الكويت	٢٥ « فبراير » شباط .
البحرين	١٦ « ديسمبر » كانون أول .
الأردن	٢٥ « مايو » أيار .

ج ٣ فاتح القسطنطينية محمد الفاتح الثاني بن مراد في ٢٠/٥/٨٥٧هـ ، الموافق ٢٩/٥/١٤٥٣م ، الذي ولد في ٢٠/٤/١٤٢٩م ، الموافق ٢٦/٧/٨٣٣هـ تقريباً .. وتوفي في ٥/٣/٨٨٦هـ ، الموافق ٣/٥/١٤٨١م .

ج ٤ اليهود هم الذين قتلوا الكونت برنادوت وكان ذلك في مدينة القدس في ١٦/٩/١٩٤٨م .

ج ٥ من الجواهر الكريمة :

الماس ، الياقوت ، الزمرد ، الفيروز ، الزبرجد .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٦٦)

الاسم : ---------------------------

المهنة : ---------------------------

العنوان : ---------------------------

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

متى تم تأسيس « الكومنولث » البريطاني ، وما الدول التي يتكون منها . . وأهداف الكومنولث . . وذلك في سطور قليلة ؟

السؤال الثاني :

متى بدأت بطولة كأس العالم . . وأين أقيمت . . مع ذكر اسم الدولة الفائزة في أول مباراة لهذه البطولة ؟

السؤال الثالث :

متى ظهرت أول محطة تليفزيون . . وأين كان ظهورها ؟

السؤال الرابع :

كيف نشأ تقليد اطلاق المدافع احتفاء بقدوم ضيف هام يقوم بزيارة إلى بلد آخر ؟

السؤال الخامس :

في إحدى الولايات الأميركية أنشئت أول مدينة للأطفال . . اذكر اسم هذه المدينة . . واسم الولاية . . ومتى كان ذلك ؟

● نتائج مسابقة العدد (٥٩) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ **فايز صالح الخطيب** ، تبوك ، مدرسة المغيرة بن شعبة .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **عبد المنعم أحمد بيومي ، المغرب ، الرباط ، شارع بني الودان ، بلاسي بورقون ، عمارة رقم 3** طبقة 2 شقة 9 أكدال .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **فاضل بن نصر** ، 15 نهج الأمل سيدي أبي سعيد 2026 تونس .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من سورية ــ دمشق ، الأخت نجاح أحمد حسين .

● من لبنان ــ بيروت ، ساحة المريجة ، مؤسسة غصيبة ، ملك يوسف السباعي ، الأخ غسان سامي حمود .

● من الأردن ــ عمان ، ص . ب (٩٠٩) ، الأخ حسين سلامة عبيدات .

● من الجزائر العاصمة ، ص . ب (6) حي البدر ، القبة ، الأخ دغموم شريف .

● من تونس ، صفاقس ، قباضة القمارق ، الأخ محمد الأسعد بن محمود المصمودي بواسطة السيد محمود المصمودي .

● من الظهران ، مطار الظهران الدولي ، ص . ب (١٤٤) ، الأخ محمد عبد الوهاب العقيل .

● من المغرب ــ الدار البيضاء ، مستشفى ابن رشد ، الدكتور سعد السلمتي .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من مصر ، طريق الساحة الشعبية بجوار معرض أفراح ، منيا القمح شرقية ، الأخ نبيل شاكر سالم .

● من السودان ، ص . ب (٩٤) المهدية الثورة ، الأخ مصطفى كامل يوسف لطيف .

● من سورية ــ سوق الحميدية ، جوار مسجد أبو هريرة ، الأخ محمد راغب الصلاحي .

● من الأردن ــ عمان ، الأخت ميسون عبد الهادي .

● من الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي ، ص . ب (٨٤) الأخ مروان أحمد بشار بركات .

● من الكويت ــ الفروانية ، الأخت حمدة سليم إسماعيل .

● من الرياض ، البريد المركزي قسم التوزيع ، الأخ بخيت حماد الدوسري .

● من مصر ــ محافظة الشرقية ، كفرمحسن ، الإبراهيمية ، الأخ محمد السيد عبد الحميد .

● من السودان ــ الخرطوم ، مصلحة الاقتصاد الزراعي ، ص ب ب (١٢٤٦) ، الأخ عبد القادر علي النعيم .

● من موريتانيا ــ المدرسة الوطنية للإدارة ص . ب (252) إنواكشوط ، الأخ محمد بن محمد لقمان .

كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

الأمير مصطفى الشهابي (١٨٩٣ ـ ١٩٦٨ م)

تناول فيه كاتبه **عدنان الخطيب** نبذة عن حياة ومنزلة **الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق سابقاً** مع ثبت بمؤلفاته ودراساته وبحوثه وذلك خلال فترة حياته ١٨٩٣ ـ ١٩٦٨ م . يقع الكتاب في (٥٣) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **مجمع اللغة العربية بدمشق** .

مؤتمر الدورة الثانية والأربعين

كتاب شمل **جلسات وأبحاث الدورة الثانية والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة** وذلك خلال الفترة من ٢٣ صفر سنة ١٣٩٦ هـ، إلى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ، صدر عن **المجمع**، ويقع في (٣٨٥) صفحة من القطع الكبير.

في الأندلس

يتناول **عرضاً ودراسة** لوثائق **أحكام القضاء الجنائي في الأندلس** مستخرجة من مخطوط **(الأحكام الكبرى) للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهيل** . تلك الوثائق التي دارت أحداثها في القرنين الرابع والخامس الهجريين، درس الكتاب وحققه **الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف** . يقع الكتاب في (١٤٣) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **المركز العربي الدولي للإعلام بالقاهرة** .

وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس

وثائق تلقي الضوء **على التاريخ الاجتماعي لأهل الذمة** ونشاطهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس حتى القرن الخامس الهجري مستخرجة من مخطوط **الأحكام الكبرى** للقاضي **(أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي**، درس الكتاب وحققه **الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف** . يقع في (١١١) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **المركز العربي الدولي للإعلام بالقاهرة** .

الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد

أرجوزة وضعها **شمس الدين محمد بن محمد الجزري الشافعي** ضمنها (١٠٨) أبيات من الشعر تناول فيها الأصوات من خلال قراءته لكتاب الله الكريم وشرحها **زكريا ابن محمد الأنصاري الشافعي** وقام بتحقيق الأرجوزة والشرح **الدكتور نسيب نشاوي** . يقع الكتاب في (١١٢) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **مطابع ألف باء ـ الأديب بدمشق** .

القنص بالصقر بين المشرق والمغرب

كتاب تحدث فيه مؤلفه **الدكتور عبد الهادي التازي** عن تلك الهواية القديمة والحديثة معاً . يقع في (١٧٦) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **المعهد الجامعي للبحث العلمي ـ بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط** .

حديقة الحيوان في لزوميات أبي العلاء المعري

كتاب **يتضمن مجمل قول أبي العلاء المعري عن الحيوان** في مؤلفاته ولا سيما في لزومياته جمع وتقديم **الياس سعد غالي** . يقع في (٢٩٢) صفحة من القطع المتوسط، صدر في **دمشق وطبع بمطبعة المجد** .

إحصاءات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ

كتاب إحصائي عن تطور التعليم العالي أصدرته **وزارة التعليم العالي** . يقع في (٣٧٢) صفحة من القطع الكبير.

أغاريد الطفولة

أناشيد وقصص شعرية تعد من **أدب الأطفال**، تأليف **عبد الحفيظ محمد أبو نبعة** . يقع الكتاب في (٨٢) صفحة من القطع الصغير، صدر عن **وزارة الثقافة والشباب الأردنية** .

دموع الكبرياء

مجموعة شعرية تتضمن عديداً من القصائد منها قصيدة دموع الكبرياء جعلت المجموعة باسمها، قام بتأليفها **الشاعر محمد عصفور**، صدرت عن **وزارة الثقافة والشباب الأردنية** في (٩٤) صفحة من القطع الصغير.

مؤلفات الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان

● **«حماسة أبي تمام وشروحها»**، دراسة وضعت في كتاب وتعد القسم الثاني من رسالة الدكتوراه التي نالها من جامعة الأزهر، وهي دراسة وتحليل، طبع الكتاب **بدار إحياء الكتب العربية**، ويقع في (٢٦٠) صفحة من القطع المتوسط.

● **«العباس بن مرداس السُلمي ـ الصحابي الشاعر»**، دراسة تناول فيها الشاعر **العباس** من ناحية حياته ومصادر وموضوعات وخصائص شعره . يقع الكتاب في (١٤٥) صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **دار المريخ للنشر بالرياض** .

● **«ابن خلدون وأثره الأدبي»**، موضوع كتبه الباحث في **مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** (العدد الثاني) ووضع في مغلف صدر عن **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، يقع في (٢١) صفحة من القطع المتوسط.

● **«أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز»**، تحقيق كتاب الآجري **(أبو بكر محمد ابن الحسين)** والمؤلفات حول سيرة **عمر بن عبد العزيز رحمه الله**، صدر عن **مؤسسة الرسالة ببيروت**، يقع في (١١٢) صفحة من القطع المتوسط.